



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدراسات العليا الشرعية
شعبة الدعوة الإسلامية

منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية

إعداد الطالب:

شادي بن عبدالرحيم بن سعيد ناقر

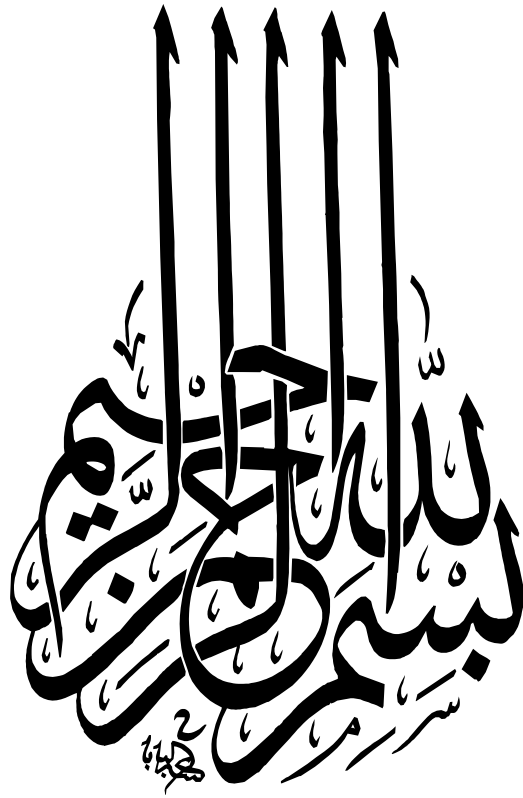
الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠٠٧٢)

إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د/ عبدالله حسن علي بركات

الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد،

فإنّ القرآن الكريم كلام الله المبين، ومعجزة إمام المتقين، ومنبع علوم المسلمين؛ لذا كان حقاً على كلّ مسلم قراءته وتدبره والعمل به؛ فكلما قرب منه العبد زاد إيمانه وازداد عمله به، وكلما بعد عنه نقص إيمانه ونقص عمله به، ولحاجة الدعاة اليوم إلى المنهج والأسلوب الأمثل في علاج الانحراف السلوكي لدى هؤلاء العصاة جاء هذا البحث بعنوان (منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة)، وقد ابتدأت هذا البحث كعادة البحوث العلمية بمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث فيه والدراسات السابقة وخطة البحث، ثمّ كان التمهيد بالتعريف بمصطلحات البحث: القرآن والمنهج والتقويم والسلوك والعصاة، ثمّ كان الفصل الأول بعنوان المعصية والعصاة في القرآن وتحدث فيه عن ورود لفظة المعصية في القرآن الكريم وذكر العصاة والأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية، ثمّ جاء الفصل الثاني وعنوانه وسائل تقويم سلوك العصاة في القرآن الكريم وتكلمت فيه عن الوسائل التالية: تربية الخبز والخشية من الله في نفس المسلم ومراعاة القرآن للنفس البشرية والتحذير من المعصية وتقدير مخاطرها وتكامل المنهج القرآني في هدم المعاصي وبناء سبل الإصلاح ووضع العقوبات والزواج بما يتلاءم مع المعصية وأثرها، ثمّ كان الفصل الثالث بعنوان أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك العصاة في العصر الحاضر وتحدثت فيه عن أثره في تقويم سلوك الفرد وأثر المنهج القرآني في تقويم سلوك المجتمع، ثمّ جاء الفصل الرابع والأخير وعنوانه الدروس المستفادة للدعاة في العصر الحاضر من منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة وتكلمت فيه من حيث ما يستفيدة الداعية في المنهج وفي الأسلوب وفي التقويم، ثمّ ختمت الرسالة بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه الباحث من نتائج وتوصيات، مع تذييل الرسالة بالفهارس اللازمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عميد كلية الدعوة

المشرف

الباحث

د. عبدالله الرميان

أ.د. عبدالله حسن علي بركات

شادي عبدالرحيم سعيد ناقدرو

Thesis abstract

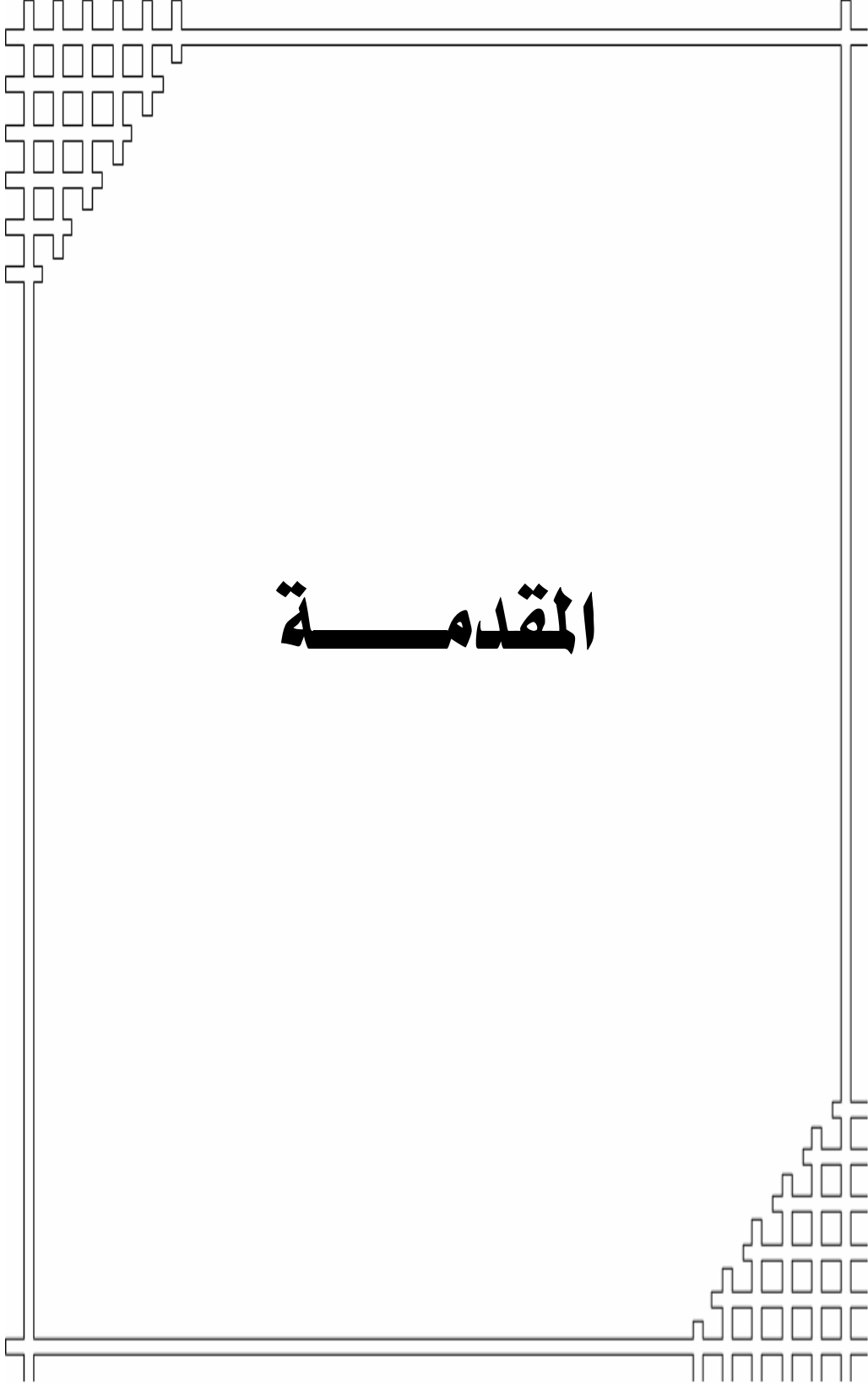
his prophet Mohammed , his family and fellowmen ."

The Holy Quran is the speech of God and the miracle of the prophet as well as the source of Muslim Theology. So, it's mandatory for every Muslim to read and ponder over it and put it into practical application . The proportional relationship between faith and applying the Holy Quran's instructions in reality is clear from the fact that the nearer the slave from his Lord , the more his faith and vice versa ; if one has weak faith , he or she is liable to commit sins , no matter they are trivial or fatal , and to be disobedient to his Lord. The callers for the Word of God are in sore need of the proper approach to cure the delinquent behaviors or thoughts of those disobedient people. Therefore this research is entitled ,((The Holy Quran approach to reform the behavior of the disobedient)) . Considering it a scientific research , I started it with an introduction in which I mentioned the importance of the topic of the research , the reason for selecting it , the approach of research , the previous studies and the research plan . Then I transferred to the preface where I introduced definitions to some terms of the research in hand such as the Holy Quran , the approach , the reform , the behaviors and the disobedient . Then I moved to chapter one under the title of , sins and disobedient in the Holy Quran . I also dealt with these articulations in terms of the Holy Quran style in tackling sins and disobedience. Then I moved to chapter two under the title of , " the techniques of reforming the behaviors of the sinful people as mentioned in the Holy Quran where I talked about the following techniques ; caring about conscience and insight in the Muslim's soul , the interest of the Holy Quran in bringing up the human soul in light of the Quran and warning people against the bad results of the sins , the integration of the Quran approach to eliminate sins and set up the ways of reformation and issuing the rulings of penalty that cope up with the sin and its consequences. Chapter two has been entitled , " the effect of the Quranic approach on reforming the individual's behaviors and the community as well . Then I moved to the fourth and last chapter entitled . " the morals that the contemporary Muslim callers can benefit from the approach of the Holy Quran to reform the behaviors of the sinful people . As a scientific research I concluded my thesis with my recommendations and the results of the researcher . In the end I concluded my research with important bibliography including the index of the Quran verses , the prophet's sayings , axioms , poetry and references of the topics

At last , peace be upon the prophet

Students : SHADI ABDULRAHEEM SAID NAQRU

Supervisor : Prof. Dr. ABDULLAH HASSAN BARAKAT .



المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: -

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٤﴾ [فصلت: ٤٢]، فهو معجزة سيد المرسلين، وهو أساس المعارف والعلوم والفنون، المنزل على الرسول الكريم ﷺ ليبينه للناس، فهو المصدر الأول لهداية النفس الإنسانية وهو المقوم الأساس لها.

والقرآن هو مصدر الدعوة وأساسها، والنبع العذب الغزير الذي يستمد منه الدعاة منهجهم الدعوي؛ فيه ذكرت دعوة الأنبياء مع أهمهم منهجاً وفعلاً.

هذا وقد أكرمني الله تعالى بطلب العلم الشرعي في رحاب جامعة أم القرى التي تخرجت منها أولاً، ثم كان من توفيق الله ﷻ أن من علي بالالتحاق بالدراسات العليا في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لدراسة السنة المنهجية لنيل الماجستير - فلله الحمد والمنة -.

لذا؛ فقد حرصت على أن يكون موضوع بحثي ذا صلة وثيقة بكتاب الله تعالى، فاستخرت الله؛ فوقع اختياري على موضوع:

(منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة)

❖ أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال اتصاله بالقرآن الكريم، وفهمه وتدبره، ومنهجه في الهداية للتي هي أقوم قال "تعالى": ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وفيه الشفاء لأعراض القلوب قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٨٢] [الإسراء: ٨٢].

كما أن هذا الموضوع ما هو إلا منهجاً للهدى الرباني الذي ينبغي أن يقتفيه الدعاة في دعوتهم للعصاة بأمثل الطرق والأساليب القرآنية.

بالإضافة إلى حاجة المجتمعات المعاصرة للمنهج الرباني الرشيد من أجل تقويم العصاة وإصلاحهم والاستفادة منهم طلباً للسعادة في الحياة الدنيا، وتحقيق الأمن الاجتماعي بعد الأمن الفردي، ثم طلباً للفوز بنعيم الآخرة للتائبين والطائعين.

❖ سبب اختياره:

أمّا سبب اختياري لهذا الموضوع فيتلخص في عدة أسباب، وهي:

- ١- الوقوف على المنهج القرآني في تقويم سلوك العصاة والذي راعى أحوال النفس البشرية ودوافعها، وخاطبها بما يُقوّمها ويُصلحها.
- ٢- حث الدعاة إلى الله "عز وجل" للرجوع إلى المنهج القرآني، لا سيما في خطابهم الدعوي للعصاة.
- ٣- الحاجة الماسة لمثل هذا الموضوع الحيوي والمحتاج إليه الساحة اليوم؛ ليستدلّ المسلم على الهدى، والتزود من الخير والتقوى.
- ٤- الرغبة في أن يكون لي شرف المشاركة في إثراء المكتبة العلمية بالكتابة في هذا الموضوع الهام.

❖ منهجي في البحث:

أمّا عن منهجي فألخصه في النقاط التالية:

- ١- قمت بجمع واستقراء الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع البحث (منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة) سواءً كانت دلالتها على المسألة صريحة أو ضمنية، حيث استقرأت القرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس - بفضل الله تعالى - واستخرجت عدداً كبيراً من الآيات القرآنية ثم جعلتها في وحدات وقسمتها تقسيماً موضوعياً مع بيان المراد منها وذلك بذكر أقوال المفسرين، وتوظيفها في موضوع البحث.
- ٢- جمعت ما تيسر من الأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة واستشهدت بها في موضعها غالباً.
- ٣- عزوت الآيات إلى سورها وذكرت اسم السورة ورقم الآية بعدها مباشرة.
- ٤- خرّجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.
- ٥- اكتفيت بالحكم على الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما بالإحالة إلى صحيح البخاري ومسلم وذلك بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث في الحكم على إسناده مع ذكر الكتاب والجزء والصفحة.
- ٦- ترجمت للأعلام غير المشهورين في الحاشية من كتب التراجم.
- ٧- شرحت الكلمات الغريبة من كتب الغريب.
- ٨- عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية، والأحاديث والآثار، والأعلام، والأشعار، والكلمات الغريبة والمصادر والمراجع، والموضوعات.

✽ الدراسات السابقة:

ما وقفت عليه من دراسات سابقة في الموضوع يتمثل في رسالة ماجستير بعنوان: (المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع)، حامد بن محمد بن حامد المصلح. من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، بعنوان: (المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع)، وقد تمت مناقشتها في عام ١٤٠٩ هـ، والرسالة طبعتها مكتبة الضياء، في جدة، عام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

✽ خطة البحث:

أمّا عن خطة البحث فهي تشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة كما يلي:

المقدمة، وفيها:

- أهمية الموضوع.
- سبب اختياره.
- منهجي في البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.

التمهيد:

وفيه التعريف بمصطلحات البحث:

- أولاً - التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح.
- ثانياً - التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح.
- ثالثاً - التعريف بالتقويم في اللغة والاصطلاح.
- رابعاً - التعريف بالسلوك في اللغة والاصطلاح.
- خامساً - التعريف بالعصاة في اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: المعصية والعصاة في القرآن، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ورود لفظة المعصية في القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول - ورود لفظة المعصية واشتقاقها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني - مرادفات المعصية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث - تقسيم القرآن الكريم المعاصي إلى كبائر وصغائر.

المطلب الرابع - الحكمة من خلق المعصية وتقديرها بين العباد.

المبحث الثاني: الأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - خصائص الأسلوب القرآني.

المطلب الثاني - مظاهر الأسلوب القرآني في التحذير من المعصية.

المبحث الثالث: ذكر العصاة في القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول - قصة ابني آدم.

المطلب الثاني - قصة قارون.

المطلب الثالث - قصة أصحاب السبت.

المطلب الرابع - قصة أصحاب الجنة.

الفصل الثاني: وسائل تقويم سلوك العصاة في القرآن الكريم، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مراعاة القرآن للنفس البشرية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - تعريف النفس وخصائصها وطبيعتها، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى - تعريف النفس لغة واصطلاحاً.

المسألة الثانية - خصائص النفس الإنسانية.

المسألة الثالثة - طبيعة التكوين النفسي للإنسان.

المطلب الثاني - أنواع النفوس وأسباب انحرافها ونظرة الإسلام لها،
وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى - أنواع النفوس في القرآن الكريم.

المسألة الثانية - أسباب ودوافع فعل المعصية.

المسألة الثالثة - منهج القرآن الكريم في علاج النفس البشرية عند
وقوعها في المعصية.

المبحث الثاني: غرس الإيمان في نفس المسلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - تقوى الله وَعَلَيْكُمْ، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية - أثر التقوى في غرس الإيمان في نفس المسلم.

المطلب الثاني - محاسبة النفس، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - تعريف المحاسبة في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية - أثر المحاسبة في غرس الإيمان في نفس المسلم.

المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في التحذير من المعاصي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - التحذير من المعصية.

المطلب الثاني - أضرار المعاصي على الفرد والمجتمع، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى - ضرر المعصية على الفرد.

المسألة الثانية - ضرر المعصية على المجتمعات الإنسانية.

المسألة الثالثة - أثر المعصية على بقية المخلوقات.

المبحث الرابع: تكامل المنهج القرآني في هدم المعاصي وبناء سبل الإصلاح،
وفيه مطلبان:

المطلب الأول - الرجاء وحسن الظن بالله "تعالى"، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى - الرجاء والخوف.

المسألة الثانية - المغفرة والعفو من الله.

المسألة الثالثة - المسارعة إلى فعل الخيرات واغتنام الفرص.

المطلب الثاني - التوبة تعريفها وشروطها.

المسألة الأولى - تعريف التوبة.

المسألة الثانية - شروط التوبة.

المبحث الخامس - وضع العقوبات والزواجر بما يتلاءم مع المعصية وأثرها،
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول - تشريع العقوبات والزواجر في حق العصاة والمجرمين

والحكمة منهما، وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى - تشريع العقوبات في حق العصاة.

المسألة الثانية - الحكمة من تشريع العقوبات والزواجر.

المسألة الثالثة - أثر تطبيق التدابير الجزرية والوقائية في المحافظة على

الأمن والاستقرار في المجتمع.

المطلب الثاني - الجريمة والعقوبة في الإسلام.

الفصل الثالث: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك العصاة في العصر الحاضر،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول - أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك الفرد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - التهذيب بالطاعة، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - أثر أركان الإيمان على الفرد.

المسألة الثانية - أثر أركان الإسلام على الفرد.

المطلب الثاني - البعد عن المعصية، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - التحذير من المعصية وبيان مضارها.

المسألة الثانية - فتح باب التوبة وتجديد العهد.

المبحث الثاني: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك المجتمع، وفيه مطلبان:

المطلب الأول - تحقق الأمن في المجتمع.

المطلب الثاني - انحلال الأمن في المجتمع عند تطبيق القوانين الوضعية،

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - أسباب انحلال الأمن في المجتمعات الغربية.

المسألة الثانية - واقع الانحلال الأمني في المجتمعات الغربية.

الفصل الرابع: الدروس المستفادة للدعاة في العصر الحاضر من منهج

القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول - ما يستفاده الداعية في المنهج، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول - المنهج العاطفي.

المطلب الثاني - المنهج العقلي.

المطلب الثالث - المنهج الحسي.

المبحث الثاني: ما يستفيدة الداعية في الأسلوب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول - أسلوب الحكمة.

المطلب الثاني - أسلوب الموعدة الحسنة.

المطلب الثالث - أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن.

الخاتمة، وفيها ما يلي:

أولاً - النتائج.

ثانياً - التوصيات.

الفهارس: وتحتوي على الفهارس التالية:

١ - فهرس الآيات.

٢ - فهرس الأحاديث.

٣ - فهرس الآثار.

٤ - فهرس الأشعار.

٥ - فهرس الأعلام.

٦ - فهرس المصادر والمراجع.

٧ - فهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله أن يعينني على ما أقدمت عليه، فإنَّ العبد قليل الحيلة، ضعيف الوسيلة، ومن ذا العبد الذي يستغني عن خالقه ومولاه، فاللهم إنَّا نبرأ إليك من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبالله التوفيق؛

شكر وتقدير

شكر وتقدير

﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ﴾

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء،
وسيد المرسلين، نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أمّا بعد،
فأحمد الله حق الحمد، وأشكره شكراً لا يعد، أهل الثناء والمجد، أحقّ ما قال
العبد، وكلنا له عبد.

أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره وأتوب إليه وأعتصم وأتوكل عليه.
وأشكره على ما يسّر وأعان، وفهّم وأبان، وأشكره على تمام هذا العمل الذي
أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لطلاب العلم.
كما أرفع شكري وتقديري مما لا يُعدّ ويُحصى لعائلي الغالية، فأشكر من لهما
الفضل في طلبي للعلم أبواي الغاليان الأمّ الحنون، والأب العطوف - أطال الله في
أعمارهما - .

ومن تمام الشكر والاعتراف بالفضل والجميل لأهله، فهذه الأطروحة لم تكتمل
إلا بتوافر الجهود المباركة.

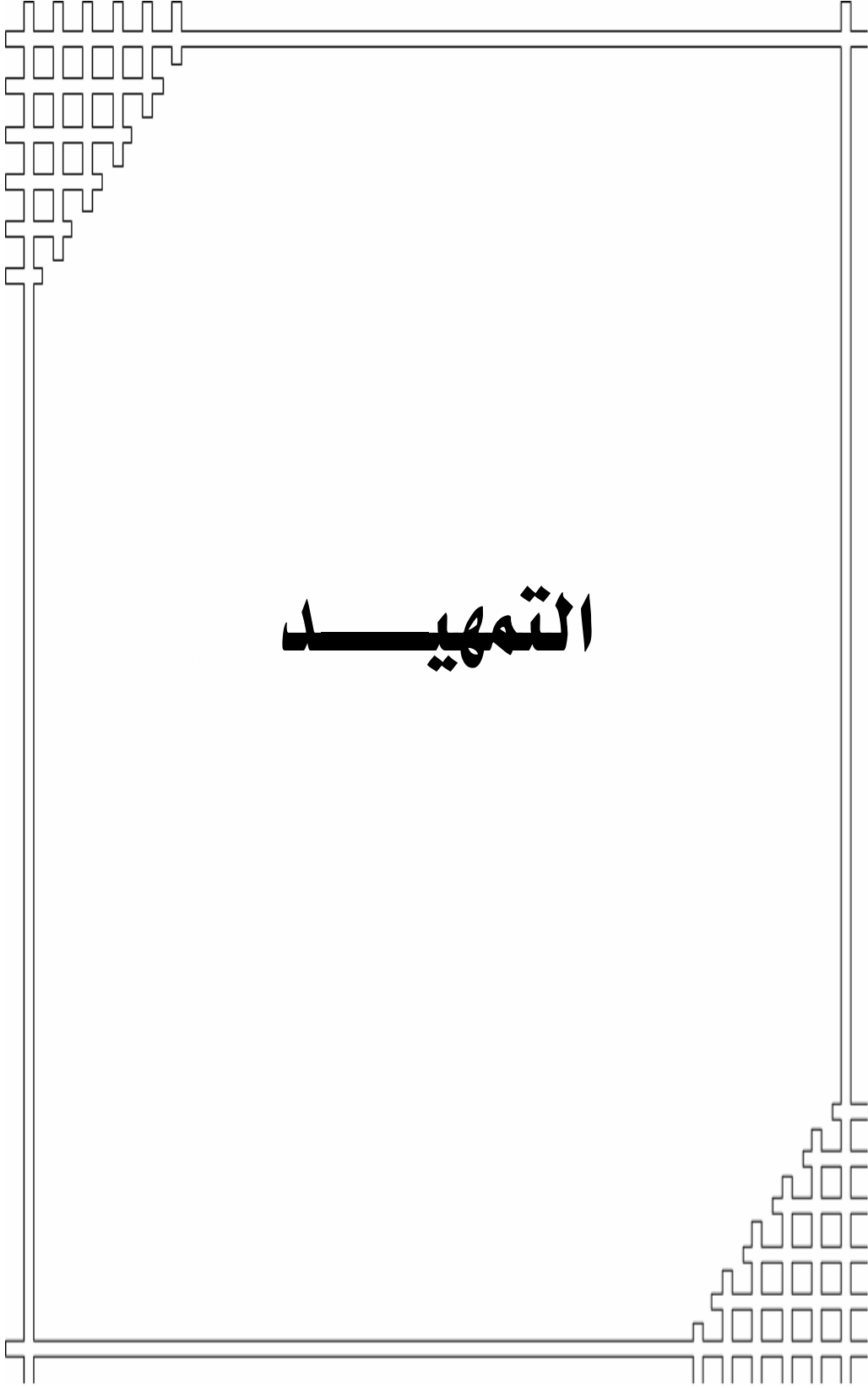
فأتقدّم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور/ عبدالله حسن علي بركات
"حفظه الله" - المشرف على هذه الرسالة - الذي بذل جهده، وأعطى وقته، ومنحني
علمه، فدرّس وعلم وسهّل، ولن أكافئه بشيء أفضل من الدعاء له، فجزاه الله خيراً
على ما قدّمه ورفع درجته في الدنيا والآخرة.

كما أرفع جزيل الشكر والتقدير إلى وزير التعليم العالي، ومدير جامعة أم القرى
، وعميد كلية الدعوة وأصول الدين، ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية،
ووكيل الدراسات العليا.

والشكر والعرفان موصولان إلى مشايخي الفضلاء أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا على ما بذلوه من جهد ووقت في توجيه الباحثين والدارسين. والتقدير يصل إلى كل من إخواني وأخواتي الأعزاء، ولن أنسى من وقفت إلى جانبي طوال الطريق زوجتي المصونة وأولادي الأحبّة على ما قدّموه وما احتملوه. كما أشكر كل من أعانني بكتاب أو مشورة أو إرشادٍ أو دعاء...، فجزى الله الجميع خيراً ووفقهم لما يحبه ويرضاه وأسكنهم الجنّة. وفي الحتام فأنا أكنّ المحبة لكل من تقدّم ذكرهم، وعرقتهم من شكرهم، وأقول ما هذا إلا نتاج جهدكم. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

الباحث

شادي بن عبدالرحيم بن سعيد ناقدرو



التمهيد

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

وفيه:

- ❖ أولاً: التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح .
- ❖ ثانياً: التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح .
- ❖ ثالثاً: التعريف بالتقويم في اللغة والاصطلاح .
- ❖ رابعاً: التعريف بالسلوك في اللغة والاصطلاح .
- ❖ خامساً: التعريف بالعصاة في اللغة والاصطلاح .

❖ أولاً: التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح:

❖ أ - معنى القرآن في اللغة:

يقدم القرآن الكريم لشرفه وعظمته فهو أول مصادر التشريع الإسلامي. دارت معاني لفظة " القرآن " في اللغة حول عدة معاني منها: الجمع والضم. جاء في لسان العرب^(١): « قال أبو إسحاق النحوي^(٢): يُسمى كلام الله "تعالى" الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن: معنى الجمع، وُسْمِي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها. وقوله "تعالى" ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي قراءته. قال ابن عباس^(٣): فإذا بيناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة..... وقرأت الشيء قرآناً جمعته وضممت بعضه الى بعض..... وقال ابن الأثير^(٤) ~ : تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقاريء والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وُسْمِي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها الى بعض. وهو مصدر كالغفران والكفران.....».

(١) لسان العرب: مادة (قرأ) ج ١١ / ص ٧٨، وانظر: القاموس المحيط: مادة (قرأ) ج ١ / ص ٣٠، وختار الصحاح: مادة (قرأ) ص ٢٤٩، وتاج العروس: مادة (قرأ) م ١ / ص ٢١٨، والمفردات في غريب القرآن: مادة (قرأ) ص ٣٩٩، بتصرف.

(٢) هو: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن، روى عنه علي بن عبدالله بن المغيرة وغيره، توفي في جماد الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، انظر: تاريخ بغداد، أبي بكر البغدادي ج ١٤ / ص ١٠٥، والأعلام، خير الدين الزركلي ج ١ / ص ٤٠.

(٣) هو: أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، ولد سنة أربعة وأربعين وخمسمائة، أخذ النحو عن شيخه أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان، من مصنفاته: النهاية في غريب الحديث، توفي في ذي الحجة سنة ست وستمائة، انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٤ / ص ١٤١.

❖ ب - معنى القرآن في الاصطلاح:

إنَّ القرآن الكريم أعلى وأشهر من أن يُعرّف، ولكن سرت عادة العلماء على تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً يُميّزه عن غيره من الكتب السماوية، ولعلّ اختصاص القرآن الكريم بخصائص جمّة هو سبب تباين آراء العلماء في تعريفهم له، فإنّك تجد في كلّ تعريف خاصية غير التي ذكرها الآخر وبهذا تعددت تعريفاتهم له. (١)

ومن تعريفات أهل العلم للقرآن العظيم:

أنّه (كلام الله "تعالى"، المنزل على نبينا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته، المتحدّى بأقصر سورةٍ منه). (٢)

❖ ثانياً: التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح:

❖ أ - معنى المنهج في اللغة:

وردت معاني لفظة " المنهج " في اللغة حول عدة معاني منها: الطريق الواضح البين، وسلوك الطريق.

جاء في لسان العرب (٣): « طريق نهج: بين واضح، وهو النهج... والجمع نهجات ونهج ونهوج... وطرق نهجة، وسبيل منهج: كنهج. ومنهج الطريق: وضحه. والمنهاج كالمنهج. وفي التنزيل ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وأنهج الطريق: وضع واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً... والمنهاج: الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نهجاً وفي حديث العباس رضي الله عنه: (لم يمُت رسولُ الله

(١) انظر: موجز علوم القرآن، داود العطار ص ١٦، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص ٢٠.

(٢) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، يوسف عبد الله الحاطي ج ١/ ص ٨.

(٣) لسان العرب: مادة (نهج) ج ١٤/ ص ٣٠٠، وانظر: القاموس المحيط: مادة (نهج) ج ١/ ص ٨٨،

ومختار الصحاح: مادة (نهج) ص ٣٢٠، وتاج العروس: مادة (نهج) م ٣/ ص ٥٠٤، بتصرف.

ﷺ حتى تَرَكَكُمْ عَلَى طَرِيقٍ نَاهِجَةٍ^(١) أَيِ وَاضِحَةٍ بَيِّنَةٍ وَنَهَجَتِ الطَّرِيقَ: أَبْتَنَتْهُ وَأَوْضَحَتْهُ؛ يُقَالُ: اْعْمَلْ عَلَى مَا نَهَجْتَهُ لَكَ. وَنَهَجَتِ الطَّرِيقَ: سَلَكْتَهُ. وَفُلَانٌ يَسْتَنْهَجُ سَبِيلَ فُلَانٍ أَيِ يَسْلُكُ مَسْلَكَهُ. وَالنَّهْجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ. وَنَهَجَ الْأَمْرَ وَأَنْهَجَ، لَغْتَانٌ، إِذَا وَضَحَ).

والمعنى المراد هاهنا هو معنى (الطريق البين الواضح).

❖ ب - معنى المنهج في الاصطلاح:

المنهج في الاصطلاح يتفق مع الدلالة اللغوية بأنه: (طريق واضح بين موصل للغاية).

فهو: الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العلمية العامة، والتي يسلكها العقل في حركته للبحث حتى يصل إلى نتيجة معلومة.^(١)

❖ المنهج عند علماء التفسير:

كما قعد العلماء أصولاً وقواعد ومناهج لعلم تفسير القرآن الكريم؛ كما فعل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ~^(١)، وعلى أثره كان في ذلك الإمام ابن كثير ~^(٢).

(١) مصنف عبدالرزاق، كتاب المغازي، باب بدء مرض رسول الله ﷺ، ح(٩٧٥٤)، قال ابن حجر: (رواه الطبراني من حديث ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس ؓ نحوه فهو متصل صحيح الإسناد). انظر: المطالب العالمة، ح(٤٤٤٢) ج١٢/ص ٢٨٤.

(٢) انظر: مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن البدوي ص ٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج١٣/ص ٣٢٩-٣٧٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج١/ص ١٢-١٨.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ~ معرفاً لأصول التفسير بأنها: « قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره، ومعانيه، والتميز في منقول ذلك و معقوله بين الحق وأنواع الأباطيل ... ». (١)

وأخلص من هذا إلى أن المراد بالمنهج: أسلوب وطريقة التعامل مع المواضيع عرضاً وطرحاً ومناقشة.

والمراد بمنهج القرآن الكريم في بحثي فهو: الطريقة التي سار عليها القرآن الكريم في عرضه المعصية والعصاة، و تقويم سلوك الفرد والمجتمع عند اعوجاجه، وانتشال المؤمن العاصي من وحل الذنوب، وإلحاقه بركب الناجين من الصالحين، وانقاذ وحماية المجتمع الصالح من السقوط في براثن المعصية.

❖ ثالثاً: التعريف بالتقويم في اللغة والاصطلاح:

❖ أ - معنى التقويم في اللغة:

ورد معنى التقويم في اللغة حول عدة معاني منها: التعديل والتسوية، والثبات والاستقامة.

جاء في لسان العرب (١): « القيام نقيض الجلوس. رجل قائم من رجال قَوْمٍ وقِيَمٍ وقِيَمٍ وقِيَامٍ وقِيَامٍ. وقَوْمٌ قيل: هو اسم الجمع، وقيل: جمع التهذيب. والاستقامة: الاعتدال. وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى. القِيَمُ: الاستقامة. القَوَامُ: العدل. وقوام الأمر: نظامه وعماده، يقولون: استقامت المتاع: أي قومته. والاستقامة: التقويم. وقيم الأمر: مقيمه، وأمر قيم: مستقيم».

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ص ٣٢٩.

(٢) لسان العرب: مادة (قوم) ج ١٢ / ص ٤٩٦-٥٠٦، وانظر القاموس المحيط: مادة (قوم) ج ٤ / ص ١٣٧، ومختار الصحاح: مادة (قوم) ص ٢٦٢، وتاج العروس: مادة (قوم) م ١٧ / ص ٥٩٠، بتصرف.

❖ ب - معنى التقويم في الاصطلاح:

التقويم في الاصطلاح يتفق مع الدلالة اللغوية بأنه: (التعديل وإزالة العوج). فالمراد بالتقويم: إصلاح اعوجاج العصاة والمذنبين، وإعادة تمهيد الطريق الحق بعد أن ضلوه وحادوا عنه إلى طريق الشيطان.

❖ رابعاً: تعريف السلوك في اللغة والاصطلاح:

❖ أ - معنى السلوك في اللغة:

دارت معاني لفظة " السلوك " في اللغة حول عدة معاني منها: الدخول، والطريق.

جاء في لسان العرب^(١): « سلك: السلوك: مصدر سلك طريقاً؛ وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً سلكه غيره وفيه وأسلكه إياه وفيه وعليه... والسلك بالفتح مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلكت أي أدخلته فيه فدخل. وفي التنزيل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠] - وفيه لغة أخرى: أسلكته فيه. والله يسلك الكفار في جهنم أي يدخلهم فيها... وفي التنزيل العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] -؛ أي أدخله ينابيع في الأرض. يقال: سلكت الخيط في المخيط أي أدخلته فيه. قال أبو عبيدة^(٢) عن أصحابه: سلكته في

(١) لسان العرب: مادة (سلك) ج ١٠ / ص ٤٤٢ ، وانظر: القاموس المحيط: مادة (سلك) ج ٣ / ص ٤١٨ ، ومختار الصحاح: مادة (سلك) ص ١٥٢ ، وتاج العروس: مادة (سلك) م ١٣ / ص ٥٨٣ ، بتصرف.

(٢) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى، البصري النحوي العلامة، ولد سنة عشر ومائة، وتوفي سنة تسع ومائتين، من مصنفاته: مجاز القرآن الكريم، وغريب القرآن، ومعاني القرآن. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٥ / ص ٢٣٥.

المكان وأسلكته بمعنى واحد. قال ابن الأعرابي^(١): سلكت الطريق وسلكته غيري، قال: ويجوز أسلكته غيري. وسلك يده في الجيب والسقاء ونحوهما يسلكهما وأسلكتها: أدخلها فيها».

❖ ب - معنى السلوك في الاصطلاح:

السلوك في الاصطلاح يتفق مع الدلالة اللغوية بأنه: (الدخول والطريق).
إن مفهوم السلوك من المصطلحات المتداولة في العلوم السلوكية بل « إن الوحدة السلوكية التي تدور حولها العلوم السلوكية هي السلوك».^(٢)
وبشكل عام يمكن تعريف السلوك بأنه: « أي نشاط يصدر عن الإنسان سواء كان أفعالاً يمكن ملاحظتها وقياسها كالنشاطات الفسيولوجية والحركية، أو نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر...».^(٣)
ونخلص من هذا بأن المراد من السلوك هنا: هو كل ما يصدر من المرء من أفعال وأقوال إرادية يمكن ملاحظتها وقياسها.

❖ خامساً: تعريف العصاة في اللغة والاصطلاح:

❖ أ - معنى العصاة في اللغة:

دارت معاني العصاة في اللغة حول عدة معاني منها: خلاف الطاعة، والامتناع، والاشتداد.

(١) هو: أبو عبدالله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٤ / ص ٣٠٦.

(٢) السلوك الإنساني، إبراهيم الغمير ص ١٧.

(٣) تعديل السلوك الإنساني، سعيد حسني العزة، وجودت عزت عبدالهادي ص ١.

جاء في لسان العرب ^(١): « والعِصْيَانُ: خلاف الطاعة. عَصَى العبد ربه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يَعِصِيهِ عَصِيًّا وَعِصْيَانًا وَمَعْصِيَةً إذا لم يطعه، فهو عاصٍ وَعَصِيٌّ ».

والمعنى المراد هاهنا هو معنى (الامتناع)؛ وذلك لكون العاصي التارك لما أمر الله "تعالى" به، والمرتكب لما نهى الله عنه قد امتنع عن طاعة خالقه ورازقه "جلّ شأنه".

❖ ب - معنى العصاة في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « المعصية هي مخالفة الأمر الشرعي، فمن خالف أمر الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه فقد عصى » ^(١). وعرفت المعصية بأنها: « هي ترك المأمورات، وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب - الله - وفرض في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة » ^(٢).

ويمكن تعريف المعصية بأنها: مخالفة أوامر الإسلام، وارتكاب مناهيه.

ويتبين من هذا بأن المراد بالعصاة: هم فئة من المسلمين ثبت الإيمان في صدورهم لكنه كالشمعة يزيد وينقص بسبب المعاصي التي يرتكبونها.

(١) لسان العرب: مادة (عصا) ج ١٥ / ص ٦٣-٦٨، وانظر: القاموس المحيط: مادة (عصي) ج ٤ / ص ٤٠٩، ومختار الصحاح: مادة (عصا) ص ٢١، وتاج العروس: مادة (عصي) م ١٩ / ص ٦٨٢، والصحاح: مادة (عصا) ج ٢ / ص ١٧٦٤، بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٨ / ص ٢٦٩.

(٣) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ٣٠.

الفصل الأول

الفصل الأول

المعصية والعصاة في القرآن

وفيه ثلاثة مباحث:

✦ المبحث الأول: ورود لفظة المعصية في القرآن الكريم.

✦ المبحث الثاني: نماذج من العصاة في القرآن الكريم.

✦ المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية والعصاة

المبحث الأول

ورود لفظة المعصية في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب :

✧ المطلب الأول: ورود لفظة المعصية واشتقاقها في القرآن الكريم.

✧ المطلب الثاني: ورود مرادفات المعصية في القرآن الكريم.

✧ المطلب الثالث: تقسيم القرآن الكريم المعاصي إلى كبائر

وصغائر.

✧ المطلب الرابع: الحكمة من خلق المعاصي وتقديرها بين العباد.

* * * * *

المطلب الأول: ورود لفظة المعصية واشتقاقها في القرآن الكريم

وردت لفظة المعصية في القرآن الكريم في موضعين فقط كما يلي: ()

١- (معصية):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَنْتَجِبُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨].

٢- (معصية):

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَنْجِبُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩].

ووردت مشتقات لفظة المعصية في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً كما

يلي: ()

١- (عَصَى):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ [١٣١] ﴿طه: ١٢١﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٦].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات: ٢١].

٢- (عَصَانِي):

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

٣- (عَصُوا):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٦٩.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٦٩.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: ٥٩].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠].

٤- (عَصَوْكَ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

٥- (عَصَوْنِي):

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي أَعْتَصَمْتُ﴾ [نوح: ٢١].

٦- (عَصَيْتُ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَاكُفِّرُنَّ وَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

٧- (عَصَيْتُمْ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

٨- (عَصَيْتُهُ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣].

٩- (عَصَيْنَا):

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾

[البقرة: ٩٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: ٤٦].

١٠- (أَعْصَى):

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

١١- (يَعْصِ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ [النساء: ١٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

١٢- (يَعْصُونَ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦].

١٣- (يَعْصِيكَ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِنُهْتَنِ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

[المتحنة: ١٢].

١٤- (عَصِيًّا):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَبَّتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

١٥- (العِصْيَانُ):

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُرْهُ الْيَكْمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

فهذه المواضع التي صُرح فيها بلفظ المعصية، واشتقاقاتها من الفعل (عصى) وذلك في ثنايا الكتاب العزيز، وهناك ما صُرح به بغير لفظ المعصية ولكنه مرادف لها في المعنى، وهذا ما سأذكره في المطلب التالي.

المطلب الثاني: مرادفات المعصية في القرآن الكريم

جاء معنى العصيان بألفاظ كثيرة في الكتاب العزيز ومنها ما يلي:

- ١- الذنب: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠].
- ٢- الخطيئة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧].
- ٣- السيئة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].
- ٤- الحوب: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].
- ٥- الإثم: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
- ٦- الفسوق: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ﴾ [الحجرات: ٧].
- ٧- الفساد: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣].
- ٨- العتو: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [١٦٦]. [الأعراف: ١٦٦].

و هكذا نجد أن المعصية وردت بمعان أخرى في القرآن الكريم مثل: الذنب والخطيئة والسيئة والحوب والإثم والفسوق والفساد والعتو من الألفاظ المختلفة عن لفظ المعصية والمرادفة لها في المعنى؛ وهذا التنوع في عرض المعصية لفظاً ومعنى فيه ما فيه من العناية القرآنية ببيان خطر المعصية على فاعلها في الدنيا والآخرة، ولتنفير المؤمنين من السقوط في وحل المعصية المهلك، وأخذ الحذر منها على الدوام.

المطلب الثالث: تقسيم القرآن الكريم المعاصي إلى كبائر وصغائر

لقد جاء تقسيم المعصية إلى كبائر وصغائر في القرآن العظيم في آيات كثيرة منها:

١- قوله "تعالى": ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

[النساء: ٣١].

قال العلامة ابن عاشور^(١) ~ في هذه الآية: « وقد دلت إضافة ﴿كَبَائِرَ﴾ إلى ﴿مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ على أنّ المنهيات قسمان: كبائر، ودونها؛ وهي التي تسمى الصغائر، وصفاً بطريق المقابلة، وقد سُميت هنا سيئات... »^(٢).

٢- وقوله "تعالى": ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [البجم: ٣٢].

قال الحافظ ابن كثير^(٣) ~ في هذه الآية: « وهذا استثناء منقطع؛ لأنّ اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال... »^(٤).

٣- وقوله "تعالى": ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « أي: وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ، من وصفاته: التحرير والتنوير. انظر: الأعلام، الزركلي ج٦/ص ١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج٤/ص ١٠٢.

(٣) هو: اسماعيل بن عمر القرسي ابن كثير البصري ثم الدمشقي عماد الدين أبو الفداء، الحافظ المحدث الشافعي، ولد سنة ٧٠٥هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ، من وصفاته: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية. انظر: هدية العارفين اسماء المؤلفين آثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، ج١/ص ٢٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج٧/ص ٤٢٦.

الكبار والعصيان، وهي جميع المعاصي»^(١).

٤- وقوله "تعالى": ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

[الكهف: ٤٩]

قال الحافظ ابن كثير ~ : «أي: لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغراً، إلا أحصاها، أي: ضبطها»^(٢).

كما أن السنة المطهرة هي أيضاً جاء فيها تقسيم المعاصي إلى كبائر وصغائر ومن ذلك:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الذنب أعظم عند الله، قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال قلت له إن ذلك لعظيم قال قلت: ثم أي، قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أي، قال: أن تزاني حليلة جارك)^(٣).

٢- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثلاثاً قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور (أو قول الزور) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)^(٤). اللفظ لمسلم.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر).

(١) المرجع السابق ج ٧ / ص ٣٤٨.

(٢) المرجع السابق ج ٥ / ص ١٤٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٢) ، ح (٤٢٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ح (٨٦) واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ج (٢٥١)، وصحيح مسلم كتاب الأيمان، باب الكبائر وأكبرها، ح (٨٧).

وفي رواية (ما لم تغش الكبائر). (١)

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). (٢)

فهذه الأدلة فيها دلالة - بمفهوم المخالفة- على أن المعاصي منها ما هو كبائر ومنها ما هو صغائر. (٣)

ومن هنا ذهب العلماء رحمهم الله في تصنيفهم للمعاصي إلى رأيين هما:

الرأي الأول:

ذهب إليه جمهور العلماء "رحمهم الله تعالى" فقسّموا المعاصي إلى كبائر وصغائر. يقول الإمام ابن القيم (٤) ~ : « وقد دلّ القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر». (٥)

الرأي الثاني:

ما ذهب إليه جماعة من العلماء "رحمهم الله تعالى" إلى أن المعاصي كلها كبائر ليس

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفّرات لما بينهن...، ح(٢٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠)، ح(٢٧٦٦)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ح(٨٩)؛ من حديث أبي هريرة.

(٣) انظر: المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، حامد محمد حامد المصلح ص ٣٥، بتصرف.

(٤) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، من مصنفاته: زاد المعاد في هدي خير العباد. انظر: الأعلام، الزركلي ج٦/ص ٥٦.

(٥) الجواب الكافي، ابن القيم الجوزية ص ٣٠٦.

فيها صغائر، ومن القائلين بهذا القول العلامة أبو إسحاق الإسفراييني^(١)، والقاضي أبو بكر الباقلاني^(٢)، وإمام الحرمين^(٣)... وغيرهم.

وبيّن الإمام ابن القيم ~ علة قولهم بأن المعاصي كلها كبائر فقال: «والذين لم يقسموها إلى كبائر وصغائر قالوا: الذنوب كلها - بالنسبة إلى الجرأة على الله "سبحانه" ومعصيته ومخالفة أمره - كبائر؛ فالنظر إلى من عُصي أمره وانتهكت محارمه يُوجب أن تكون الذنوب كلها كبائر؛ وهي مستوية في هذه المفسدة. قالوا: ويوضح هذا أن الله "سبحانه" لا تضرّه الذنوب ولا يتأثر بها، فلا يكون بعضها بالنسبة إليه أكبر من بعض، فلم يبق إلا مجرد معصيته ومخالفته، ولا فرق في ذلك بين ذنب وذنب...»^(٤).

وهناك من النصوص والمأثورات ما يوضح قولهم ورأيهم منها:

ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نُعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات).^(٥)
وما ذكره الإمام ابن حجر الهيتمي^(٦) ~ في الزواجر عن القاضي

(١) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، أبو إسحاق، الأصولي الشافعي، توفي سنة ٤١٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ١/ ص ٨٣.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبوبكر، ولد سنة ٣٣٨ هـ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ، قاض، من كبار علماء الكلام. انظر: الأعلام، الزركلي ج ٦/ ص ١٧٦.

(٣) هو: عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ، من مصنفاته: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. انظر: الأعلام، الزركلي ج ٤/ ص ١٦٠.

(٤) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٣٠٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب، ح (٦١٢٧).

(٦) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ولد سنة ٩٠٩ هـ، وتوفي سنة ٩٦٤ هـ.

عبدالوهاب^(١) قوله: (لا يمكن أن يُقال في معصية أئمة صغيرة إلا على معنى أئمة تصغر باجتناّب الكبائر)، ويُوافق هذا ما رواه الإمام الطبراني^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه لكنّه منقطع: أنّه ذكر عنده الكبائر فقال: (كلّ ما نهى عنه فهو كبيرة) وفي رواية عنه: (كلّ شيء عُصِيَ الله به فهو كبيرة)^(٣).



☞ =

- ٩٤٧هـ، فقيه باحث مصري، من مصنفاته: الجوهر المنظم. انظر: الأعلام، الزركلي ج ١ / ص ٢٣٤.
- (١) هو: القاضي أبو محمد عبدالوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي، الفقيه المالكي، ولد سنة ٣٦٢هـ، وتوفي سنة ٤٢٢هـ، من مصنفاته: المعونة. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٤ / ص ١٢٩.
- (٢) هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٦٠هـ، كان حافظ عصره، من مصنفاته: المعجم الكبير. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٣ / ص ٤٠٧.
- (٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ج ١ / ص ٧.

المطلب الرابع: الحكمة من خلق المعصية وتقديرها بين العباد

إنَّ الله "سبحانه" هو خالق كلِّ شيء، وقد سبق في علمه عَلَيْهِ السَّلَامُ ومما أمر به القلم كتابة المقادير كلها خيرها وشرها، وقد خلق "تعالى" الإنسان وبيّن له طريق الهداية وحثه عليه وبيّن له طريق الغواية وحذره منه وحدّد عاقبة كلِّ منهما؛ وذلك بإنزال الكتب وبعث الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا شيء موجودٌ مما خلقه الله "سبحانه" في هذه الحياة إلا لحكمة إلهية سواءً جلاها لنا المولى "سبحانه" أو أخفاها عنا لحكمة عنده "سبحانه"، وما علينا إلا الإيمان والعمل.

ومن تلك الحكم خلق المعصية وتقديرها بين العباد ما يلي:

١- تحقيق أعظم مظاهر العبادة لله "تعالى" والمتمثلة في الخضوع والذل والانكسار والحب والخوف، وتفصيل ذلك:

إنَّ المسلم كلما شعر بعظمة الله تعالى وجلاله، وأنّه على كلِّ شيءٍ قدير، وأنّه سبحانه ذو انتقامٍ وبطشٍ شديدٍ ممن أعرض عن أمره؛ كلما زاد الخضوع والذل عنده. وكلما شعر المسلم بمعية الله تعالى له، ومراقبته سبحانه له في كلِّ شاردةٍ وواردة، وأنّه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كلما زاد خوف الله عزّ وجلّ عنده. وكلما شعر المسلم بآلاء الله عزّ وجلّ عليه، وغزير نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى؛ ممّا فيه إحساسٌ بمنن الله تعالى عليه وإحسانه به؛ ويترتب على ذلك ازدياد ذكر الله تعالى وحمده وشكره على ما تفضل به عليه؛ كلما زاد الحب عنده.

وما تقدّم من الخضوع والذل والخوف والحب وما شابهها من مظاهر العبودية لله تبارك وتعالى لا تقوى وتزداد إلا إذا استشعر العبد عظمة الله عزّ وجلّ وجلاله في قلبه، وظهر ذلك على جوارحه.

والمسلم مع المعاصي في مجاهدة ومكابدة فهي تعصف به كلّ حين، وهو بهذه

المجاهدة يزداد خضوعه وذله وخوفه وحبه لله تعالى؛ فالعبد في ابتلاءٍ من مولاه جلّ في علاه بهذه الشهوات والمغريات، ولا حول ولا قوة للعبد في دفع معصية أو جلب طاعة إلا بعون الله تعالى.

«والعبد كلما أنهكته هذه الحرب الضارية واكتوى بنارها وعصفته بأعاصيرها مع نفسه النزاعة للشهوات، وشيطانه الذي يُغويه ويُزيّن له هذه الحظوظ العاجلة، فكلما شعر العبد بضعفه أمام هذه الجبهات أحسّ بضرورة الالتجاء إلى مولاه والافتقار إليه فهو الركن لمن وهي ركنه وهو العون لمن استعانه فكلما اشتدّ لهيب هذه الحرب تجدد ذلّ العبد وافتقاره لوليّه وناصره ومن ثمّ كانت المعاصي من دواعي شدة الذلّ والانكسار الذي هو صلب العبودية، فإذا أخفق العبد في هذه المعركة وانتصرت عليه نفسه وشيطانه ووقع في المعصية، فإنّه يتجدد خوفه من مغبة الحساب وسطوة الربّ "تعالى" وبطشه الذي لا ملجأ ولا منجاة منه إلا بالتوبة وهو عين العبادة».^(١)

قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم).^(٢)

وبعد غرق العاصي في بئر المعصية السحيق، وتلطّخه بوحلها الضحل، ثمّ يجد رباً غفوراً رحيماً، يفتح باب التوبة والرجوع لإليه لعباده الضالين عن الصراط المستقيم.

«كلّ ذلك مما يُشعر العبد بفضل ربّه ورحمته الواسعة ومما يُقوّي حبه لربّه الذي لا يُعاجله بالعقوبة والذي يبسط له الرحمة ليتوب ويتطهّر من ذنبه ويلحق بالأبرار كلّ ذلك والعبد مُوقن أنّه لا نجاة له بمحض عمله ولا بجهد نفسه مهما بذل وإنّما النجاة

(١) المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، حامد بن محمد بن محمد بن حامد المصلح ص ١٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، ح (٧١٤١).

فضلٌ من الله ورحمة لا ينالها العبد إلا بذلك وبذلك فقط» (١).

وقال ﷺ: (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) (٢).

٢- تأييد الدين بالبراهين والمعجزات الخارقة التي ينتج عنها تصديق الرسل والأنبياء ﷺ ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وتفصيل ذلك:

إن الأمم الغابرة والتي أرسل الله تعالى لهم رسلاً مبشرين ومنذرين، فمن كفر من هذه الأمم وكذب رسله أرسل الله عليه عذاباً شديداً من حيث لا يحتسب، ولا أدل على ذلك من عذاب قوم نوح بالطوفان، وعذاب قوم عاد بالريح، وعذاب قوم ثمود بالصاعقة... إلخ.

و « كل ذلك مما يؤيد الرسل ويفتح قلوب البشر لدعوتهم وإن كانت المعاصي من هذا النوع - أعني الكفر- الذي هو أعظم الذنب الذي لا ينتفع بها أهلها لكن يكونون عبرة لغيرهم ينتفعون بها ويرتدعون عن مثلها، حذراً من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك الخاسرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]. » (٣).

(١) المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، حامد بن محمد بن محمد المصلح ص ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والدوام على العمل، ح (٦٠٩٩)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى، ح (٧٣٠٠)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ح (١٧٩٤)، واللفظ لمسلم.

(٣) المرجع السابق ص ٢١.

٣- تحقيق حكمة الربّ "تبارك وتعالى" والظاهرة في الرحمة والعفو والمغفرة والتجاوز، وتفصيل ذلك:

إنّ من صفات الكمال الواجبة لله تبارك وتعالى الغفران والعفو والرحمة وقبول التوبة، وهذه الصفات لها مقتضياتها وهي ارتكاب المعاصي والسيئات.

ومن هنا نعلم أنّ « لو لم تكن الذنوب لم يكن هناك عفو ولا غفران... وفي صحيح مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: (لو أنّكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاؤ بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم)^(١).

٤- ومن تحقيق حكمة الربّ "تبارك وتعالى" في أن يكون من عباده من يعبدته مختاراً إن شاء أطاع وإن شاء عصى، وتفصيل ذلك:

إنّ اختيار الإنسان لعمله وتمييزه لطريق الخير من الشر وذلك وفق مشيئة الربّ تبارك وتعالى، فيه فيصل بين الحقّ والباطل ومنه وجد الطائع والعاصي، وفي ذلك دليل على « أنّ العبد مختارٌ فاعلٌ لأفعاله، وهذا يبطل قول الجبرية الضالين، ولأنّ العلم صفة واجبة لله "تعالى" صفة كمال مطلقة عن الحدّ والحصر، فإنّ الله "تعالى" سبق علمه في الأزل بكلّ ما سيكون ففضاه وقدره طبقاً للواقع تماماً بغير ظلم ولا بخس، "تعالى" الله عن كلّ شين ونقص وهذا خلاف القدرية الذين يزعمون أنّ العبد يخلق عمله وأنّ الربّ لم يُقدّر ولم يسبق علمه به تعالى الله عن زيغهم علواً كبيراً »^(٢).

٥- إظهار الله "جلّ وعلا" الكرامة لبعض أوليائه ممن ظلم واعتدي عليه وتفصيل ذلك:

قد يتهم الإنسان بالمعصية وهو منها براء، فتتجلى رحمات الله ولطفه بأوليائه

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، ح (٧١٤٠).

(٢) المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، حامد بن محمد بن حامد المصلح ص ٢٢.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢.

فِيصِيرُ الْمُحَنَّةَ فِي تَهْمَتِهِمْ لِمُنْحَةٍ؛ تَرْفَعُ قَدْرَهُمْ، وَتَبْرُزُ بَرَّهُمْ، وَتَرْغَبُ غَيْرَهُمْ فِي التَّاسِّيِّ بِهِمْ، وَلِنَضْرِبَ لَذَلِكَ مِثَالاً: كِرَامَةُ جَرِيحِ الْعَابِدِ لَمَّا آذَاهُ قَوْمُهُ وَاتَّهَمُوهُ بِالزُّنَا وَهَدَمُوا صَوْمِعَتَهُ وَضَرَبُوهُ فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْوَلِيدَ بِبِرَائَتِهِ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثًا... وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جَرِيحٌ، كَانَ يُصَلِّي. جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أَجِيئِهَا أَوْ أَصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَمْتَهُ حَتَّى تَرِيَهُ وَجْهَ الْمُؤَمَّسَاتِ. وَكَانَ جَرِيحٌ فِي صَوْمِعَتِهِ. فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ، وَكَلِمَتُهُ، فَأَبَى. فَأَتَتْ رَاعِيًا، فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غَلَامًا. فَقَالَتْ: مَنْ جَرِيحٌ. فَأَتُوهُ فَكَسَرُوا صَوْمِعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ، وَسَبَّوهُ. فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى. ثُمَّ أَتَى الْغَلَامَ. فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: الرَّاعِي..... (الحديث). (١)



(١) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، ح (١٦٥٤).

المبحث الثاني

الأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية

وفيه مطلبان :

✦ المطلب الأول: خصائص الأسلوب القرآني .

✦ المطلب الثاني: مظاهر الأسلوب القرآني في التحذير من

المعصية.

* * * * *

المطلب الأول: خصائص الأسلوب القرآني

قبل الحديث عن الأسلوب القرآني في حديثه عن المعصية يجدر بي أن أسلط الضوء على خصائص هذا الأسلوب البياني المعجز البديع.

خصائص الأسلوب القرآني:

فقد جاء القرآن الكريم بأساليب مختلفة في إشارات، وُضروب خطابيه؛ وذلك لاختلاف المخاطبين حسب الأحوال والمستويات والأغراض الصادرة من أجلها تلك الأساليب والمواضيع التي عالجهما والحقائق التي كشف لهم عنها، وإن تنوع القرآن العظيم في أساليبه يعود في حقيقته إلى تباين موضوعاته، حيث أن كل موضوع له طبيعته الخاصة التي يمتاز بها عن أمثاله من الموضوعات، كما أن له من الأصول والقواعد التي يجب ألا يُجمد عنها وأن يُحافظ عليها، جاء في الأثر: (إن من البيان لسحراً).^(١) وهذا حق وهو واقع في حياة الناس اليوم إذ أنك تجد إنساناً ما تكون له حاجة عند أحد المسؤولين - إعطاء أو منع هذه الحاجة يعتمد على موافقته - فإذا ما أراد ذلك الإنسان مقابلة ذاك المسئول أعد له الكلام الفصيح المنمق الألفاظ والمعاني، بينما ترى الآخر يدخل على ذلك المسئول وله حاجة كذلك ولكنه لم يعد له كلاماً مسبقاً؛ فيكون أثر كلام الأول في نفس المسئول غير أثر كلام الثاني وكل ذلك راجع إلى الأسلوب « فإذا كان لكل حديث أسلوبه فلا عجب أن يكون أسلوب القرآن الكريم خاصاً به لا يُدانيه أسلوب ولا تجاربه طريقة ». ^(٢) ولقد بعث الله ﷺ نبيه محمداً ﷺ في مجتمع جاهلي كانت فيه عبادة الأصنام والأوثان من دون الله "سبحانه" وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها ربا

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحراً، ح(٥٤٣٤).

(٢) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ١٨.

وجعل الثلاثة أثنافي لقدره فإذا ارتحل تركه فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.^(١)

كما كان في هذا المجتمع وئد البنات وهنّ حيات، وكان فيه اقتتال القبائل فيما بينها لأنفه الأسباب، وبعد البعثة النبوية تحسّن حال هذا المجتمع فصار مجتمعاً مثالياً، كرم الإسلام فيه الإنسان ورفع شأنه في الدنيا والآخرة.

« ولا شك أنّ هذا المجتمع في تحوّل من حال إلى حال قد مرّ بدرجات عديدة يحتاج كلّ منها إلى أسلوب خاص في مخاطبته، والقرآن يتابع هذه التحولات والتغيرات في هذا المجتمع ويخاطب كلّ حالة بما يناسبها.»^(٢)

وقد وضع ذلك جلياً فيما تمتاز به الآيات المكية عن الآيات المدنية من حيث القصر والطول وغير ذلك من الفوارق التي استنبطها العلماء وبثوها في مؤلفاتهم.

وإنّ أسلوباً كهذا له خصائصه المميزة له عن غيره عكف على تخريجها أهل اللغة والبلاغة، وإنّهم مهما بذلوا من جهد وقدّموا من وقت فلن يُعطوا كتاب الله وَعَجَلْ حَقَّهُ، ولنعلم أنّه قد « أفاض العلماء في ذكر خصائص أسلوب القرآن المعجز، ومع تلك الإفاضة فقد اعترفوا بعجزهم عن الوفاء، وأنّ الاستقصاء والإحاطة بها أمرٌ متعذر على الإنسان، لكونه مما أستأثر الله وَعَجَلْ.»^(٣)

وفي الصفحات التالية سأذكر بعضاً من خصائص الأسلوب القرآني:

❖ أولاً - خطابه العامة والخاصة:

لو وقف أحد المتخصصين في الفصاحة والبلاغة خطيباً في جمع مختلف المستويات، وأراد إلقاء كلام يُدرّكه الجميع العامي منهم والمتقف والأديب فإنّه مهما

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم ج ٢ / ص ٢٢٠.

(٢) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ١٩.

(٣) علوم القرآن، رشدي عليان وآخرون ص ١٢٥.

أعدّ كلاماً ونمّق وحسّن فيه فلن يصل إلى درجة يفهم عنه كافة الحاضرين؛ إذ ليس ثمة كلام يفهمه العامة والخاصة معاً سوى القرآن الكريم عند خطابه للبشرية جمعاء، وفي ذلك فإنه: « يُخاطب جميع المستويات البشرية مهما اختلفت مواهبهم وأفهامهم واختصاصاتهم ومستوياتهم العلمية، يُخاطبهم جميعاً بأن واحد يفهم كلّ منهم حسب مستواه ويتغذى الجميع من الكتاب الحكيم ويشعرون أنه قد لبّى لكلّ منهم حاجةً في نفسه ». (١)

وهذا حقّ، وبيان ذلك أنك تجد القرآن الكريم يقرأ فيه العامي فيشعر بجلاله، ويذوق حلاوته، ولا يلتوي عليه فهمه، فتدركه هيمنته، ويستولي عليه بيانه، وتغشاه هدايته، ويقرأ فيه العالم فيدرك فصاحته وتهمين عليه بلاغته، ويملكه بيانه، وتنجلي له علومه ومعارفه، وتشده أخباره وأنبأؤه

هذا هو كلام ربّ العالمين له طبيعته المتميزة، ومكانته الرفيعة، فهو يلج كافة القلوب والعقول فينهل هذا منه وهذا منه، ويظّل بحراً واسعاً يتنافس العلماء في كشف أسرارهِ دون أن ينتهي. (٢)

فالقرآن الكريم لا يعلو عن أفهام العامة ولا يقصر عن مطالب الخاصة، فهو الكتاب الوحيد الذي يتفقه الجميع منه كلّ حسب حاجته، فهو كعسل النحل ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: ٦٩].

❖ ثانياً - إقناع العقل وتحريك العاطفة:

إنّ الكلام الفصيح، والبيان الوافي يؤتيان النفس البشرية نصيبها من الاستفادة العقلية والتحريك العاطفي معاً وهما مساويان لقوتين أنعم الله "تعالى" بهما على

(١) تأملات قرآنية، موسى إبراهيم الإبراهيم ص ١١٠.

(٢) انظر: خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٣٤.

الإنسان: قوة التفكير و قوة الوجدان.

« أما الأولى فقوة تغوص باحثةً عن الحقائق المستترة والمعاني الباطنة، وأما الثانية فتطفوا تبحث عن الجمال الظاهر في القشرة البادية ». (١)

كما أنّ العلوم والمعارف والفنون على قسمين: علمية وأدبي « فترى الناس يقولون هذا أسلوب أدبي عاطفي، وذاك أسلوب علمي، والذين يدرسون العلم البحث لا يرضيهم الأسلوب الأدبي العاطفي، والذين يدرسون الأدب والعاطفة، لا يرضيهم الأسلوب العلمي البحث؛ ولذلك نجد أسلوب العلماء والمحققين من الجفاف بحيث يعجز عن أن يهزّ القلوب ويحرك العاطفة، وعلى العكس من ذلك أسلوب الأدباء والشعراء؛ فإنه يحرك العواطف، ويثير الوجدان، ويلهب المشاعر، ولكنه يخلو من التحقيق العلمي البحث. وإنما القرآن الكريم وحده هو الذي يجمع بين هذين الأسلوبين، ويؤانس بينهما، فيخاطب العقل والعاطفة معاً ويرضي العقل والعاطفة معاً ». (٢) ذلك أنّ الإنسان مهما كان عنده من أسلوب علمي وأسلوب أدبي فإنّهما لن ينفكّان، وحتى لو انفكّا فإنّهما لن يعملان إلا على سبيل البدل والمناولة لا دفعةً واحدة، وفي ذلك يقول الله "تبارك وتعالى": ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤]، وإذا أردنا أن نُمثّل على إقناع القرآن الكريم للعقل، وإمتاعه للعاطفة فإننا نجد أنّه « في إقامة الدليل العقلي على البعث والنشور في مواجهة المنكرين والمكذّبين، يسوق استدلاله سوقاً يهزّ القلوب هزاً، ويمتّع العاطفة إمتاعاً، بما جاء في طيّ هذه الأدلة المسكّنة المقنعة، إذ يقول "تعالى": ﴿ وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا

(١) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٣٥.

(٢) الوحي والقرآن، عبد الحميد إبراهيم سرحان ص ١٠٥.

يَسْمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت: ٣٧-٣٩]، وكذلك نجده عَلَيْكَ يَقُولُ فِي سورة أخرى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩-١١]، ولو تأملنا هذا الأسلوب البارع، نجده يُقنع العقل، ويُمتع العاطفة في آنٍ واحد، حتى في الجملة التي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، إذ قال في الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾، وفي الآية الأخيرة قال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ أي: الخروج من القبور، والبعث والنشور». (١)

لقد ضرب القرآن الكريم أروع الأمثلة في إقناعه للعقل وتحريكه للعاطفة لدى الإنسان، و « هكذا تجد القرآن كله مزيجاً حلواً سائغاً، يُخفف على النفوس تجرّعها الأدلة العقلية، ويرفّه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسانية ». (١)

فالقرآن الكريم في خطابه للعقل والعاطفة معاً قد وازن بين جزئين رئيسيين في هذا الكائن البشري، الذي تباين في فهمه للحقائق بين أسلوب علمي وبين أسلوب أدبي، وكلا الأسلوبين يجدهما المتدبر في كتاب الله عَلَيْكَ.

❖ ثالثاً - الجمع بين الإجمال والبيان:

إنك إذا فتحت أيّ كتاب وتفحصت فيه فإنك ستجد أن الكلام الذي أمامك إما أن يكون مجملاً وإما أن يكون مبيّناً، ومعناهما: « المجمال: الذي له دلالة غير واضحة مثل: قوله "تعالى":

(١) القرآن الكريم رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي ص ١٧١.

(٢) علوم القرآن، رشدي عليان وآخرون ص ١٢٩.

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنه متردد بين الحيض والطهر، ولفظ (مختار) فإنه متردد بين الفاعل والمفعول، والميّن: الذي لا خفاء فيه مثل: قوله "تعالى": ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله "تعالى": ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣]، والكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بيان. (١)

ومن هنا يتبين أن الكلام إما فيه بيان إذا كان واضحاً وإما فيه إجمال إذا كان خفياً، والناس إذا قصدوا تبين أغراضهم لم تتسع لتفسير، أما إذا أجملوا وقعدوا في الكلام المبهم المشوب باللبس، أو في الكلام الموصوف باللغوي الذي لا يفيد، وأنى لهم أن يجمعوا بين الإجمال والبيان. « والإجمال والبيان أمران متقابلان لا يجتمعان في كلام واحد إن وجد الأول اضمحل الثاني، وإن وجد الثاني زال الأول، فكلام البشر إما أن يكون مجملاً، وإما أن يكون مبيناً ولا يكون بحالٍ من الأحوال مجملاً مبيناً في آن واحد هذا في كلام البشر، أما القرآن الكريم كلام الله ﷻ، فالأمر غير ذلك فهو خارق للعادة فلا عجب إذا أن يجتمع في آية منه واحدة البيان والإجمال جميعاً. (٢)

وفي كتاب الله آيات كثيرة جمعت بين الإجمال والبيان منها: قوله "تعالى" ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

ففي هذه الآية المباركة: « هل ترى كلاماً آيين من هذا في عقول الناس، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة، فإنك لو قلت في معناها: أنه "سبحانه" يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله: - لماذا يبسط الرزق لهؤلاء، ويقدره على هؤلاء؟ أصبت. ولو قلت: أنه يرزق بغير تقدير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاق أصبت، ولو قلت: أنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر وليحتسب أصبت، ولو قلت

(١) علوم القرآن، رشدي عليان وآخرون ص ١٣٣.

(٢) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٤٥.

أنه يرزق من غير معاتبة ومناقشة له على عمله أصبت، ولو قلت: يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر و حساب أصبت... ومن وقف على علم التأويل واطلع على معترك أفهام العلماء في آية رأى من ذلك العجب العاجب^(١).

فالقرآن الكريم في جمعه بين الإجمال والبيان قد فاق كلام البشر الذي لا يكون إلا مجملاً أو مبيناً، وترى الكتاب العزيز قد تميّز عن كلام البشر فتسمع أذنك الجملة منه وإذا هي مبيّنة مجملّة في آن واحد.

❖ رابعاً - التأثير بلا تأثر:

إنّ من طبيعة بني آدم - وهذا أمرٌ ملموسٌ في أنفسنا - أنّه عند الحديث والجدل مع الآخرين وهو في موطن الدفاع عن الذات أو إقناع الغير بما هو حقّ وصواب في نظره، بينما هي عند الطرف الآخر بخلاف ذلك تماماً، إنّه يُلمح من كلامه التأثر و الانفعال إمّا إيجاباً وإمّا سلباً، فتراه فرحاً مسروراً إن اقتنع خصمه وسلم إليه، بينما تراه حزينا مهموماً إن هو فشل في ذلك، حتى الرسل والأنبياء بل حتى أولوا العزم منهم "عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم" لم يكونوا بعيدين عن ذلك الشعور و الانفعال « خذ مثلاً نوحاً عليه السلام، حين جرت به السفينة وبمن آمن معه فتنبّهت فيه عاطفة الأبوة، فأخذ يُنادي ابنه يُحاول إقناعه - متأثراً - بهذه العاطفة فيناديه بأكثر العبارات دفقاً للاستعطاف من الأب لابنه (يا بني)، ﴿يَبْنِيَّ أَرْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، ويزداد تدفق العطف والاستعطاف: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ولم تحفل البنوة العاقبة باستعطاف الأب فأوت إلى فتوتها مخدوعة بقوتها: ﴿سَأْوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، فتجيبه عاطفة الأبوة التي لا تزال تتدفق: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣]، ثمّ تستدرك هذه العاطفة متشبثة بأمل: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾

(١) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز ص ١١٧-١١٨.

[هود: ٤٣]، حتى لا تقطع أملها ويحسم الموقف موجَّ كالجبال، ومع هذا فلم يقض هذا الموج بضخامته على عاطفته، فما زالت تتدفق، وترفع كفيها: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، ويأتيه الجواب الحكيم الذي لا يشوبه التأثر فتقنع وتسلم الأمر^(١).

إنَّ الكلام البشري حين تأثره وانفعاله أثناء حديثه سواءً كان ذلك إيجاباً أو سلباً، إنّما يدلُّ ذلك دلالةً واضحةً أنّه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنَّ الإنسان فيه من النقص والقصور، وأنَّ ذلك التأثر وأعراضه ما هو إلا تعويض لذلك الكائن بما يُحقّق غرضه ويُسبِّع رغبته « أمَّا القرآن الكريم فلا تظهر عليه هذه السمة في جدله بل تلمح من وراء العبارة قوة أعلى من أن تنفعل، قوة تؤثر ولا تتأثر تسوق الحجج والبراهين في عزّة من لا تنفعه الاستجابة ولا تضره المعصية^(٢) ».

كيف لا؟! والقرآن الكريم كتاب دعوة، وهذه الدعوة تسير في طريقها إلى أفئدة النَّاس بالإقناع والتأثير في نفوسهم، وحتى يصل القرآن الكريم إلى هذا الهدف نجده يُعالج النفوس بأساليب عديدة كي يبلغ إلى ما يُريده منها من التأثير والإقناع. فالقرآن الكريم في تأثيره في الآخرين قد امتاز بقوة العبارة، مع سَوِّق الأدلة والشواهد في كلّ أنفةٍ علياء، كأنه يُنادي في دعاة اليوم: أن اصدعوا بكلمة الحق في كلّ إباءٍ وصلابة ولا تحزنوا على من أخذته العزّة بالإثم.

❖ خامساً - براعته في تصريف القول على أفانين الكلام:

لقد امتاز القرآن الكريم بأنّه ذوو لباس فضفاض من الجدة والروعة، وإنّ عليه لرونقاً وبهاءً، لا يُصيب قارئه ملل، ولا سامعه سأم، ولا تاليه ضجيج وما هذا إلا لأنَّ القرآن الكريم يورد المعنى الواحد بألفاظٍ وأساليب متنوعة.

(١) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ٥٦.

وإن أردت مثلاً على ذلك التصريف للقول على أفانين الكلام فهناك بعض ما ذكره الشيخ الزرقاني ~ من أمثلة في ذلك حيث قال: « منها تعبيره - أي القرآن الكريم - عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجه الآتية:

١- الإتيان بصريح مادة الأمر، نحو قوله "سبحانه": ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

٢- والإخبار بأن الفعل مكتوبٌ على المكلفين نحو: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبًا عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٣- والإخبار بكونه على الناس نحو: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٤- والإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه نحو: ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أي: مطلوب منهن أن يتربصن.

٥- والإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب من غيره نحو: ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]، أي: مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم.

٦- وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر نحو: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

أو بلام الأمر نحو: ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩].

٧- والإخبار عن الفعل بأنه خير نحو: ﴿ وَسِعَلُونَا عَنْ آلِ تَمِيمٍ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٨- ووصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه بر نحو: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٩- ووصف الفعل بالفرضية، نحو: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ ﴾

[الأحزاب: ٥٠]، أي: بذل المهور والنفقة.

١٠- وترتيب الوعد والثواب على الفعل نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ. وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

١١- وترتيب الفعل على شرط قبله نحو: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

١٢- وإيقاع الفعل منفيًا معطوفًا عقب استفهام نحو: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، أي: تذكروا.

١٣- وإيقاع الفعل عقب ترجٍ نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

١٤- وترتيب وصفٍ شنيعٍ على ترك الفعل نحو: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] (١).

وبهذه الصورة تجد القرآن الكريم في تعبيره قد تعددت أساليبه لكن المعنى واحد، وهذا من فنون إعجازه الأسلوبية، وهذا التصريف للقول من نعم الله " تعالى " على عباده حتى ينتفعوا من قراءة القرآن والإنصات إليه، وتدبره والعمل به، أما من هجره فلم ينتفع به فلا عُذر له أمام الله ﷻ قال " تعالى " : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩].

فالقرآن الكريم في براعته في تصريف القول على أفانين الكلام بين أمر ونهي وغير ذلك مما جاء به قد ساق كل معنى بالكثير من الأساليب البيانية التي انتشرت كاللؤلؤ المكنون بين دفتي المصحف لمن أراد فيه تدبراً وفهماً.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني ج ٢ / ص ٢٢٩-٢٣١.

❖ سادساً - جودة السبك وإحكام السرد:

يُمكن القول بأنّ الكلام هو مرآة المعاني، فإن كان الكلام مترابط الأجزاء، محكم السرد، متناسباً تناسباً قوياً عند ذلك ستصفو معانيه وتنجلي للناظر إليها، أمّا إن كان بخلاف ذلك فإنّ معانيه ستكون مختلفة الأجزاء، وستغيب صورته على مرآته المخدوشة وإنّ كلام الله ﷻ « قد بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغاً لا يُدانيه فيه أيّ كلام آخر، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده، وتلويحه في الموضوع الواحد، فكأنها هو سبيكةٌ واحدة تأخذ بالأبصار على حين أنّها مؤلفةٌ من حلقات، كلّ حلقةٍ منها مستقلة في نفسها ذات أجزاء. » (١)

هذا هو كلام ربّ العالمين أمّا كلام البشر فهو بخلاف ذلك فإنّك إذا نظرت إليه « فستجد أكثرهم لا يتقنون تنظيم أغراضهم وأجزاء كلامهم بل يسوقونها أشتاتاً مفككة، وكثيراً ما عاب النقاد فحول الشعراء بسوء التخلص حين ينتقلون من معنى إلى معنى في القصيدة الواحدة، وقد يضطر خاطبوا البلاغة للربط بين غرض وغرض إلى استخدام أسماء الإشارة وأدوات التنيه أو كثرة التقسيم والترقيم والتبويب والعناوين وعبارات (أمّا بعد)، (وإنّا قلنا)، (ونقول كذا)، (قلت)، أو الإشارة في مقدمة الأبحاث إلى تقسيمه إلى أبواب وفصول كاعتذار مُسبق للانتقال الفجائي من معنى إلى معنى. » (٢)

فالقرآن الكريم جودة سبكه وإحكام سرده قد أبهر أعين الناظرين فيه، لما أكتنه من ثبات سوره وآياته وجمله وكلماته.

❖ سابعاً - النظم القرآني:

جاء في لسان العرب عن معنى النظم: « النَّظْمُ التَّأْلِيفُ نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْماً وَنِظَاماً

(١) علوم القرآن، رشدي عليان وآخرون ص ١٣٠.

(٢) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٤٠.

وَنَظَّمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ» (١).

كما جاء في المعجم الوسيط: «نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة.... التنظيم: المنظوم ومن كل شيء ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد» (٢).

الكلام عن النظم القرآني كلامٌ جميل، وقد ألف العلماء في نظم القرآن مرةً بالإشارة إليه في ثنايا مؤلفاتهم، ومرةً أخرى يُخصِّصون له مؤلفاً منفرداً وحده، وفكرة النظم القرآني من مظاهر الإعجاز القرآني التي قدّمها المختصون في علوم القرآن الكريم «وقد فتح أبو عبيدة القاسم بن سلام (٣) بكتابه (مجاز القرآن) الطريق إلى بيان الإعجاز القرآني عن طريق نظمه وتأليفه، وإن كان هو نفسه لم يعرض لبيان أسرار الإعجاز، ولكنّ الجاحظ (٤) هو الذي أدّاه إحساسه العميق بروعة النظم وما يكسب الكلام من الرونق والحيوية... فألف في ذلك كتاباً سمّاه (نظم القرآن)، ولعله أول من استعمل هذه اللفظة سواءً تردد مفهومها في ذهن من قبله، أم لا. وفكرة النظم عند الجاحظ لفظة تعتمد على حُسن الصياغة، وكمال التركيب، ودقة تأليف اللفظ، وجمال النظم.... ثم نجد فكرة النظم عند ابن قتيبة (٥) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) بلاغية، ويظهر هذا من إلحاحه في بسط مذاهب البلاغة المختلفة دون أن يقف أمام التركيب وضم الكلام بعضه إلى بعض على ما يقتضيه علم النحو....

(١) لسان العرب، مادة: (نظم) ج ١٢ / ص ٥٧٨.

(٢) المعجم الوسيط، مادة: (نظم) ج ٢ / ص ٩٣٣.

(٣) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام، ولد سنة ١٥٠ هـ، وتوفي سنة ٢٢٢ هـ واشتغل أبو عبيدة بالحديث والأدب والفقه، ومن مصنفاته: القراءات. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان ج ٤ / ص ٦٠.

(٤) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ، ولد سنة ١٦٣ هـ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ، من مصنفاته: الحيوان. انظر: الأعلام، الزركلي ج ٥ / ص ٧٤.

(٥) هو: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي أبو محمد الدينوري، ولد سنة ٢١٣ هـ، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ. انظر: هدية العارفين، اسماعيل باشا البغدادي ج ١ / ص ٤٩٠.

وقد رسم عبدالجبار الهمداني^(١) معالم فكرة النظم القرآني في كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) حين نصّ على أنّ أفراد الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بدّ مع الضم أن يكون لكلّ كلمة صفة.... لكنّ الذي أعطى فكرة النظم صورتها الواضحة، وميّزها تماماً مما قد يعلق بها، أو تعلق به هو عبدالقاهر الجرجاني^(٢) في كتابه (دلائل الإعجاز) وقد بسط عنده بفكرة النظم في القرآن...»^(٣).

هذه هي بعض ثمرات جهود السابقين في الحديث عن نظم القرآن الكريم حقّ لهم الشكر عليها.

فالقرآن الكريم في نظمه قد نقض عادة العرب فيما اتتلفوا عليه من ضروب الكلام من شعر ونثر ورسائل وحكم وأمثال؛ فلم يدع في نفس بليغ وفصيحٍ منهم موضع طمعٍ في أن يأتي بمثله، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتتقول.

❖ ثامناً – جمال وقع القرآن:

« والمراد بوقع القرآن أمران: ١- نظامه الصوتي. ٢- جماله اللغوي.

والمراد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغمّاته، واتصالاته وسكناته، اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً... وهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أحسّته الأذان العربية أيام نزول القرآن ولم يكن قد عهدت مثله، حتى خيّل إليهم أنّه شعر أو سحر. والمراد بجمال القرآن اللغوي: ما امتاز به في رصف حروفه وترتيب كلماته، حين تعطى حروفه حقها ومستحقها، كما هو مقرر في علم

(١) هو: عبدالله بن إحمد بن عبدالجبار بن الخليل الأسد آبادي الهمداني، توفي سنة ٤١٥ هـ، القاضي المتكلم، كان فقيهاً شافعيّاً. انظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ج ٣/ ص ٣٨٦.

(٢) هو: عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، توفي سنة ٤٧١ هـ، واضع علم البلاغة ومن أئمة اللغة. انظر: الأعلام، الزركلي ج ٤/ ص ٤٨.

(٣) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي ص ٢١.

التجويد... ولقد كان الجمال اللغوي والنظام الصوتي دليل الإعجاز من ناحية، ومن ناحية أخرى كان سوراً منيعاً لحفظ القرآن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه، فيبقى سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم فلا يجرؤ أحد على تغييره». (١)

فالقرآن الكريم في وقعه المتمثل في: نظامه الصوتي وجماله اللغوي قد كان من أسباب حفظه في الصدور قبل السطور.

فكان من أبرز خصائص الأسلوب القرآني أنه كتاب الله المجيد قد غاص في أعماقه العلماء بعد تدبرهم آياته و الإنصات إليها بقلب سخره الله "تعالى" للكشف عن أسرار إعجاز هذا الكلام الرباني الذي تحدى به الله ﷻ فصحاء العرب وبلغائهم بأن يأتوا ولو بآية منه - وأتى لهم ذلك -.

وكما أن للأسلوب القرآني خصائصه العامة فكذلك له مظاهره الخاصة عند حديثه عن المعصية والعصاة في القرآن الكريم كما سنبيّن ذلك في المطلب التالي " إن شاء الله "تعالى".

(١) علوم القرآن، رشدي عليان وآخرون ص ١٢٦.

المطلب الثاني: مظاهر الأسلوب القرآني في التحذير من المعصية

إنَّ الأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية أسلوبٌ يأخذ بمجامع القلوب، ويُجرك الأفكار تحريكاً، ويهز النفس البشرية، فقد راعى العامل التكويني للنفس البشرية حثاً وترغيباً، وتحذيراً وترهيباً، ولقد سلك القرآن الكريم في دعوته مع العصاة مسلكاً بديعاً في التبصرة والتذكير، وسلك مع كل صنف منهم مسلكاً رفيعاً في التوجيه والإرشاد، وعند التأمل في أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن المعصية يتبين لي مظاهر عدة هي:

❖ أ - حكاية القرآن الكريم عن أحوال المشركين وما احتجوا به من حجج ورد الله عليهم:

أورد القرآن الكريم حجج المشركين الواهية وردّها عليهم تعليماً وتوجيهاً فلا يجوز من العصاة الاحتجاج بما احتج به المشركون، قال "تعالى": ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال العلامة ابن عاشور ~ : « لأن هذه حقيقة كاشفة عن الواقع لا تصلح عُذراً لمن طلب منهم أن لا يكونوا في عداد الذين لم يشأ الله أن يرشدهم ». (١)

وإشارة ذلك تدل العاصي إلى أن التشبث بمشيئة الله لا تصلح له عُذراً على ما هو مقيم عليه من المعصية، لأن الله "تعالى" جعل له مشيئة تابعة لمشيئة الله يهتدي بها لأيّ الطريقين شاء، وله اختيارٌ في ذلك كما قال الله "تعالى": ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج ٧/ ص ٤٢٦.

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان: ٣].

وكقول رسول الله ﷺ: (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعْتَقُهَا).^(١) إلى غير ذلك من النصوص المشيرة إلى أن لضلال العبد وهدايته بعد قدر الله تعلقاً بمشيئة العبد واختياره.

❖ ب- بيان أن تحصيل الهداية لا يكون مصادفةً ولا عفويًا بل له سنن:

تتمثل في محاربة شهوات النفس ومصارعة نزواتها والاستعانة في ثنایا ذلك برّب الخلائق وإصلاح الباطن الذي هو محل نظره "سبحانه" حتى إذا اطّلع الله على صدق الرغبة في الهدى وجدّ الإنسان في تحصيلها سهّل له طرائق الهداية والرشاد قال "تعالى": ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وشاهد ذلك من واقعنا قول بعض الناس لمن يدعوه وينصحه أو لمن يظنّ به الصلاح (اسأل الله لي الهداية) ولا يبذل في تحصيلها شيئاً ويظنّ أنّها تنزل عفواً بدون طلب منه ومجاهدة لتحصيلها، فعلى تفسير من قال^(٢) بنزول هذه الآية قبل فرض القتال وأنّ المراد بها الجهاد للنفس والقيام بأمر الطاعة يلزم من التوفيق للهداية أن يسعى لها الإنسان ويطلبها ويبذل جهده وسعته في الوصول لطرقها ليتحقق له وعد الله الذي أكده في هذه الآية باللام ونون التوكيد الثقيلة لإرشاد الخلق وطمأنتهم مع أنّه لا أحد أصدق من الله قيلاً ولا أوفى بعهده منه إلا أنّ من جاهد نفسه واطلع الله منه على صدق المجاهدة لن يخيب سعيه بل لا بدّ له أن ينال من توفيق الله ما طلبه.

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح(٥٥٦)، وفي رواية: (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعْتَقُهَا).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ج ٥/ ص ٤٥٥.

❖ ج - الترهيب من المعصية والعقاب المترتب عليها:

حذّر القرآن الكريم من المعصية ومن العقاب المترتب على اقترافها فخاطب المشتغلين بها لعلهم أن يُحدثوا توبةً تمنع عنهم عاقبة السوء التي بآء بها من سلف. ومنه قول الله "تعالى": ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

قال الحافظ ابن كثير ~ في تفسير ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين:

﴿لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

« أي: حيث لم يُعاجلكم بالعقوبة، كما ثبت في الصحيحين: (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم)^(١)... إلخ ».

وقوله ﴿عَلَّكَ﴾: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧].

قال الإمام القرطبي ~ : « والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يُمتعون، وعن الزهري: إنَّ عمر بن عبدالعزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ	وليلك نومٌ والردي لك لازم
فلا أنت في الأيقاظ يقظانٌ	ولا أنت في النوامِ ناجٍ فسالم
تسرّ بما يفنى وتفرح بالمنى	كما سرّ باللذات في النومِ حالم

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ح(٥٧٤٨)، وصحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ، ح(٢٨٠٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٤/ ص ٥١٥.

وتسعى إلى ما سوف تكره كذلك في الدنيا تعيش

❖ د - مسلك الترغيب في الإقلاع عن المعصية، وفتح أبواب التوبة واستقامة الحال:

وهذا المسلك لمخاطبة المتسخين بأدران الذنوب المخالطين لها الذين ربما دبَّ اليأس والقنوط في نفس أحدهم حتى يُسوّل له الشيطان عدم قبول توبته عند الله "تعالى"، وهذه من مصائد ومكائد الشيطان التي يخرّب بها القلوب ليحول بينها وبين التضرّع والرجوع إلى الله وأولى آيات القرآن بالذكر في هذا الموضوع هي أرجى آيات القرآن كما حكاها غير واحد من أئمة السلف وهي قوله "تعالى": ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

والتي قال عنها الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية» كما حكاها الإمام القرطبي ^(١)، وهذه الآية لا تستثني أحداً من الخليقة فالكل عبيد لله ولا تستثني ذنباً ولا معصية فكل ما خرج بالعبء عن جادة الطاعة والامتثال فهو إسراف على النفس وتحميل لها لما لا تطيقه من الأوزار، وإن كان يختلف الجُرم باختلاف الخطيئة، والعجيب في هذه الآية توّدد الله لعباده العاصين وتحببهم إليه بإضافتهم إلى نفسه رغم إسرافهم على أنفسهم وتحميلهم لها ما لا تطيقه من الأوزار، وهذا أبلغ ما يكون التودد والترغيب في التوبة والإقلاع عن زواجر الله ومناهيها.

وإن ربنا "تبارك وتعالى" يغفر لمن يشاء من عباده الذين لا يشركون به لكنه مع

(١) تفسير القرطبي ج ١٣ / ص ٩٤-٩٥.

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي ج ٨ / ص ١٧٥.

ذلك دعا عباده للتعرض لأسباب المغفرة، وبين لهم أن أولى الناس بمغفرة ربّه هم أولئك الفطناء الذين أخذوا بأسباب المغفرة، وفي بيان ذلك يقول ربّي "تبارك وتعالى":

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « أي: كل من تاب إلي تبت عليه من أيّ ذنب كان، حتى أنّه تاب "تعالى" على من عبد العجل من بني إسرائيل ». (١)

وفي آية أخرى يظهر كرم الله ﷻ بعباده المؤمنين فهم حتى بعد وقوعهم في أعظم الذنوب ألا وهو الشرك فما بالك فيما دونها من الذنوب صغيرها وكبيرها؛ فإنّهم إن تابوا إلى الله توبةً نصوحاً وافية شروطها فإنّ الله يتوب عليهم بل ويبدّل سيئاتهم حسنات بمنه وكرمه "جلّ ربنا وتعالى" فيقول أعز من قائل:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « قوله "تعالى" ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك وآمن بالله وبلقائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحقّ ﴿ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ﴿ فَأُولَٰئِكَ ﴾ المذكورون أي: التائبون ﴿ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ أي: يمحو سيئاتهم بتوبتهم ويكتب لهم مكانها صالحات أعمالهم وطاعاتهم بعد توبتهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٧٠] ذا مغفرة للتائبين من عباده ذا رحمة بهم فلا يعذبهم بعد توبته عليهم ». (٢)

فليس يغفر ويمحو السيئات فقط بل يبدّل سيئاتهم حسنات، سبحانه ربّي ما أحلمك وما أرحمك وما أكرمك.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٥/ ص ٢٧١.

(٢) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ج ٣/ ص ٩٦.

❖ هـ - تحذير الإنسان من الشيطان وعاقبة إتباعه:

لقد اتخذ القرآن في ثنايا الحديث عن المعاصي والذنوب طريقاً يجعل النفس السليمة التي تتأثر وتتدبر تحمل تصوراً عن المعصية أنّها تبعية مقبولة لعدو متربص لا يريد لتابعه خيراً، بل يُريد أن يُضله ويغويه ليكون شريكاً له في عذاب جهنم والمقام فيها كما قال "تعالى": ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وهذا التعبير الدقيق الذي حصر الله فيه مقصد إبليس من غواية الخلق يدل على غدر الشيطان الرجيم ومكره فلا مقصد له إلا شراكة من يُغويهم معه في عذاب السعير، ولذلك نجد آيات كثيرة في القرآن تجعل متولي كبر الأوزار هو إبليس باعتباره الباعث والموسوس والموحي للبشرية بتزيين التمرد على أوامر الله، واقتحام زواجره ومناهيه، وهذا الأسلوب فيه إحاء للعاصي بأنه ضحية ولو كان آثماً ومرتكباً لما يُوجب له العقوبة فلا يتعاضم ذنبه أمام عفو الله، ولا يُقارن نفسه بمن غرر به فهذا الموسوس لا فكاك له من عذاب الله خلافاً لك أيها الضحية فلا زال الباب مفتوحاً أمامك لإصلاح الحال واستقامته، وهذا في الحقيقة أدعى إلى الأوبة والرجوع مما لو كان هو العاصي المدبر والمزين والفاعل والآثم وحده وقوله "تعالى":

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦].

قال العلامة ابن عاشور ~ في تفسير العُروور: «إظهار الشيء المكروه في صورة المحبوب الحسن». (١) وهذا إخبار من الله لعباده العاصين المتبعين خطوات الشيطان بأن موعوداته التي يعدهم إياها ليست إلا ضرباً من الأباطيل والأكاذيب، وهذا لو تأملناه اليوم لوجدناه سبباً رئيساً في بُعد الكثيرين عن الله وتكبيهم طريق

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج ١٤ / ج ١٢٣.

الهداية والرشاد، فلو علم الزاني يقيناً أنّ الزنا إلى جنب ما فيه من سخط الله وانتهاك محارمه ليس إلا حسرةً ومرضاً يجده الزاني في نفسه وربما في بدنه بعد انقضاء شهوته لما عاد إليه، لكن لعدم اليقين بأنّ وعد الشيطان بحصول لذة لا تتهياً بغير الزنا محض غرور وزور يعود الزاني إلى جرمه ترقباً لموعد الشيطان بحصول اللذة ونيلها وأنّى له، وكذلك حال شارب المخدرات فهو في همٍّ وغمٍّ وذهاب عقلٍ ومرضٍ وفقرٍ ومع ذلك يركض ويضحّي بكلّ شيء ترقباً لحصول موعد الشيطان بنسيان الهموم والمشاكل وأنّى لذلك الوعد أن يتحقق وقس على ذلك كلّ المعاصي، وغير ذلك من عشرات الآيات التي لا يمكن حصر جميعها.

هذه هي مظاهر أسلوب القرآن العظيم عند حديثه عن المعصية والعصاة في ثنايا القرآن المجيد يتجلى فيها تنوع الأسلوب القرآني في معالجته للمعصية والغارقين فيها ما بين تحذيره من طاعة الشيطان الرجيم، وما بين جمعه بين الترغيب والترهيب... وغير ذلك.



المبحث الثالث

نماذج من العصاة في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب :

- ✿ المطلب الأول: قصة ابني آدم .
- ✿ المطلب الثاني: قصة قارون .
- ✿ المطلب الثالث: قصة أصحاب السبت .
- ✿ المطلب الرابع: قصة أصحاب الجنة .

* * * * *

المبحث الثالث: نماذج من العصاة في القرآن الكريم

ورد ذكر العصاة في القرآن الكريم في ثنايا القصص القرآني في آيات السور القرآنية، وسأذكر نماذج منه في المطالب التالية:

✽ المطالب الأول - قصة ابني آدم:

✽ وَأَتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِيْتَهُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

[المائدة: ٢٧-٣٢].

قصة ابني آدم من القصص القرآني الذي ذكره المولى جل في علاه في ثنايا كتابه الكريم للعبظة والعبرة؛ فقد كان من أبناء آدم عليه قابيل وهابيل وكان من قصتهما أنه لم يكن في زمانها من فقير ولا مسكين يُتصدق عليه وإنما كانت الصدقة عبارة عن قربان يجمع في مكان فإذا جاءت عليه نارٌ فأحرقته فمعنى ذلك أن الله قد تقبله، ولما أراد كل واحد منهما تقديم قربان لله رب العالمين قدم هابيل من أطيب غنمه إذ كان ذا غنم أم قابيل فقد قدم من أخبث زرعه إذ كان ذا زرع؛ فتقبل الله من هابيل دون قابيل؛ فكان ذلك سبباً في حسد وحقد قابيل على أخيه فقتله بغياً وعدواً وكانت هذه هي أول

جريمة في تاريخ البشرية. (١)

هذا نموذج من نماذج ذكر العصاة في القرآن العظيم، يعكس طبيعة النفس الأمّارة بالسوء والداعية لكل شر، ويظهر فيه ضعف الإنسان وركونه لمراد نفسه الأمّارة فيتبع هواه ويستجيب لنوازع النفس الشهوانية بداخله، ويتجلى ذلك في حسد قابيل لأخيه هابيل واعتراضه على ما سنه الله ﷻ في ذرية أبيهم من نكاح؛ مما حمله بعد ذلك على الغدر بأخيه مما جعله يندم على فعلته الشنيعة تلك طوال حياته... ففي هذه الآيات المباركات يبدو لنا الإنسان حينما يخالف أمر الله ولا يرضى بما قسمه "تعالى" له فيطمع ويحسد ويحشع وهذه الصفات يبغضها المولى "جل ذكره" وحرّمها في جميع الشرائع السماوية، وها هو الحاسد يندم على ما جنت يدها أشدّ الندم فماذا عساه استفاد؟!!

✽ المطلب الثاني - قصة قارون :

✽ ✽ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَاهُ مِنَ الْكُوفِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْتَنَهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٣/ ص ٧٣-٨٥، وفي ظلال القرآن، سيد قطب

ج ٦/ ص ٨٧٢-٨٧٨، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ج ٥/ ص ١٨-٨٣.

وَيَكَاثُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَاثُهُ
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُنْقِذِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٧٦-٨٣].

قصة قارون من القصص القرآني الذي ذكره المولى جلّ في علاه في ثنايا كتابه
الكريم للعظة والعبرة؛ فقد كان قارون ابن عم موسى عليه السلام وكان قد آتاه الله عزو
وجلّ من المال ما تعجز عن حمله العصابة من الرجال، وقد بلغ من بغيه أن ادعى في
كبرٍ وغرور أنّ ما عند من مال إنما هو بعلمه وكده، وقد خرج ذات يوم على قومه في
كامل زينته في مراكب وملا بس وخدم وحشم ولما رآه بعض قومه ممن غرتهم الحياة
الدنيا وبهجتها تمنوا ألو كان عندهم ما عنده ولكن أهل العلم منهم نصحوهم، وكان
قارون قد حسد موسى عليه السلام فدبر له مكيدة ولكن الله فضحه فدعا عليه موسى عليه السلام
فخسف الله به وبداره الأرض وكان عبرة لكل متكبر. (١)

هذا نموذج من نماذج ذكر العصاة في القرآن الكريم يجسد طبيعة النفس
الإنسانية حيث تقع في الطغيان إذا استغنت إلا من عصمها الله وهداها رشدها، وفي
هذا النموذج يظهر كبرياء وتعالى المجرم قارون والذي تكبر على المحتاجين والمعوزين
من قومه وترفع عنهم وظنّ أنه بماله أفضل منهم، وتنكر لنعمة الله "تعالى" عليه
وأرجع ثروته إلى جهده ونصبه في جمعها، ولم يكن ذلك منه وحسب وإنما عادى نبياً
من أنبياء الله "تعالى" عادى وأذى الكليم موسى عليه السلام وافترى عليه أشنع فرية فعاقبه
الله "تعالى" بما يستحق؛ إذ خسف به وبداره الأرض وكان عبرة لكل متكبرٍ جبارٍ من
بعده.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج٦/ ص ٢٢٧-٢٣٣، وفي ظلال القرآن، سيد قطب
ج١٩/ ص ٢٧٠٢-٢٧١٤، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ج٢٠/ ص ٧٦-٨٣.

☆ المطلب الثالث - قصة أصحاب السبت:

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِم مَّهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

قصة أصحاب السبت من القصص القرآني الذي ذكره المولى جلّ في علاه في ثانيا كتابه الكريم للعة والعبرة؛ وقد عرّج سبحانه على قصة أصحاب إجمالا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥].

وجاء تفصيلها هاهنا؛ فقد كان هنالك أمة من أمم بني إسرائيل تسكن قرية أيلة (العقبة) - وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر قرب شبه جزيرة سيناء - وكان بنوا إسرائيل قد طلبوا من الله عزّ وجلّ أن يخصص لهم يوم راحة يعبدونه فيه فكان يوم السبت، وكان من ابتلاء الله لهم في هذه القرية أن ألهم الله تعالى أسماك الحوت أن تجتمع على شاطئ هذه القرية كلّ يوم سبت فكان الصيادون يرونها ولا يقدرّون أن يمسّوها؛ لأنّه يجرّم عليهم العمل في يوم السبت إلى أن احتالوا على ربهم جلّ في علاه - وأنى لهم ذلك فإنّه سبحانه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: ١٩] وقد نصحتهم طائفة من قومهم ونهتهم عن فعله، وطائفة أخرى سكّنت؛ فعاقب الله تعالى الفاسقين بأن مسخهم قرده خاسئين. (١)

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٣/ ص ٤٤٣-٤٤٨، وفي ظلال القرآن، سيد قطب

ج ٩/ ص ١٣٨٢-١٣٨٦، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ج ٨/ ص ٣٢٦-٣٣٤.

هذا نموذج من نماذج ذكر العصاة في القرآن الكريم يعكس هلع النفس وشحها وما عساه أن يحول بين طاعة الله فيها أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر إلى أن تطمئن النفس بذكر ربها وتقيم على ما فرضه عليها، وهو يبين حال شردمة من بني إسرائيل أحلوا ما حرم الله عليهم وتحايلا في ذلك - ظناً منهم - أن الله عز وجل غير مطلع عليهم، وبعد ما جرى بينهم وبين قومهم من مناصحتهم وإيائهم الاستجابة للحق وإصرارهم على منكرهم وانعزال كل فئة وحدها؛ أرسل الله على الفاسقين عذاباً أليماً بأن مسخهم قردةً خاسئين.

المطلب الرابع - قصة أصحاب الجنة :

﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَيْنَ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَانظُرُوا وَهُمْ يَوَخِفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تُسْتَحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [القلم: ١٧-٣٣].

قصة أصحاب الجنة من القصص القرآني الذي ذكره المولى جل في علاه في ثانيا كتابه الكريم للعة والعبارة؛ فقد كانت هنالك قرية قرب صنعاء اليمن وكان بها شيخ صالح له بستان عظيم وكان هذا الشيخ الطيب قد قسم حصاد بستانه ما بين ما يحتاجه البستان وما بين قوت نفسه وأهله لسنة وما بين صدقة الفقراء والمساكين، ولما مات وكان له ثلاثة أبناء ورثوه طمعوا واجتمعوا واتفقوا وحلفوا على ألا يكون لسائل من بستانهم شيء وأنهم أولى منه واتفقوا ليلاً أنهم مع أول الصباح سيخرجن لقطاف محصول بستانهم حتى إذا حضر الفقراء نهراً لم يجدوا شيئاً؛ ولكنهم لما أقبلوا على جنتهم وجدوها قد أصابها طائفٌ وبلاءٌ من الله تبارك وتعالى حتى أنهم شكوا أئمتها غير

جنتهم وفي النهاية آبوا وعادوا إلى ربهم. (١)

هذا نموذج من نماذج ذكر العصاة في القرآن الكريم يعكس طبيعة النفس الشحيحة وحالها مع النصح ودعوة الخير، وجزاء فعلها، ثم رحمة الله ولطفه بعباده إذا أنابوا إلى ربهم وتابوا من سوء فعلهم، وتتضح فيه قصة أسرة من الأسر الغنية والتي كان لها أبٌ كريم قد نذر لفقراء ومساكين بلدته قسماً من ريع مزرعته الثمينة الثمر، ولكنّ أبنائه كان في أنفسهم شيء من ذلك، وبعد مماته كانت فرصتهم لمنع الفقراء من مال الله "تعالى" وبيّتوا نية السوء لذلك بخلاً وشحاً منهم ومنعاً لزكاة المال ومع موعظة أخيهم لهم إلا أنّهم لم يستجيبوا؛ فأرسل الله ﷻ على بستانهم بلاءً كان سبباً في هلاكه فكان ذلك لهم درساً اهتموا بعده إلى جادة الصواب وعادوا إلى ربهم تائبين نادمين.



(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٨/ ص ٢١٣-٢١٥، وفي ظلال القرآن، سيد قطب ج ٢٩/ ص ٣٦٦٤-٣٦٦٦، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ج ٢٩/ ٧٤-٨٤.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

وسائل تقويم سلوك الإنسان في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

- ✧ المبحث الأول: مراعاة القرآن للنفس البشرية .
- ✧ المبحث الثاني: غرس الإيمان في نفس المسلم .
- ✧ المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في التحذير من المعاصي.
- ✧ المبحث الرابع: تكامل المنهج القرآني في هدم المعاصي وبناء سبل الإصلاح .
- ✧ المبحث الخامس: وضع العقوبات والزواجر بما يتلائم مع المعصية وأثرها .

المبحث الأول

مراعاة القرآن للنفس البشرية

وفيه مطلبان :

✽ المطلب الأول: تعريف النفس وخصائصها وطبيعتها.

✽ المطلب الثاني: أنواع النفوس وأسباب انحرافها ونظرة

الإسلام لها.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف النفس وخصائصها وطبيعتها

❖ المسألة الأولى: تعريف النفس لغة واصطلاحاً:

❖ أ - النفس لغة:

جاء في لسان العرب: « النَّفْسُ الرُّوحُ قال ابن سيده: وبينهما فرق ليس من غرض هذا الكتاب قال أبو إسحاق^(١): النَّفْسُ في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك خَرَجَتْ نَفْسُ فلان أي رُوْحُهُ وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في رُوْعِهِ، وَالضَّرْبُ الآخر مَعْنَى النَّفْسِ فيه مَعْنَى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وحقيقته تقول قَتَلَ فلانُ نَفْسَهُ وأهلك نفسه أي أَوْقَتَ الإِهْلَاكَ بذاته كلِّها وحقيقته والجمع من كلِّ ذلك أَنْفُسٌ ونُفُوسٌ ». (١)

❖ ب - النفس اصطلاحاً:

و اختلفت مشارب علماء الاصطلاح في تعريف النفس اختلافاً كبيراً، والذي يهمننا هو تعريف سلف الأمة لها، حيث عرّفها الإمام القرطبي^(٢) ~ بأنّها: « هي جسمٌ لطيفٌ مشابكٌ للأجسام المحسوسة يُجذب ويُخرج، وفي أكفانه يُلف ويُدرج، وبه إلى السماء يُعرج، لا يموت ولا يفنى،

(١) سبقت ترجمته ص ٢٦.

(٢) لسان العرب، مادة: (نفس) ج ٦/ ص ٢٣٣.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبدالله، القرطبي، توفي سنة ٦٧١هـ، من كبار المفسرين. انظر: الأعلام، الزركلي ج ٥/ ص ٣٢٢.

وهو مما له أول وليس له آخر، وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيبة وخبیثة»^(١).
 وقال الإمام ابن حزم^(٢) ~ : «ذهب سائر أهل الإسلام والملل المقررة بالمعاد إلى أن النفس: جسمٌ طويل عريض عميق ذات مكان، عاقلةٌ ممیزة، مصرفةٌ للجسد»^(٣).
 وقال الحافظ ابن حجر^(٤) ~ : «قيل: هي النفس الداخل والخارج، وقيل: الحياة، وقيل: جسم لطيف يحلّ في جميع البدن، وقيل: هي الدم، وقيل: هي عرض، حتى قيل إن الأقوال فيها بلغت مائة»^(٥).

✽ المسألة الثانية: خصائص النفس الإنسانية:

إن هذه النفس التي بين جنبي الإنسان قد وهبها الله "تعالى" القدرة على اختيار الطريق الذي ترى إما طريق الخير وإما طريق الشر لقوله "تعالى": ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ولكن النفس مع ما فيها من العقل الذي ميّزها عن سائر المخلوقات إلا أنّها قد تزل بها القدم وتتعرّش؛ لما فيها من صفات متباينة، وميزات متفاوتة، وخصائص متنوعة، وسمات مختلفة، وهذه الخصائص والسمات إن كانت سلبية ولم يتداركها الإنسان واتبع هواه وعصى أمر ربّه ﷻ؛ كان من الغاوين - والعياذ بالله - وهذه الخصائص هي:

- (١) تفسير القرطبي، القرطبي ج ١٥ / ص ١٧١، عند تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾.
- (٢) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، ولد سنة ٤٥٦ هـ. انظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ج ١ / ص ١٢١.
- (٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ج ٥ / ص ٢٠٢.
- (٤) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الكناني، الحافظ أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٧٧٣ هـ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ. انظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي ج ١ / ص ١٤٦.
- (٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ج ٨ / ص ٣٠٥.

❖ أولاً - النسيان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ إِنَّآ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧].

يقول الشيخ الشنقيطي ~ : « ذكر "جلّ وعلا" في هذه الآية الكريمة: أنه لا أحد أظلم. أي: أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكّر. أي: وعظّ بآيات ربّه، وهي هذا القرآن العظيم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: تولّى وصدّ عنها.... وقوله ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ أي: من المعاصي والكفر، مع أنّ الله لم ينسه بل هو محصيه عليه ومجازيه « (١).

إنّ النسيان من الإنسان لأوامر الله ونواهيه خروجٌ من الطاعة إلى المعصية بسبب وسوسة الشيطان له، فتزيين إبليس الذنب له ينجرّف المرء إلى الهاوية ناسياً أنّ الله مطلعٌ عليه في خلواته لا تخفى عليه خافية "سبحانه".

« والنسيان أول مواقف الهوى، إذ هو موافقة لمطالب عاجلة تريد اشباعاً، ومشاكلة للحاجات الشهوية التي تودّ تحقيقاً، والنسيان تأكيدٌ للضعف الانساني، ومسايرةٌ للجبلات المودعة في باطن النفس وتأييد لهذا الضعف يقول "تعالى": ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) [النساء: ٢٨].

وللنسيان درجات أوله ما يكون مصدره الضعف، وعدم القدرة على مجاهدة النفس والشيطان جميعاً فتخور إرادة الإنسان، ويفتر عزمه، فيسقط في لحظة الضعف في النسيان ويقع بذلك في الإثم والعدوان.

إلا أنّ النسيان إذا ما تطبّعت به النفس الإنسانية، واستسلمت له وأسلمت قيادها للهوى الذي هو مصدره الأول، اتصفت بحال الغفلة، لطول عهدها في النسيان: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]...

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ج ٣/ ص ٣٧٤.

ومادامت النفس ناسية لله غير ذاكرة له "تعالى"، فإن الله "تعالى" ينسي تلك النفس ومن ثم تحيا حياة الضياع والهَمِّ والغمِّ والقنوط واليأس: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]... (١).

فيا حسرة نفس نست الله فنسيها، ويا خسارة من انتهك حرمة الله وتمادى في عصيانه ولم يذكر مراقبة الله له فاتاه الموت على حين غفلة منه.

❖ ثانياً - الغفلة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) [يونس: ٧].

يقول الشيخ السعدي ~ : « يقول "تعالى" ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤمنون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلاً عن الآخرة. ﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأيّ طريق حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها.... ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود. ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين هذا وصفهم ﴿مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي: مقرّهم ومسكنهم التي لا يرحلون عنها. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨) من الكفر والشرك وأنواع المعاصي. (١)

فالنفس الغافلة عن الله "تعالى" بعيدة عن ربّها، تائهة في ظلماتها، بصيرتها في عمى وتيه عن الحقّ ترى ما هي عليه من عصيان أنّه حرية شخصية، وليس من حق

(١) التربية النفسية في المنهج الإسلامي، حسن الشراقوي ص ٥٦.

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ٣٥٨.

أحد التدخل في خصوصيات العاصي.

و « إذا أصيبت النفس بهذا الداء - الغفلة - صعب علاجها، لأنها انحرفت عن طريق الحق والاستقامة، فتطبعت بالأخلاق المردولة، والصفات السيئة، لذلك يأمرنا "تعالى" بعدم موافقة الغافلين وتجنب طاعتهم لأنهم مسرفون ومفرطون وأصحاب أهواء: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) [الكهف: ٢٨].

والنفس الغافلة تتدرج في غفلتها حتى تصبح كالبهيمة تقودها متطلباتها الحسية وحاجاتها البطنية والجنسية ولا تنظر إلى عواقب الأمور والتي يمكن أن يترتب على فعلها هلاكها وعطبها:

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩) [الأعراف: ١٧٩]. (١)

إن الغفلة عن الحياة الحقيقية هي حقيقة الحرمان وحقيقة البؤس والشقاء، إن الذي لم يطعم حقيقة الإيمان والتوحيد والإخبار لله والانطراح بين يديه والذل له وحده دون ما سواه؛ يعيش بعيداً عن الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية ولو حاز الكنوز والقصور، ولو ركب الطائرات واستقلّ البواخرات، ولو سكن في الناطحات.

❖ ثالثاً - الضعف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) [النساء: ٢٨].

قال العلامة الزمخشري ~ : « ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ إحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات». (٢)

(١) التربية النفسية في المنهج الإسلامي، حسن الشراوي ص ٥٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري ج ١/ ص ٤٠٠.

و الإنسان ضعيف بطبيعته أمام الشهوات والمغريات، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).^(١)

ومهما حاول المؤمن أن يصون نفسه عن المعاصي، وأن يزداد إيماناً مع مرور الأيام بحسن العمل الصالح، لكن تأتيه أوقات يشعر فيها بالهشاشة أمام المعاصي، ويشعر أن صراعاته السابقة مع نفسه والشيطان تكاد تضيع أمام لحظة ضعف، وكأنه يفقد مدخراته الإيمانية فجأة.

❖ رابعاً - البخل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « فَإِنَّ اللَّهَ "تعالى" يُخْبِرُ عَنْ خَطَأِ الْبَخْلَاءِ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الْمَالَ وَيَبْخُلُونَ بِهِ فَيَقُولُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ أَي: وَلَا يَظُنُّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَبْخُلَهُمْ بِهِ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا يَظُنُّونَ بَلْ ﴿هُوَ﴾ أَي: الْبَخْلُ شَرٌّ لَهُمْ، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ الْأَوَّلِ مَا يَلْحَقُهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعْرِةِ الْبَخْلِ وَآثَارِهِ السَّيِّئَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَالثَّانِي أَنَّ اللَّهَ "تعالى" سَيُعَذِّبُهُمْ بِهِ بِحَيْثُ يَجْعَلُهُ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فِي أَعْنَاقِهِمْ، أَوْ بِصُورَةِ ثَعْبَانٍ فَيَطْوِقُهُمْ ». ^(٢)

فالبخل من صفات النفس الموجودة في تكوينها الداخلي، والذي لا ينفك عنها إلا بالمجاهدة، فالإنسان البخيل بما أودعه الله "تعالى" عنده من مال على الفقراء

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ح(٢٨٢٢).

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري ج ١ / ص ٢٢٦.

والمساكين إنما يجرم نفسه من رضا رب العالمين، وهو قد صار عبداً لهواه ودنياه.

« والنفس الإنسانية خلقت من عناصر متعددة يتفق بعضها مع البعض أحياناً وتختلف في أحيان أخرى، فعلاوة على الضعف الإنساني - الترابي فهناك البخل الذي لا يدل على المعرفة، بل على العكس من ذلك يوصف صاحبه بالدناءة والخسة، والذي يتصف بالبخل إنما يتصف بأوصاف مذمومة، ليس من بينها صفات العفة والشجاعة وقد ورد هذا في قوله "تعالى": ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

ولقد اقتضت مشيئة الله ﷻ أن تخلق النفس الإنسانية من مادة الطين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، قَالَ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١].

والبخل هو مقتضى جبلة الطين، فصفت البخل تجدها أيضاً في صفات الطين فليس في الطين سخاء ولا جود، بل يوصف حامله بالقذارة والوسخ، ويرغب المرء في التخلص منه عندما يعلق به، والطين دال على المحسوس والسفلي والهابط الأرضي من الأشياء لأنه أبداً معتم كثيف، وهو أقل المواد حساسية وأدناها شفافية ونوراً، وأضعفها إشعاعاً، والعجيب أن الإنسان يحمل في نفسه هذا العنصر الطيني كجزء من مكوناتها، ورغم أن هذا العنصر في جبلته رضي الإنسان عن ذلك أم أبى، إلا أنه يرفض أن يتحلى به في الظاهر بشكل أو بآخر فيغسل ملابسه منه، ويتطهر من أدرانه، ويُنظف أوانيهِ إذا مسّها شيءٌ منه، أمّا من داخله، فلا يستطيع منه خلاصاً، حيث أنّ تركيبه من الداخل يحوي هذا العنصر كجبلة فيه، ولذلك فقد تعالى إبليس على آدم، وذلك لعلمه أن آدم يحوي هذا العنصر من هذا الطين واستكبر في غرور أن يسجد له لأنه يعرف أنه خلق من نار، تصديقاً لقوله "تعالى": ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طِينِ ﴿١٢﴾ [الأعراف: ١٢]. (١)

والموفق من غلب بخل نفسه، وبذل حياته لربّه، وأنفق في وجوه الخير راجياً
النجاة في يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

❖ خامساً - الشهوة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ [آل عمران: ١٤].

قال الإمام البغوي ~ : «قوله "تعالى": ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ جمع
شهوة وهي ما تدعو النفس إليه ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ بدأ بهنّ لأنهنّ حباثل الشيطان
﴿وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير
بعضه على بعض.... قوله "تعالى": ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ قال الضحاك: المحصنة
المحكمة.... فالقناطر ثلاثة والمقنطرة تسعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ وقيل: سُمِّي
الذهب ذهباً؛ لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة لأنها تنفض أي تتفرق ﴿وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحداً فرس، كالقوم والنساء ونحوهما،
المسومة قال مجاهد: هي المطهّمة الحسان.... ﴿وَالْأَنْعَمِ﴾ جمع النعم، وهي الإبل
والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه ﴿وَالْحَرْثِ﴾ يعني الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ الذي
ذكرنا ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أنّها متاع يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ
﴿١٤﴾﴾ أي: المرجع، فيه تزهد في الدنيا وترغيب في الآخرة». (١)

فالشهوة تجري في عروق الإنسان كجري الدم فيها، وهي مما فطر الله "تعالى"
عليه كلّ النفوس فمنهم من تجاوز حدّ الله ﷻ فيها وطغى، ومنهم من انضبط فيها

(١) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبدالعال الخراشي ص ٣٧.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ج ٢/ ص ١٥.

واهتدى.

« وفي جبلة النفس تركيب من أكثر التراكيب فساداً، عندما يكون تابعاً للنفس وحظوظها وأهوائها، ألا وهو الشهوة، والشهوة حرارة تظهر في الجسم، فتفقدته توازنه واتزانها، والشهوة بهذا المعنى حركة، والحركة غفلة، والغفلة عجلة، والعجلة نقص وتبدو شهوات النفس التي يختل بها البدن رغبات لا تشبع، وأهواء لا تقاوم، وشره لا يفتر فهي طبيعة خنزيرية من أصل شيطاني، أو هي كالنار الموقدة تشتعل بها النفس، فلا يتوقف سعيها، ولا تحمد وقدتها إلا بضدّها وقد ورد هذا التركيب الشهوي للنفس في قوله "تعالى": ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] كما ورد في قوله "تعالى": ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [الأعراف: ٨١]

فالشهوة المقصودة هنا ليست الشهوة المباحة التي يُعمر بها الإنسان هذا العالم، والتي منها التكامل وبقاء النوع - وإنما هي شهوة الضعف والجهل والبخل والشره، والتي لا تربطها رابطة بوازع من ضمير، ولا تنتمي إلى مكارم الأخلاق في قليل أو كثير» (١).

والإنسان في هذا الزمن لا سيّما مع الانفتاح الكبير الذي نراه في وسائل الاتصالات والمواصلات الحديثة والتي تُسهّل على الإنسان الاتصال والوصول إلى المحرمات في سريعا؛ هو في صراعٍ مريعٍ مع شهواته الجنسية منها وغيرها، فالناجي من وقف أمامها صابراً عليها، باغياً رضاء ربّ الأرض والسموات.

❖ سادساً - الجهل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبدالعال الخراشي ص ٣٨.

يقول العلامة الرازي ~ : « الإنسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب ». (١)

و العاصي حين معصيته جاهلٌ بما تؤول إليه تلك المعصية من عواقب في دنياه وأخراه.

« الجهل ضدّ العلم، ولقد اقتضت مشيئة الله "تعالى" أن يكون الإنسان جهولاً لحكمة يعلمها "سبحانه" حتى يحض الإنسان على المجاهدة، ويدفعه إلى سلوك طريق العلم والمعرفة، فلو فطر الإنسان عالماً بالله ما كابد ولا جاهد، بل أصبح ملائكياً لا يعرف إلا الخير والفضيلة، ولا يعبد على الحقيقة، ولا يسجد إلا له "تعالى".

وعلى النقيض من ذلك فإنّ الجهل ادّعاءً كاذب، وفقرٌ في النفس، وتظاهرٌ بالعلم، وعلامةٌ للكذب، وحبابٌ للحقيقة والحق، فالجهل مقتضى الطبيعة الصلصالية التي تحجب ما خلفها وتسدّ النور والضياء أمامها، والجهل من مادة كثيفة تزيد المكان الذي تحلّ فيه ظلمة وإظلاماً، والجاهل يركن إلى هوى النفس التي تدفعه إلى الطيش والسفه، والإنسان يحمل جهله الصلصالي الذي يحجبه عن المعرفة فيظلم قلبه، ويظلم غيره وفي هذا المعنى ورد قوله "تعالى": ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] والجاهل بهذا المعنى يرى الأمور بغير بصيرة فتكون أحكامه أبداً - خاطئة ورؤيته قاصرة، ونظرته عاجزة لأنّه يرى الظلام نوراً، والحق باطلاً، تحرّكه الشهوة، ويدفعه الضعف، ويقوده الشره، ويسلبه البخل فيغيّر الموازين، ويعبث بالمكاييل، ويظنّ في الخير شراً وفي الشر خيراً، تعالياً وتكبراً، وفي هذا المعنى يقول "تعالى": ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وهذا من صفات الجاهل الذي يخيب ظنّه في الأمور، ويقصر علمه، كما حدث لأخوة يوسف عليه السلام الذين كانوا من الظالمين الجاهلين، ويقول الله "تعالى" فيهم:

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ج ١٢ / ص ٣٨٩.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَٰيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩]. (١)

فالجهل الحقيقي ليس في عدم معرفة القراءة والكتابة، وإنما هو الجهل بالله ﷻ وبما يحبه ويرضاه.

وهكذا هي النفس الإنسانية الضعيفة بما فيها من خصائص متباينة تضطرب أمام الشهوات وتهتز ولا تثبت على طريق الهدى، فتتزلق في حفرة المتعة الزائلة وتحيد عن الصراط المستقيم إلا أن يشاء الله ﷻ لها التوبة مما اقترفت أو الحماية من الغواية وهذا هو ثمرة التدين الصحيح.

✦ المسألة الثالثة: طبيعة التكوين النفسي للإنسان:

للكائن البشري قوى متحرّكة صادرة من داخله، والتي لها أثرها الفعّال في تشكيل السلوك الظاهري عنده، وإذا نظرنا لتكوين الإنسان فإننا نجد أنه يتكوّن من قوتين أساسيتين فيه وهما:

❖ ١- قوة الغضب:

أمّا القوة الأولى فهي قوة الغضب عند بني آدم، وهي من القوى الطبيعية في الجبلة الإنسانية والمطلوب من المسلم الاعتدال بين الشدة واللين في هذه الشهوة، وإنّ الغضب « لا يُعدّ عند بعض الأئمة شراً كاملاً، إنّما يرى في بعض الأحيان صالحاً وتاماً، وذلك عندما تقتضي الحكمة ذلك، فإذا كان الغضب من أجل الدفاع عن الوطن أو العرض أو الحقّ أو الدين (٢) كان ذلك دليلاً على صلاحه وتمامه بشرط أن يكون مرتبطاً بالحكمة، ومقترناً بها، إذ هي الأساس الذي يُحرّك هذه القوة في الطريق المستقيم والعمل الصالح، أمّا إذا كان الغضب بلا حكمة أو بلا سبب، مما سبق ذكره،

(١) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبدالعال الخراشي ص ٣٩.

(٢) والصحيح تقديم الدفاع عن الدين على غيره؛ لأنّ الدين مقدم على كل الضرورات الأخرى.

استخدمت هذه القوة في غير موضعها، وكان صاحبها أثماً، ومن ثمّ تعتبر هذه القوة فاسدة وذميمة، ويتصف صاحبها بالخلق السيء». (١)

❖ ٢- قوة الشهوة:

والقوة الثانية هي قوة الشهوة في الإنسان، وهي قوة أيضاً أوجدها الله في نفس الإنسان والإسلام دعا إلى الوسطية في هذه الشهوة فلا إفراط ولا تفريط، ومن المعلوم أنّ هذه الغريزة « لا تُعد في جميع الأحوال من الرذائل، إذ أنّها قوة من قوى الإنسان الحسنة، متى كانت تتبع ما تقتضي به الشريعة، وما يحكم به العقل، والقوة الشهوانية إنّما تكون صالحة وحسنة، إذا سارت تحت إمرة الحكمة، واتبعت الصراط المستقيم، أمّا إذا استخدمت الشهوة لجلب اللذات وموافقة الأهواء، بلا حُكم شرعي فإنّما يكون صاحبها من الضّالين، نفسه ظلومة ظالمة؛ لأنّه يُخالف الشرع والعقل، ويقترب الآثام، ويأمر بالمحظورات والمحرمات، ويأتي بالمستقبحات، وهنا لا يمكن أن يُعرف بالحكمة، وإنّما يُوصم بالسفه والجهالة والرعونة والطيش». (٢)

ولقد كان مدخل الشيطان على بني آدم وسلاحه الفتاك الذي استخدمه في إغواء بني آدم الأول هما هذين السلاحين فما أخرج الأبوين من الجنة إلا بسبب الشهوة فأكلا من الشجرة، وما أُلقيت العداوة بين ذريتهم إلا بسبب الغضب فقتل أحدهما الآخر.

وهذا الإنسان بهذه النفس المكونة من تلكم القوتين - القوة الغضبية والقوة الشهوانية - فإنّه ذو قابلية أكيدة للتفكير في المعاصي بأنواعها وفي ذلك يقول أ/ توفيق علي وهبة: « وسعادة الإنسان في الحياة لا تتوقف على أن يكون سليماً من الذنوب سلامة مطلقة لا تشوبها شائبة؛ لأنّ العصمة من الخطايا والتجرّد لمحض الخير والطاعة شأن الملائكة المقربين لأنهم - بمقتضى تكوينهم - لا يعصون الله ما أمرهم

(١) المرجع السابق ص ٧٥.

(٢) المرجع السابق ص ٧٥-٧٦.

ويفعلون ما يؤمرون، أمّا الإنسان فإنه بما رُكب فيه من قوتي الشهوة والغضب على استعداد للتفكير في الذنوب، والوقوع فيها وكثيراً ما تقف إرادته عاجزة عن مكافحة عوامل الغضب والشهوة، فتطغى عليه وتُخرجه عن الحدود التي رسمها الله ﷻ وبذلك تأتي المخالفة، ويقع في المعصية على أن الوقوع في الذنب لا يمكن أن يكون حائلاً بين العبد وبين السعي للحصول على عفو ربه وغفرانه، فإن ذكر الله، والإحساس بثقل المعصية يدفعان المؤمن إلى المسارعة لطلب المغفرة والرحمة والهداية، يقول الله "تعالى": ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].^(١)



(١) الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية، توفيق علي وهبة ص ١٦٥.

المطلب الثاني: أنواع النفس وأسباب انحرافها ونظرة الإسلام لها

❖ المسألة الأولى: أنواع النفس في القرآن الكريم:

إنّ من الواضح أنّ الأنفس تتفق لدى النّاس في ذواتها وأجناسها لكنّها تختلف في صفاتها وسماتها، إذ أنّ ذلك الاختلاف له أهميته في إيمان الشخص وإنفراده به عن غيره، والأنفس ثلاثة أنفس بناءً على هذا التباين في صفاتها: وهي النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء.

وقد فصل الإمام ابن القيم ~ الحديث في هذه الأنفس في كتابه (الروح) وما يلي عرضٌ لبعض مما قاله في كلّ نفس:

❖ ١- النفس المطمئنة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) [الفجر: ٢٧].

قال الإمام البغوي ~ : « وقوله **عَلَيْكَ**: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) إلى ما وعد الله **عَلَيْكَ** المصدقة بما قال الله، وقال مجاهد: "المطمئنة" التي أيقنت أنّ الله "تعالى" ربّها وصبرت جأشاً لأمره وطاعته، وقال الحسن: المؤمنة الموقنة، وقال عطية: الراضية بقضاء الله "تعالى". وقال الكلبي: الآمنة من عذاب الله. وقيل: المطمئنة بذكر الله، بيانه: " قوله ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١) .» (١)

يقول الإمام ابن القيم ~ : « ومدارها على أصلين هما: طمأنينة العلم والإيمان وطمأنينة الإرادة والعمل، وتُسمّى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربّها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه، وتظهر محبتها وخوفها ورجاءها

(١) معالم التنزيل، البغوي ج ٨/ ص ٤٢٣.

لله، في صرف النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه، فالطمأنينة إلى الله ﷻ حقيقة ترد منه "سبحانه" على قلب عبده تجمععه عليه، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويُبصر به ويتحرّك به ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد: ٢٨]. (١)

ومتى كانت نفس المرء مطمئنة ارتقت بصاحبها لأعلى درجات الاستقامة والالتزام بالدين.

❖ ٢ - النفس اللوامة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢) [القيامة: ٢].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « ومعنى النفس اللوامة: النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره، أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها، قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، لا يرى المؤمن إلا يلوم نفسه ما أردت بكذا ما أردت بكذا، والفاجر لا يعاتب نفسه، قال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم تعمله؟ وعلى الخير لم تستكثر منه؟ قال الفراء: ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلاّ زدّدت، وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل، وعلى هذا الكلام خارج مخرج المدح للنفس، فيكون الإقسام بها حسناً سائغاً، وقيل: اللوامة هي الملوّمة المذمومة، فهي صفة ذمّ، وبهذا احتج من نفى أن يكون قسماً، إذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم به، قال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسّر

(١) الروح، ابن القيم ص ٢٢٠.

في الآخرة على ما فرّط في جنب الله، والأوّل أولى» (١).

يقول الإمام ابن القيم ~ : «اللفظة مأخوذة من اللوم، وهي على نوعين، أحدهما: لوامة ملومة وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته، لأنّها رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها، ولم تحتمل في الله ملام اللوم، والثانية: لوامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة، وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله ﷻ» (٢).

والنفس اللوامة في الدرجة الثانية تحت درجة النفس المطمئنة، وعلى حسب لومها لنفسها تكون درجاتها، فالنفس اللوامة الملومة أدنى درجة من النفس اللوامة الغير ملومة، وهي بهذا اللوم تقترب من درجة النفس المطمئنة، وهي في درجة متوسطة بين الأنفس.

❖ ٣- النفس الأمارة بالسوء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال الإمام الشوكاني ~ : «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» أي: إنّ هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها، وكفّها عن ذلك ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي: إلا من رحم من النفوس فعصمها عن أن تكون أمارة بالسوء، أو إلا وقت رحمة ربّي وعصمته لها، وقيل: الاستثناء

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٧/ ص ٣٦١.

(٢) الروح، ابن القيم ص ٢٢٦.

منقطع، والمعنى: لكن رحمة ربي هي التي تكفيها عن أن تكون أمارة بالسوء» (١).
 ويقول الإمام ابن القيم: « وهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له، كما قال الله "تعالى" حاكياً عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال، فإن خلا الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال، وإن وفقه وأعانها نجا من ذلك كله» (٢).

وهذه النفس هي التي وضعت صاحبها في أدنى درجات الالتزام، وهذا نذارة للهلاك إن لم يشرح الله "تعالى" صدره للإسلام.

والنفس الأمارة من صفاتها أثمها هلعة وأثمها شحيحة لقول الله "تعالى" عن الأولى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ ١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ ٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ ٢٢ ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

ويقول عن الثانية: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ١٢٨ ﴾ [النساء: ١٢٨] وقوله: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ٩ ﴾ [الحشر: ٩]، فإن زكت وأطاعت ربها رضيت واطمأنت وإن ركنت إلى هلعها وشحها استقامت على الأمر بالسوء والحرص عليه.

والنفس الإنسانية ليست متعددة في ذواتها وإنما هي متعددة في صفاتها فمن صفتها أثمها مطمئنة، وأخرى صفتها أثمها لوامة، وثالثة صفتها أثمها أمارة بالسوء « ولقد وقع في وهم كثير من الناس أن الإنسان ثلاثة أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء، ويحتجون على ذلك بقوله "تعالى": ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٢٧ ﴾

(١) فتح القدير، الشوكاني ج ٤ / ص ٤٣.

(٢) الروح، ابن القيم ص ٢٢٦.

[الفجر: ٢٧].

وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۙ﴾ [القيامة: ١-٢].

وبقوله "تعالى": ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ۗ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۙ﴾ [يوسف: ٥٣].

والحقيقة أنها نفسٌ واحدة، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفةٍ باسم..... فهي إذن مراتب ومستويات لنفسٍ واحدة، أدناها الأمانة بالسوء، وأعلىها الاطمئنان بالاتجاه إلى الله. (١)

المسألة الثانية: أسباب ودوافع فعل المعصية:

هنالك مجموعة من العوامل التي تكون سبباً وتؤدي إلى الوقوع في الذنب، أعرض لأهمها فيما يلي:

١- انحراف الفطرة:

وهو العامل الرئيس الذي يؤدي بالمرء إلى الوقوع في أصناف المعاصي والسيئات، وهو أساس الانحراف عن الفطرة السليمة وذلك مثبت بأدلة الكتاب والسنة فالكافر يقترف معصية الشرك وهي أعظم المعاصي والذنوب التي لا يغفرها الله للناس، أمّا ما دونها فهو تحت المشيئة الإلهية إن شاء "سبحانه" عاقب وذلك بحكمته وعدله، وإن شاء "تعالى" غفر وتجاوز وذلك بمنه وفضله، قال "تعالى": ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۙ﴾ [النساء: ٤٨].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « أخبر "تعالى": أنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي:

(١) القرآن الكريم رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي ص ٩٩-١٠٠.

من عباده». ()

إذا فالانحراف عن الفطرة من العوامل المؤدية إلى ارتكاب المعاصي والسيئات.

❖ ٢- ضعف الايمان:

من أسباب ارتكاب المسلم للذنوب والمعاصي ضعف الإيمان، وذلك أن قوة الإيمان وزيادته مما يُقَرِّب المرء من الله "تعالى" وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

يقول الإمام الشوكاني ~ : « والمعنى: أنهم لم يفشلوا لما سمعوا ذلك، ولا التفتوا إليه، بل أخلصوا لله، وازدادوا طمأنينة، و يقيناً. وفيه دليل على أن الإيمان يزيد، وينقص». ()

وقد بينت السنة النبوية المطهرة أن العاصي حال معصيته يكون في حال من ضعف الإيمان يكاد يُسلب منه بسببها ثم يرجع إليه عندما يتوب إلى الله "تعالى" ويندم عما بدر منه، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن). ()

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٢/ ص ٣٢٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ج ٢/ ص ٥٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ ، ح (٥٢٥٦) ، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، ح (١٠٠).

وكان عليه كالظلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان).^(١)

ويُورد شيخ الإسلام ابن تيمية ~ في استعراضه لهذا الحديث قول أهل السنة والجماعة عن إيمان العاصي والفاسق فيقول: « قول أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق، ولا يعطونه على الإطلاق، فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته ». ^(٢) ومن ما سبق يتبين أن ضعف الإيمان من أهم الأسباب التي تقود الأفراد للوقوع في المعاصي المتنوعة صغيرها وكبيرها.

❖ ٣- اتباع هوى النفس:

من أبرز الأسباب لوقوع كثير من الناس في الذنوب والمعاصي إتباع هوى النفس الأمارة بالسوء، والعمل على نيل شهواتها بكافة السبل المنهي عنها، فعلى سبيل المثال الشهوة الجنسية لدى الإنسان إن لم توجه التوجيه الشرعي الرشيد - وذلك بالزواج الشرعي - واتباع صاحبها هواه الضال فإنها لا محالة ستتحرف به عن مسارها السليم إلى المسار الخاطيء المتمثل في الفواحش من زناً وشذوذ - والعياذ بالله-، وقد قال "تعالى" ممتدحاً ومثنيّاً على من لم يتبع هواه وكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء وقادها إلى أنوار الإيمان والاستقامة حتى يحوز رضا ربه ﷻ وجنته: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

قال الشيخ السعدي ~ : « ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدّها عن طاعة الله، وصار هواه تبعاً لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ [المشتملة على كل خير وسرور ونعيم] ﴿هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ لمن

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح (٤٦٩٠)، قال الألباني: (صحيح)، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح (٤٦٩٠) ج ١٠ / ص ٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٧ / ص ٦٧٣.

هذا وصفه». ()

ولما يترتب من اتباع الهوى من مساويء ذم الرسول الكريم ﷺ المتبع لهواه الذي يحرفه عن الصراط المستقيم ويجعله أسيراً للفواحش والسيئات حيث يصير ذليلاً في لهثه إليها وإشباع نهمه منها بأي وجه كان، عن خولة بنت قيس > قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا المال خضرة حلوة، من أصابه بحقه بورك له فيه، ورب متخوِّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار). ()

قال الإمام الشعبي ~ : «إنما سُمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه». ()

وقال الإمام مجاهد ~ : « ما أدري أيّ النعمتين علي أعظم، أن هداني للإسلام، أم عافاني من هذه الأهواء». ()

ومن هنا يتبين أن اتباع هوى النفس من أهم الطرق المؤدية لارتكاب المعاصي المختلفة المنهي عنها شرعاً وعقلاً، فينبغي على كل عاقل أن يحذر من اتباع هوى نفسه الأثمارة بالسوء حتى يلقي الله "تعالى" وهو من أصحاب اليمين.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ٩١٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب أخذ المال، ح (٢٣٧٤)، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(٣) سنن الدارمي، المقدمة، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة، ح (٣٩٥)، قال حسين سليم أسد: (إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد).

(٤) سنن الدارمي، المقدمة، باب في اجتناب الأهواء، ح (٣٠٩)، قال حسين سليم أسد: (رجاله ثقات ولكن عبد الرحمن بن محمد المحاربي مدلس وقد عنعن).

❖ ٤- اتباع خطوات الشيطان:

والشيطان الرجيم هو قائد وقدوة كل من كفر وفجر عن أمر رب العالمين؛ إذ هو أول كائن حي يعصي الله رب العالمين يقول المولى "جل شأنه": ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

يقول الشيخ السعدي ~ : « ثم أمرهم "تعالى" بالسجود لآدم؛ إكراماً له وتعظيماً؛ وعبودية لله "تعالى"، فامثلوا أمر الله؛ وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ ﴿٦١﴾ امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿٦١﴾ وهذا الإباء منه والاستكبار؛ نتيجة الكفر الذي هو منطوق عليه؛ فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره. (١) ولهذا السبب قد حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من اتباع خطوات الشيطان اللعين؛ إذ أنّ خطاته المضلة هي المؤدية حتماً لاقتراف المعاصي والسيئات العظام والبغيضة لله "تعالى" وفي ذلك يقول "تبارك وتعالى": ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٢١].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري: « قوله "تعالى": ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: يا من صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قطّ فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجيكم منه إلا هو ﷻ. (٢) »

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٤٨.

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري ج ٣/ ص ٥٢.

كما حذر الباري "جلّ شأنه" من اتباع الشيطان وطاعته؛ لأنه لا يألوا جهداً في إضلال المؤمنين ودعوتهم إلى كافة أنواع الذنوب والآثام يقول الله "تعالى": ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

وهكذا يتبين لنا أن النفس البشرية هي صيد ثمين للشيطان الرجيم إن هي أطاعته وعصت أمر خالقها بمخالفته واتخاذها عدواً، وبهذا يتجلى لنا مدى ضعف النفس الإنسانية إن هي ابتعدت عن ذكر ربها وتلقفها إبليس وقادها إلى حيث يشاء من مراعي الآثام والخطايا، نعوذ بالله من ذلك.

من خلال ما سبق يتضح أن أسباب الوقوع في المعصية كثيرة وأن أهمها يتمثل في عامل انحراف الفطرة وعامل ضعف الإيمان وعامل اتباع هوى النفس وعامل اتباع الشيطان، وأن هذه هي أخطرهما وأهمهما، وعلى المسلم مجاهدة نفسه في مقاومة هذه العوامل بشتى السبل حتى يجتنب المعاصي كبيرها وصغيرها لينال رضا الله ﷻ.

✽ المسألة الثالثة: منهج القرآن الكريم في علاج النفس البشرية عند وقوعها في المعصية:

إنَّ المسلم الواقع في المعصية إنما هو في غشاوةٍ عن ذكر ربِّه، ونسيانٍ لعظيم بطشه "سبحانه"، فقد أغواه الشيطان باللذة الفانية، وزاغت عينيه عن اللذة الباقية « والواقع أنَّ المسلم لا يُطبق عصيان الله، ولا يرضى به، ولا يبقى عليه إن وقع فيه؛ بل إنَّ ما يعقب المعصية في نفسه من غضاضة وندامة يجعل عروضها له شبه مصيبة، فهي تجيء غالباً، غفلة عقل، أو كلال عزم أو مباغثة شهوة وهو في توقيره لله، وحرصه على طاعته يرى ما حدث منه منكراً يجب استئصاله..... إنَّ المعصية شيءٌ خطير، واتجاه الإرادة إليها زلزال يُصيب الإيمان، أو ضباب يُغطي معرفة المسلم لربِّه، يصحب هذا العمى انفلات من قيد الخضوع ومن مبدأ السمع والطاعة.

من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).^(١) وهذا الانتفاء المؤقت للإيمان، أو لأثره - وهو طاعة الله وتقواه - له عواقبه المخوفة، ترى أيعود كاملاً أو يعود مثلوماً؟ فإذا استمرَّ العاصي المرعى فهل لهذا الإيمان المنفي من عودة؟ مع أنَّه مطارد باستدامة العصيان! «.^(٢)

إنَّ النظرة الإسلامية الحكيمة للعاصي بعد ارتكابه في المعصية أنَّه شخص ضلَّ الطريق وحاد عنه؛ فعلى المجتمع المسلم أن يأخذ بيده ويرشده إلى الطريق الصحيح.

فقد نهى النبي ﷺ عن سبِّ العاصي بعد معاقبته، فعندما قال رجل لشارب الخمر: أخزأك الله، فقال ﷺ: « لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه

(١) سبق تخريجه ص ١٠٦.

(٢) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي ص ٥٥.

(الشیطان). (١)

« وفي هذا معنى حكيم، لأنّ العاصي إذا أحسّ بنفرة الناس منه واحتقارهم له ونبذهم إياه انتبذهم هو الآخر قصياً، ومن ترك الجماعة تسلمه الشيطان، وهذا النهي عن سحب وصف المعصية والفسق على مرتكبه بعد إقامة عقوبتها عليه له دور في بناء نفسه؛ لأنّه ينتقل نفسياً من ذلك الجو الذي ارتكب فيه خطيئته إلى جو يشعر فيه بكرامته وأتمها لم تنحط، كما يشعر في الوقت نفسه بأن المجتمع الذي يعيش فيه كأحد أفراد مجتمع يُكرم فيه مشاعره ويغفر زلته، ويقلل عثرته، ويعد ما اتخذ في حقه من إجراء تاديباً تقتضيه مصلحته ومصلحة المجتمع كما يُؤدب الوالد ولده، فهو لا يعدو أن يكون دواءً علاجياً له ودواءً وقائياً للمجتمع بأكمله، وبهذا تضرب الشريعة أسمى المثل، وتقدم أمثل الطرق في التربية النفسية الجنائية، إذ تقوم في المنحرف اعوجاجه، وتبني في نفسه ما اهتزّ من مشاعره وأحاسيسه بطريقة مهذبة وأسلوب علمي. » (٢)

وهكذا تجد أنّ النفس الإنسانية تنقسم إلى ثلاثة أنفس: مطمئنة ولوامة وأمارة بالسوء وهذا التقسيم لا يعني أنّ الأنفس متعددة وإنّما هي نفسٌ واحدة ولكنها مستويات ودرجات، كما أنّ النفس العاصية لها دافع وأسباب تحرضها على فعل المعصية مثل: انحراف الفطرة وضعف الإيمان واتباع الهوى واتباع الشيطان... ولكن مع هذا فإنّ الإسلام له نظرتة الحكيمة لهذه النفس التي زاغت عن طريق الحق وتحتاج من يأخذ بيدها للعودة إلى طريقها الأول وهو طاعة الرحمن.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعل، ح(٦٣٩٥).

(٢) الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن سليمان الخليلي ص ٤٣٩، بتصرف.

المبحث الثاني

غرس الإيمان في نفس المسلم

وفيه مطلبان :

✽ المطلب الأول: تقوى الله عز وجل.

✽ المطلب الثاني: محاسبة النفس.

* * * * *

المطلب الأول: تقوى الله ﷻ

قد نهج القرآن العظيم في تعاليمه على عاداته في تهذيبه للنفس التي بين جنبي الإنسان بأن ربطها بخالقها على الدوام؛ وذلك عن طريق غرس نبتة التقوى في قلب الإنسان لتتفرع فروعها وأغصانها في نفسه وهو في رخاءه أو شدته، وهو في جهره أو سره، وهو على كل حال ولكن ما التقوى؟؟

✽ المسألة الأولى: تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح:

أ - التقوى لغة:

جاء في لسان العرب: « تَوَقَّيْتُ وَأَتَّقَيْتُ الشَّيْءَ وَتَقَيْتُهُ أَتَّقِيهِ وَأَتَّقِيهِ تَقِيًّا وَتَقِيَّةً وَتَقَاءَ حَذَرْتُهُ الْأَخِيرَةَ عَنِ اللَّحْيَانِي وَالاسْمُ التَّقْوَى التَّاءُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ وَالْوَاوُ بَدَلٌ مِنَ الْيَاءِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ أَي: جَزَاءُ تَقْوَاهُمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَلْهَمَهُمْ تَقْوَاهُمْ وَقَوْلُهُ "تَعَالَى" ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُتَّقَى عِقَابُهُ وَأَهْلٌ أَنْ يُعْمَلَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَقَوْلُهُ "تَعَالَى" ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ أَنْتَقَى اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ١]، مَعْنَاهُ اثْبُتْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَدُمْ عَلَيْهِ..... قَالَ أَبُو بَكْرٍ: رَجُلٌ تَقِيٌّ وَيُجْمَعُ أَتَقِيَاءٌ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُوقِّ نَفْسِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْمَعَاصِي بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَصْلُهُ مِنَ وَقَيْتُ نَفْسِي أَقِيهَا..... وَفِي الْحَدِيثِ: (كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (١) أَي: جَعَلْنَاهُ وَقَايَةً لَنَا مِنَ الْعَدُوِّ قُدَّامَنَا وَاسْتَقْبَلْنَا الْعَدُوَّ بِهِ وَقُمْنَا خَلْفَهُ وَقَايَةً. (٢)

ب - التقوى اصطلاحاً:

هنالك تعاريف كثيرة للتقوى نُورد بعضها فيما يلي:

التقوى كما يقول العلامة الراغب ~ : « جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ح(٤٧١٦).

(٢) لسان العرب مادة: (وقى) ج١٥/ص٤٠١.

تحقيقه، ثم يُسمّى الخوف تارةً تقوى، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور». (١)

ولقد عرّف كثيرٌ من سلفنا الصالح التقوى بما يتناسب مع شمول هذه الكلمة في حياة المسلم ومن ذلك:

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل).

وقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (اتقوا الله حقّ تقاته أن يطاع فلا يعصى ويُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر). (٢)

وقول عمر بن عبدالعزيز ~: (هي ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خيرٌ إلى خير).

وقول طلق بن حبيب ~: (التقوى أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله وترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تحشى عقاب الله).

فيتبين من ذلك أن التقوى هي: كلمة شاملة جامعة لفعل الطاعات وترك المعاصي ما صغر منها وما كبر على حدّ سواء.

والتقوى على الجملة والتفصيل تحيط بالنفس المؤمنة من الداخل بحيث ينبع منها الخير رغبة واختياراً، وتنفر من الشر بلا إجبارٍ أو إكراهٍ من أحد، وإنّما من قرارة نفسها خوفاً من عقاب الله وطمعاً في رحمته "سبحانه".

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٥٤٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، الحديث التاسع عشر ص ١٠.

✽ المسألة الثانية: أثر التقوى في غرس الإيمان في نفس المسلم:

مما هو معلوم أنّ لتقوى الله ﷻ أثرها البالغ في غرس إيمان المسلم على مراقبة الله "تعالى" في كلّ حركةٍ وسكنةٍ من حياة الإنسان، وكيف لا يُخشى جبار السموات والأرض والذي بيده ملكوت كل شيء، والذي لا يعترض غضبه شيء إذا أعلن غضبه في أحد إذ يقول "تبارك وتعالى": ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

إنّ تقوى الله والخوف منه عند الاقتراب من محارمه والحوام حول حماه لهو من الوسائل التي لا يستغني عنها مؤمنٌ صادق الإيمان في محاربة نفسه الأمّارة بالسوء «والخوف من الله عاطفة تدلّ على شرف النفس، ويقظة الحسّ، وامتلاك الزمام في الساعات الحرجة، وإنّه لرجلٌ جديرٌ بكلّ احترام ومثوبة هذا الذي يستمكن مما يشتهي، ويمتنع عنه وهو خال لا لشيء إلا لأنّ الله يراه، علام يدلّ هذا المسلك؟ يدلّ على إيمان بالله عميق، وعلى أنّ ذلك الإيمان يقظان ليؤدّي واجبه كالحارس، وعلى أنّه لما استثيرت النفس نهض إليها، وفرض وجوده وحده فحسم نوازع الشر». (١)

وقد ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله، يوم لا ظل إلا ظله والذين ذكر منهم: (ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله). (٢)

والمؤمن حين يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه فإنّه بذلك قد حقق درجة الإحسان، وهذا ما سمت إليه شريعتنا السمحاء في «تكوينها رقيباً داخلياً ملازماً لكلّ إنسان يُراقبه ولا يُفارقه: وذلك الرقيب هو الله الحيّ القيوم وهو أقرب

(١) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي ص ٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ح (١٣٥٧)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح (٢٤٢٧).

إليه من حبل الوريد ويعلم ما توسوس به نفسه ولا يفارقه ليلاً أو نهاراً ولا تأخذه سنة ولا نوم ويعلم كل ما يفعل وما يدور في خلجات نفسه، وله ملكان مكلفان أيضاً بمراقبته عن يمينه وشماله ويسجلان كل ما يصدر من خير أو شر^(١).

يقول الله "تعالى": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْتَقِي الْمَتَلَقَّيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦-١٨].

وبهذا تكون التقوى وقاية للعبد من الانجراف في سيل الخطيئة، فبها ينضج حسه، ويتيقظ قلبه، وتصبح لديه رقابة نفسية داخلية نحو المعاصي، وفي ذلك يقول محمد المصري ~ : « وهكذا يظل المؤمن في علاج لنفسه وجهادٍ لرغباته وأهوائه حتى ينتهي به الأمر إلى أن تصبح التقوى مغروسة في نفسه وتصبح خلقاً من أخلاقه وسجية من سجايها، وهنا يدرك ثمرة التقوى في أيامه كلها، وهنا يرهف إحساسه ويسمو وجدانه فيصبح سريع الإدراك لمواطن الخير ولمواطن الشر خبيراً كل الخبرة بالتمييز بينهما ويصبح طبعه الخير وهواه مع الخير وكرهه للشر ونفوره منه ويكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار^(٢) ».

(١) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مقداد يالجن ص ١٩٤.

(٢) من هدي سورة الأنفال، محمد أمين المصري ص ٧.

المطلب الثاني: محاسبة النفس

كما نهج القرآن العظيم في تربيته وتهذيبه للنفس قبل السقوط في برائث المعصية أسلوب غرس تقوى الله؛ سلك معها أيضاً أسلوباً آخر وهو أسلوب المحاسبة النفسية على الأعمال القلبية والعملية؛ إذ أن الإنسان لا يكفيه حفاظه على جوارحه من ارتكاب الرذائل وإرغامها على فعل الفضائل فحسب بل يجب عليه أيضاً أن يصون قلبه من تداول التصورات القبيحة والنيات السيئة في خلجات نفسه.

✽ المسألة الأولى: تعريف المحاسبة في اللغة والاصطلاح:

أ - المحاسبة لغة:

جاء في لسان العرب: « والحِسابُ والحِسابَةُ عدُّك الشيءَ وحَسَبَ الشيءَ يَحْسِبُهُ بالضم حَسَباً وحِساباً وحِسابَةً عَدَّهُ..... وقوله "جَلَّ وعزَّ" ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، أي: كَفَىٰ بِكَ لِنَفْسِكَ مُحَاسِبًا وَالْحُسْبَانُ الْحِسَابُ..... ومنه قولهم لِيَكُنْ عَمَلُكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ أَي: عَلَى قَدْرِهِ وَعَدَدِهِ وَقَالَ الْكَسَائِيُّ: مَا أُدْرِي مَا حَسَبُ حَدِيثِكَ أَي: مَا قَدْرُهُ وَرَبَّمَا سَكَنَ فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ وَحَاسَبَهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ وَرَجُلٌ حَاسِبٌ مِنْ قَوْمٍ حُسْبٍ وَحُسَابٍ حَسَبٌ. (١)

والمعنى المراد هنا هو: العدُّ، أي عدَّ العيوب والأخطاء الصادرة من النفس.

ب - المحاسبة اصطلاحاً:

هي: « التثبت في جميع الأحوال قبل الفعل و التترك من العقد بالضمير أو الفعل بالجراحة، حتى يتبين له ما يترك وما يفعل، فإن تبين له ما كرهه الله ﷻ بجانبه بعقد ضمير قلبه، وكفَّ جوارحه عما كرهه الله ﷻ، ومنع نفسه من الامساك عن ترك الفرض وسارع إلى أدائه ». (٢)

(١) لسان العرب، مادة: (حسب) ج ١/ ص ٣١٠.

(٢) أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، الحارث بن أسد المحاسبي ص ٢٠٠.

ولهذا كانت أهمّ وسيلة لإنقاذ الضمير والقلب أو الوجدان من تأثير السيئات فيه هي المحاسبة النفسية.

كما يُمكن تعريف المحاسبة بأنّها: « تلك الحركة الشعورية التي نحسّ بها في اعماق قلوبنا بالفرح أو التأنيب مباشرةً بعد كلّ فعل نعتقد أنّه فعلٌ حسنٌ أو قبيح، ولا يكون هذا الشعور في درجةٍ واحدةٍ بين النَّاسِ وذلك لاختلاف النَّاسِ في درجة صفاء وجدانهم من الرذائل والجرائم ثمّ لاختلافهم في درجة استعدادهم الفطري والوراثي وبيئتهم التربوية، وكلما كان الوجدان قوي الحساسية بحكم الاستعداد الفطري والتربوي وكلما كان نظيفاً وصافياً من الرذائل كان أكثر تأثراً وأشدّ حساسية، بألم الضمير وتأنيبه إذا ما أصابه شيء من الذنوب». (١)

ومن تعريفات المحاسبة كذلك: « هي ذلك الميزان الدنيوي الذي يستخدمه المرء المسلم لتصحيح مساره وتعديل سلوكه مستضيئاً في ذلك بهدي الكتاب والسنة». (٢)

كما قيل عن المحاسبة بأنّها: « التمييز بين ما للمرء وما عليه فيستصحب ما له ويؤدّي ما عليه». (٣)

وتبيّن من ذلك أن المحاسبة هي: المعيار والضابط الشرعي للفعل والترك في نفس التقى النقي فلا يُقدم إلا على خير ولا يحجم إلا عن شر وإن تلبّس بخلاف ذلك سارع بأثر المحاسبة للتوبة والاستقامة.

✻ المسألة الثانية: أثر المحاسبة في غرس الإيمان في نفس المسلم:

لا شك أنّ للمحاسبة أثراً قوياً في غرس الإيمان في نفس المسلم على اجتناب الذنوب والآثام، إذ أنّه من فوائد هذه الوسيلة أنّها تُربّي الضمير في داخل النفس

(١) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مقداد يلجن ص ٨٤.

(٢) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد الأهدل ص ٩٦.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ج ١/ ص ١٦٩.

وتنمّي في الذات الشعور بالمسؤولية ووزن الأعمال والتصرفات بميزانٍ دقيق هو ميزان الشرع الحكيم، وعلى المرء أن يُحاسب نفسه ويُراقبها على الدوام كي لا تجمد ولا تميل عن الجادة المثلى فينبغي أن يضع الفرد المسلم المحاسبة نصب عينيه استعداداً للسؤال وترقباً لما بعده من أهوال، والله المستعان.

وهكذا تجد القرآن الكريم يضع بين يدي الإنسان الوسائل التي بها يتربى الضمير والوجدان على التفكير كثيراً قبل أن يُقدم على ارتكاب المعصية، فإن اتقى المسلم ربّه كان ذلك مانعاً له من الإقدام على الخطايا، وإن حاسب نفسه كان ذلك أيضاً حاجزاً له عن الآثام.



المبحث الثالث

منهج القرآن الكريم في التحذير من المعاصي

وفيه مطلبان :

✽ المطلب الأول: التحذير من المعصية .

✽ المطلب الثاني: أضرار المعاصي على الفرد والمجتمع.

* * * * *

المطلب الأول: التحذير من المعصية

لقد أولى الإسلام رعايته بالفرد المسلم والمجتمع لئلا تلوث المعاصي صفاء فكره ونقاء سلوكه، ولهذا حذر من المعاصي، ونفر من الوقوع في برائنها حتى يكون الفرد والمجتمع في سلامٍ ووثام، « وبما أن الذنوب على اختلافها في نفسها أمراض تحدث خللاً في الدين وفساداً في الأخلاق، وفي ذلك فساد أي فساد للمجتمع الإنساني، فقد حذر الله "تعالى" من المعاصي ونهى عن كل أنواع الفواحش والآثام على الإطلاق..... » (١).

إن من هدي القرآن العظيم للتي هي أقوم التحذير من المعاصي صغيرها وكبيرها، ومن ذلك:

١ - القرآن الكريم عند خطابه للمجاهرين بجريمة الربا بعد نهيهم عنها يرتب العقوبة الشديدة على المصرين عليها في الدنيا قبل الآخرة فيقول "جل شأنه": ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « نادى الله "تعالى" عباده المؤمنين أمراً إياهم بتقواه "تعالى"، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكراً إياهم بإيماهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه وفعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه فقال "تعالى": ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾، ثم هدّد المتباطئين بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ فاعلموا بحربٍ قاسيةٍ ضروس من الله ورسوله، ثم بين لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص من محنة الربا وفتنته بقوله: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ لا غير ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ زيادة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص من رأس مالكم» (٢).

(١) أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين، عبد الله التليدي ص ٢٠.

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري ج ١/ ص ١٤٢.

٢- والقرآن الكريم حينما ينهى المؤمنين الميل إلى الظالمين وإقرارهم على ظلمهم وتعددهم على الضعفاء يرتب العقوبة الغليظة على ذلك في الدار الآخرة بالوعيد الشديد بالنار فيقول "سبحانه": ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

يقول الشيخ السعدي ~ : « ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ أي: لا تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فإنكم، إذا ملتم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم ما هم عليه من الظلم ﴿فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئاً، من ثواب الله. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم». (١)

و آيات الكتاب العزيز فيها الكثير من الايات التي تحذر أشد التحذير من الوقوع في الذنوب أو الحمي حول حماها والاقتراب منها.

أمّا السنة النبوية فإنها أيضاً ليست بعيدة عن القرآن الكريم في تحذيره من ارتكاب المعاصي واجتناب كل ما يوصل إليها، ومن ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). (١)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٣٩٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنَ ظُلْمًا إِمَّا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠)، ح (٢٦١٥)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ح (١٤٥).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً).^(١)

يقول الإمام ابن القيم ~ : «فمما ينبغي أن يُعلم: أن الذنوب والمعاصي تضرّ، ولا بدّ أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا سببه الذنوب والمعاصي؟
فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه.....؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم وأجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، وجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمةٍ غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح(٢٦٧٤).

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلة، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلتظي؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية، والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرّوا ما علوا تتبيرا؟

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الربّ "تبارك وتعالى" ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦].^(١)

نعم لق أهلكتهم الله جميعاً بسبب المعاصي المعاصي فذاقوا وبال أمرهم، وبهذا يجب أن يعتبر الأفراد والمجتمعات من عاقبة مخالفة أمر الرحمن وارتكاب نهيه فإن الله يمهّل العاصي استدراجاً له ولكنه "سبحانه" لا يمهله أبداً، وما عقاب الله للظالمين ببعيد، نسأل الله العافية.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

(١) الجواب الكافي، ابن القيم الجوزية ص ٦٤.

المطلب الثاني: أضرار المعاصي على الفرد والمجتمع

المعاصي وما أدراك ما المعاصي التي لا ينفك فردٌ ولا مجتمع ولا حيوان ولا نبات من آثارها الوخيمة قال "تعالى": ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

يقول الحافظ ابن كثير ~ في هذه الآية: « ومعنى قوله "تعالى": ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: بأنَّ النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي ». (١)

وسأتناول هنا بيان أضرار المعاصي على الفرد وعلى المجتمع ثم على سائر المخلوقات.

✦ المسألة الأولى: ضرر المعصية على الفرد:

مما لا شك فيه أن للمعاصي آثارها الوخيمة على الفرد نفسه وهي كثيرة نذكر منها ما يلي:

❖ أولاً - أثر المعصية على القلب:

إنَّ القلب لا تكون سعادته إلا بطاعة الله ﷻ وهذا هو القلب الحيِّ السليم، كما لا تكون شقاوته إلا بمعصية الله "تعالى" وهذا هو القلب الميت المريض، وللمعاصي آثار على قلب الإنسان أذكر منها:

أ - إضعافها لتعظيم الله ﷻ ووقاره في قلب الإنسان:

إنَّ العاصي لربِّه المصِّرَّ على معصيته يخلو قلبه - وحاله كذلك - من تعظيم لشعائر الله وحدوده ويفتقر إلى توقير ربِّه وقدره ولا بدَّ. شاء أم أبى « لأنَّ تجرؤ العبد

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٦/ ص ٣١٩.

على المعاصي يدلّ على عدم اكترائه بخالقه وباريه وعدم خوفه وتعظيمه وإجلاله بل واستخفافه بحقه وآياته وأوامره ونواهيه وعدم مراقبته له "تعالى" بل قد يكره ما يُقرّبه إليه ويُحب ما يُباعده عنه". (١)

وفي مثل هذه الفئة من الناس يقول المولى "جلّ شأنه": ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

قال الشيخ السعدي ~ : « يذكر "تعالى" حالة المشركين، وما الذي اقتضاه شركهم أتهم ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ توحيداً له، وأمر بإخلاص الدين له، وترك ما يُعبد من دونه، أتهم يشمئزون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبادتها ومدحها، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بذلك، فرحاً بذكر معبوداتهم، ولكون الشرك موافقاً لأهوائهم، وهذه الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء، فهناك يُؤخذ الحق منهم، ويُنظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئاً؟ » (٢)

فمن كانت تقوى الله "تعالى" وخشيته واستشعار عظمته "سبحانه" في قلبه، ووقره حقّ توقيره لا تجده وقاعاً في حرّمات الله ولكن تجده وقافاً عند حدود الله ومناهيته.

ب - إذهابها لحياء القلب وغيرته:

الحياء خيرٌ كله والحياء لا يأتي إلا بخير والحياء شعبة من الإيمان وإن « المعاصي تضعف أو تزيل حياء القلوب وورقتها بل حتى لا يُبالي بإخبار الناس عن سوء فعله أو قبيح قوله ». (٣)

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٠٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٧٢٦.

(٣) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٠٧.

وإنَّ من قَلِّ نصاب الحياء من قلبه الذي بين جنبيه وجاهر بما حرّم الله "تعالى" غير مبال بالخليقة فهو المجاهر الذي أخبر عنه ﷺ بقوله: (كَلَّ أمتي معافى إلا المجاهرين وإنَّ من المجاهرة أن يعمل العبد عملاً ثمَّ يصبح وقد ستره ربّه فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا... الحديث).^(١)

ومن استمرراً أو استجراً على المجاهرة بمعصية الله "تعالى" ذهب حياؤه وانطفأت من القلب غيرته على حرمة، وأصبح لا يُبالي إن انتهكت حرمت الله أمامه سواءً كان ذلك في داخل بيته أو خارجه - والعياذ بالله -.

ج - إنكاسها للقلب وإزاعته عن الحقّ فلا تكون له راحة إلاّ بها:

« إنَّ القلب إذا غرق في أحوال المعاصي والآثام وركن إليها واطمأنَّ بها فإنَّ القبيح يكون لديه حسناً والحسن قبيحاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً وافق هواه فهو الصواب الحلال وما خالفه فهو الخطأ الحرام». ^(٢)

قال "تعالى": ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « قال الأعمش: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أنّ القلب في مثل هذه - يعني: الكف - فإذا أذنب العبد ذنباً ضَمَّ منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضَمَّ. وقال بأصبع أخرى، فإذا أذنب ضَمَّ. وقال بأصبع أخرى وهكذا، حتى ضَمَّ أصابعه كلها، ثمَّ قال: طُبِعَ عليه بطابع ^(٣)».

عندها ينحصر نور جذوة التقوى في قلب المؤمن وقد يصل بها الحال إلى الانطفاء وفي ذلك يقول ﷺ: (تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأبْيَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ح(٥٧٢١).

(٢) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ١/ ص ١٧٤.

قلبٍ أشربها نُكُتت فيه نُكُتةٌ سوداءٌ وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكُتت فيه نُكُتةٌ بيضاء...
(الحديث).^(١)

د - محق بركة العلم وطمس نوره:

« العلم الشرعي نور يقذفه الله "تعالى" في القلب، وبالتقوى والطاعة والعمل
بالعلم وتعلمه لوجه الله وتعليمه الجاهل وبها يزداد، وبالمعصية وإتباع الشهوات
وتعلمه لأجل الدنيا يقل ولا يستفيد منه صاحبه إلا قليلاً ». ^(٢)

قال "تعالى": ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

واقتراف المعاصي ما كبر منها أو صغر يُطفىء ضياء العلم بالقلب ويُذهب
بصيرته ونباهته، قال الإمام الشافعي ~ :

شكوت إلى وكيعٍ سوءٍ حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني أن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي^(٣)

ه - ضيق الصدر ووحشة القلب:

« هذه الوحشة بين العاصي وخالقه بينه وبين الناس بل بينه وبين نفسه، ولا
يحسّ بها إلا من في قلبه حياة وإيمان أمّا من مات قلبه بشغفه بتلك الآثام فإنّه قد لا
يحسّ بها، كما يقول المتنبّي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيّلام^(٤)

فأمّا وحشته من ربّه، فبُعدّه عن سبيله، وشريعته وكتابه فهو لا يذكر الله إلا

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر الفتن التي تموج كموج البحر...، ح (١٤٤).

(٢) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١١٠.

(٣) ديوان الإمام الشافعي ص ٧١.

(٤) ديوان المتنبّي ج ٤ / ص ٢٧٧، من قصيدة يمدح بها الحسين علي بن أحمد المري الخراساني.

قليلاً، ولا يُحب ذكر الله ولا الاستماع إليه وآياته ولا الاستمتاع بها ولا التلذذ بذكره بل لو ذكر باللغو واللعب لاهتز إليها طرباً وشوقاً، فالله المستعان.

أما وحشته من الناس ولا سيّما أهل الصلاح منهم فإنه كلما ابتعد حُرِمَ فضل وبركة علمهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ويستمر على غيّه وضلاله حتى يلقي ربّه وهو على غير هدى» (١).

يقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

يقول الإمام الشوكاني ~ : « قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ الشرح: الشق وأصله التوسعة، وشرحت الأمر بيته وأوضحته، والمعنى: من يُرد الله هدايته للحق يُوسع صدره حتى يقبله بصدر منشرح، ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ إضلاله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾» (٢).

فالقلب الضيق المتخبط في الأوهان النفسية هو القلب العاصي البعيد عن ذكر الله "تعالى"، والقلب الواسع المنشرح المستبشر هو القلب الطائع المقبل على الله ﷻ.

يقول الإمام ابن القيم ~ : « من أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله "تعالى" وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره ومحبة سواه فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به وسُجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشاً، ولا أتعب قلباً فهما محبتان، محبة هي جنة الدنيا وسرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح وغذاؤها ودواؤها بل حياتها وقرّة عينها، وهي محبة الله وحده بكلّ القلب..... ومحبة هي عذاب الروح وغمّ النفس وسجن القلب وضيق الصدر

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١١٠.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ج ٢/ ص ٤٧٥.

وهي سبب للألم والنكد والعناء وهي محبة ما سواه "سبحانه" .^(١)

و - وهن القلب وظلمته:

إنَّ للمعصية أثرها البارز على قلب العاصي الذي امتلأ بالذنب تلو الذنب وتزاحمت في قلبه نور الطاعة وظلمات المعصية فوهن القلب وكسته الظلمة.

إنَّ « العاصي ضعيف القلب وجبانه واهن الهمة والعزيمة فلا يزال كذلك حتى يفقد حيويته » .^(٢)

وفي ذلك يقول الإمام الحسن البصري ~ : (إثمهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إنَّ ذلَّ المعصية لا يُفارق قلوبهم، أباي الله إلا أن يذلَّ من عصاه).^(٣)

يقول الله ﷻ: ﴿أَوْ كَظُلْمَتِ فِي بَحْرِ لَيْلِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال الشيخ السعدي ~ « ﴿أَوْ كَظُلْمَتِ فِي بَحْرِ لَيْلِي﴾ بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر اللجج، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتركمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جداً، بحيث أن الكائن في تلك الحال ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا﴾ مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عمّا ذكر، فبقوا في الظلمة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ج ٢/ ص ٢٥.

(٢) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١١٢.

(٣) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٦٢-٦٣.

متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله "تعالى" خذهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠) لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطها مولاها، ومنحها ربها». (١)

فالقلب إذا أظلم بمعصية الله "تعالى" وتراكت عليه المعاصي من كل جانب؛ فإن المذنب يلمس في قلبه ظلمةً حالكةً كظلام الليل الدامس.

والإنسان حال ارتكابه للذنب والإثم تجده كالأعمى الذي لا يُبصر يضل الطريق فمرة يتخبط ببدعة ومرة يتخبط بكبيرة وهكذا وفي هذا المعنى تكلم الصحابي الجليل ابن عباس } وأجاد حيث قال: « إنَّ للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإنَّ للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن، ونقصاناً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق ». (٢)

ز - استصغار المعصية في قلب الإنسان مع مسخه:

أمَّا استصغار الذنوب فالذنب تلو الآخر يجعل القلب يألفها ولا ينكرها كما يُقال، كثرة الإمساس تزيل الإحساس، والذنوب إذا صغرت عند العبد عظمت عند الله». (٣)

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا). (٤)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، السعدي ج ١/ ٥٦٩.

(٢) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٥٨.

(٣) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١١٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح (٥٩٤٩)، وهذا الحديث مختلف فيه، هل هو من عليه السلام

والعبد إن استصغر المعاصي واستهان بها فددقّ بابها كلّ حين بلا حسابٍ ولا مراقبةٍ لله ربّ العالمين؛ فإنّ ذلك فيه مسخّ لقلبه الذي لن يبحث بعد هذا عن الطاعة والفضيلة وإنّما سيكون جلّ همه اللهث خلف كلّ معصيةٍ ورذيلة.

❖ ثانياً - أثر المعصية على بدن العاصي ونفسه وعمله:

إنّ للمعصية والذنب تأثيراً واضحاً على العاصي في بدنه ونفسه وعمله ليس دوناً عن اثرها على قلبه، فهي تضعف وتبدّل جميع قواه الحسيّة والمعنوية بل إنّ تأثير آثارها تكون جلوية بينة على الوجه وكلّ الجوارح والأفعال وهي كالتالي:

أ - المعصية سببٌ في نجاسة النفس وعلل البدن:

يقول الله "تعالى": ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

يقول الإمام البغوي ~ : « ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝١﴾ وهذا موضع القسم، أي: فازت وسعدت نفسٌ زكّاهها الله، أي: أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ أي: خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها. (١)

وأيّ خسران أشدّ من انحدار الإنسان لمرتبة الحيوان أو أضلّ إنّ «العبد إذا حاد عن الصراط المستقيم وخرج عن طاعة ربّ العالمين بأن ارتكب أنواع المعاصي

﴿﴾ =

قول النبي ﷺ أو من قول ابن مسعود رضي الله عنه؛ لأن راوي الحديث عن عبدالله بن مسعود وهو الحارث بن سويد قال: حدثنا ابن مسعود حديثين: أحدهما: عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه، وذكر هذا الحديث ثم ذكر: (الله أفرح بتوبة العبد...) يقول ابن حجر ~ : «قوله: (حديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه) قال: إن المؤمن فذكره إلى قوله فوق انفه. ثم قال: لله أفرح بتوبة عبده. هكذا وقع في هذه الرواية غير مصرح برفع أحد الحديثين إلى النبي ﷺ. قال النووي: قالوا المرفوع لله أفرح الخ والأول قول ابن مسعود. وكذا جزم ابن بطال بأن الأول هو الموقوف والثاني هو المرفوع - هو كذلك... الخ» انظر: فتح الباري، ابن حجر ج ٥/ ص ١٧٥.

(١) معالم التنزيل، البغوي ج ٨/ ص ٤٣٩.

والجرائم فإنه قد نزل نفسه منزلة الحيوان بل أقل، فليس المؤمن الموحد كالمشرك الذي تردى في حمأة الكفر والعصيان قال "تعالى" ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨]، والمعاصي كلما كبرت تكبر نجاستها المعنوية بل والمادية مثل الزنا، واللواط، وشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، وهذه أفعال نجاستها مغلظة فكلما كبر الذنب كانت نجاسته على حسب كبره». (١)

ومع وجود التدين والمحافظة على الدين والأخلاق في مجتمعاتنا الإسلامية ومع ظهور الصالحين والمصلحين في مجتمعاتنا الإسلامية أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ودعوة إلى الخير إلا أنه في هذا الزمن فقد فشى الزنا واللواط والانحرافات الجنسية المختلفة، وكان نتيجة لفشوها أثراً على الصحة والبدن فقد انتشرت الأمراض المعدية الفتاكة من إيدز وزهري وسيلان وغيره، ورغم التقدم العلمي والطبي فقد ازدادت هذه الأمراض انتشاراً وتعداداً وتنوعاً وتعقيداً، وتعددت أسبابها، وتميّزت بصفات تجعلها بحق عقوبة قاسية تهلك الفرد والجماعات على السواء.

وعلى سبيل المثال: مرض "الإيدز" يعدّ أخطر مرض عرفته البشرية، لأنّ العلم لم يتوصل - حتى الآن - إلى علاج فعّال، أو حتى لقاح ضدّ الإيدز، يقى من يتعرّض للفيروس من الإصابة بالمرض، فالمصاب به ينتظره الموت عاجلاً أو آجلاً؛ ذلك أنّ فيروس "الإيدز" يُصيب خلايا خاصة في الدم تشارك في الدفاع الطبيعي عن الجسم، الأمر الذي يُفقد المريض القدرة على مقاومة الغزاة من كافة الأشكال فتهاجمه البكتيريا والفطريات والطفيليات والفيروسات وترتع فيه الخلايا السرطانية، ولا تتركه إلا بعد القضاء المبرم عليه... إلى غير ذلك من الآثار الضارة من الناحية النفسية والاجتماعية

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٢١.

والاقتصادية.

ولهذا قال المولى "جلّ وعلا" محذراً من الاقتراب من فاحشة الزنا ومبيناً سوء عاقبتها في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) [الإسراء: ٣٢].

يقول الحافظ ابن كثير - : « يقول "تعالى" ناهياً عباده عن الزنا وعن مقاربتة، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: ذنباً عظيماً ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: وبئس طريقاً ومسلكاً.» (١)

كما حذر الباري "تبارك وتعالى" من الاقتراب أيضاً من الفواحش كلها من زنا ولواط وسائر أنواع الشذوذ الجنسي: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قال العلامة الرازي - : « وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابن عباس: كانوا يكرهون الزنا علانية، ويفعلون ذلك سراً، فنهاهم الله عن الزنا علانية وسراً، والأولى أن لا يخصص هذا النهي بنوع معين، بل يجري على عمومته في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها لأن اللفظ عام والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة عام أيضاً ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف الدليل، وفي قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ دقيقة، وهي: أن الإنسان إذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دلّ ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته، ولكن لأجل الخوف من مذمة الناس، وذلك باطل، لأن من كان مذمة الناس عنده أعظم وقعاً من عقاب الله ونحوه فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً، دلّ ذلك على أنه إنما تركها تعظيماً لأمر الله

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٥ / ص ٧٢.

"تعالى" وخوفاً من عذابه ورغبة في عبوديته". (١)

وأيضاً في وقتنا الحاضر انتشرت المسكرات والمخدرات بأنواعها، والتي تبع انتشارها انتشار الكثير من الأمراض المهلكة للصحة والبدن، وقد ألفت الكثير من الكتابات في بيان أضرارها والتحذير منها، فهي لها أثرها على الجهاز الهضمي من فقدان الشهية، وسوء الهضم، وسرطان الفم والمريء، وقرحة المعدة، وتليف الكبد، كما أنّ لها أثرها على الجهاز التنفسي من مرض الربو، والنزلات الشعبية المزمنة، ومرض السل، وسرطان الرئة، كما أنّ لها أثرها على الجهاز الدوري من الإصابة بجلطات القلب وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية وضغط الدم... إلى غير ذلك من الأضرار ذلك غير الأضرار النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

يقول ﷺ ناهياً عباده عن إهلاك أنفسهم: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الإمام الشوكاني ~ : « قال المبرد: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: بأنفسكم تعبيراً بالبعض عن الكل، كقوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقيل: هذا مثل مضروب، يقال فلان ألقى بيده في أمر كذا: إذا استسلم؛ لأن المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيديه، فكذلك فعل كل عاجز في أيّ فعل كان. وقال قوم: التقدير: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم.

والتهلكة: مصدر من هلك يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة، أي: لا تأخذوا فيما يهلككم... والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين، أو الدنيا، فهو داخل في هذا، وبه قال ابن جرير الطبري. ومن جملة ما يدخل تحت الآية، أن يقتحم الرجل في الحرب، فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص، وعدم تأثيره لأثر ينفع المجاهدين، ولا يمنع من دخول هذا

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ج ٧/ ص ١٧.

تحت الآية إنكار من أنكره من الذين رأوا السبب ، فإنهم ظنوا أن الآية لا تتجاوز سببها ، وهو ظنّ تدفعه لغة العرب . وقوله : ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ أي : في الإنفاق في الطاعة ، أو أحسنوا الظن بالله في إخلافه عليكم .^(١)

وقد صرح ﷺ أن متعاطي المال الحرام والمال لبطنه منه والمنبت لجسده به؛ أنه ممنوعٌ من إجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمة حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأتى يستجاب لذلك).^(٢)

ب- خيانة الجوارح للعاصي لله في أخرج وقت يكون بدنه ونفسه محتاجان إليها:

« فإنه إذا عصى ربه وخالف أمره ثم وقع في عواقب جرمه فوقع في أي مآزق أو كُربه أو بلية فإن لسانه وقلبه وباقي جوارحه تخونه وهو أحوج ما يكون إليها من ذكر الله والتوكل عليه والتضرع إليه والتذلل له وبين يديه فلا يستطيع أن يُجرك لسانه للاستعانة بالله أو الاستعاذة به ولا دعاءه ولا رجاءه بل يرتكس قلبه في مصيبته فيرتجف قلبه وترتعد فرائضه حتى لو قدر أنه دعا فإنه على غير إيمان ولا ثقة بما يقول .»^(٣)

كما أن العاصي يخونه لسانه وقلبه ونفسه في أحلك الأوقات وأحرجها: إنه وقت الاحتضار وبلوغ الريح الحلقوم وقد قال ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل

(١) فتح القدير، الشوكاني ج ١/ ص ٢٥٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها، ح (١٠١٥).

(٣) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٢٣.

الجنة). (١)

يقول الإمام ابن القيم ~ : « أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله "تعالى" فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين أصابهم ذلك ». (٢)

ثم يسوق ابن القيم ~ بعض القصص عن سوء الخاتمة فذكر منها: « وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتانتنتا فقال وما ينفعني ما تقول ولم أَدع معصية الا ركبته ثم قضى ولم يقلها، وقيل لآخر: ذلك فقال وما يغني عني وما أعلم أنني صليت لله "تعالى" صلاة ثم قضى ولم يقلها، وقيل لآخر ذلك: فقال هو كافر بما تقول وقضى، وقيل لآخر ذلك: فقال كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها ». (٣)

وقصص سوء الخاتمة أكبر دليل على ذلك وهي مشاهدة في عصرنا هذا ولكن هل من متعظ؟!

إن المعاصي والذنوب لها آثارها الراجعة على بدن مرتكبها بالسوء « ولأجلها حرم الإسلام الوقوع فيها ومن ذلك المخدرات والمسكرات لأنها تذهب العقل الذي هو أعظم النعم التي أكرم الله بها بني آدم ». (٤)

كما إن للمعاصي والسيئات آثارها الغفيرة على عمل العاصي سواء ما كان منه

(١) سنن أبو داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين ح (٣١١٦)، والمستدرک للحاکم، کتاب الجنائز ح (١٢٩٩)، وقال الحاکم: (صحيح الإسناد)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، ح (٦٤٧٩) ج ٢ / ص ٦٨.

(٢) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٩٧-٩٨.

(٣) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ٩٧-٩٨.

(٤) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٢٦.

مادياً أو معنوياً « ومن هذه الآثار أن بعض المعاصي يتسبب في عدم قبول العمل وإحباطه مثل الرياء وتفويت صلاة العصر^(١) وهذه المعاصي تؤدّي إلى العقاب الأليم والعذاب المهين^(٢) .»

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره المولى "جلّ شأنه" في الرياء بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤-٧].

قال الإمام الشوكاني ~ : « معنى قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ﴿٦﴾ أي: يراءون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراءون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر؛ ليثنوا عليهم^(٣) .»

هذه هي أغلب أضرار المعاصي على الفرد وأما أضرارها على المجتمع فهذا ما سأتكلم عنه في المسألة التالية.^(٤)

✽ المسألة الثانية: ضرر المعصية على المجتمعات الإنسانية:

للمعاصي عواقب وخيمة وخواتم فظيعة، فكم وكم أبادت من أمم كانت ثم أصبحت كأن لم تكن؟ وما زالت تتوالى أمام أعين الناس اليوم المصائب والبلايا حتى تتحقق سنة الله الباقية.

قال "تعالى": ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

(١) المراد من تفويت صلاة العصر: السهو عنها حتى يخرج وقتها.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ج ٨/ ص ٦٦.

(٤) وللاستزادة انظر: الجواب الكافي، ابن القيم ص ٦٥-١٨٣.

قال الشيخ الشنقيطي ~ : « ذكر "جل وعلا" في هذه الآية الكريمة: أنه أهلك كثيراً من القرون من بعد نوح. لأن لفظة ﴿وَكَمْ﴾ في قوله ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ خبرية، معناها الإخبار بعدد كثير. وأنه "جل وعلا" خير بصير بذنوب عباده. وأكد ذلك بقوله ﴿وَكُنِيَ بِرَبِّكَ﴾ الآية ». (١)

فهاهي الأمم من نوح عليه السلام حتى الآن كلما خالفت أمة أمر ربها أجلها الله "تعالى" إلى فترة مؤقتة؛ عليهم يتوبون أو يرجعون وذلك مع إغراقهم في النعم الجمّة وهذا منه "سبحانه" استدراج لهم قال "تعالى": ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) [هود: ١٠٢].

يقول الحافظ ابن كثير ~ : « يقول "تعالى": وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته) (١)، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) ». (٢)

وقال "جل وعلا": ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤) [الأنعام: ٤٤].
وللذنوب والمعاصي عقوبات عامة على المجتمعات منها:

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ج ٣/ ص ١٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود، ح (٤٤٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح (٢٥٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٤/ ص ٣٤٩.

❖ أولاً - أنّها سببٌ في إزالة النعم المختلفة وحلّ النقم مكانها بفعل العصاة:

يقول الله "تعالى": ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

يقول الشيخ الشنقيطي ~ : « ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها، وكذلك إذا غيّر العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غيّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة. » (١)

« فالله "تعالى" لا يسلب نعمة أنعمها على قوم أو مجتمع أو أمة حتى يُجدثوا تغيير ما هم عليه من الخير والهداية إلى الشر والضلالة، وكذلك لا يُغيّر ما حلّ بقوم جزاء عصيانهم من عذاب ونكال وذل وخذلان إلى نعمة ورخاء وسلامة وإخاء حتى يُغيّروا ما بأنفسهم من الشرور والآثام إلى توبة خالصة وطاعة للملك العلام. » (٢)

وهنالك نعمٌ جمة تؤثر فيها المعاصي والذنوب بالنقص أو الزوال وهي على

النحو التالي:

أ - نعمة الإيمان:

« أعظم النعم نعمة الإسلام والإيمان بالله "تعالى"؛ لأنّ بها سعادة العبد في دار الدنيا والآخرة قال "تعالى": ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۗ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجِنَّةُ أُرْسِتْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ج ١ / ص ٤١٤.

(٢) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٤١.

والمعاصي والذنوب تكدر صفو هذه النعمة بنقص الإيمان أو زواله حتى يلتحق مقترف المعصية بركب الكفار، والمعاصي يجرب بعضها بعضاً حتى يألّفها فاعلها ويصبح لا يأنس ولا يطمئن إلا بها قال "تعالى": ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١]، فلا يزال المجتمع يفعل الآثام والذنوب حتى تتغير القلوب ويعلوها الرآن وهنالك تتغير الأعمال وتسوء الأحوال ويلتحق المجتمع بركب الفجار وذلك لأنّ الإيمان قولٌ وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي^(١).

ب - نعمة المال والرزق:

« إنّ المعاصي قد تُزيل النعم سواءً من المأكول أو المشروب أو الملبوس أو المركوب أو المسكون أو غيرها فيزول بعضها أو كلها ونقصانها...، قال "جلّ وعلا": ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١].

..... ولهذا لما فتح الله على الناس في هذه الأيام خزائن الأرض وباب المخترعات، اخترعوا ما ينفعهم ويفيدهم، وما يضرّهم ويبيدهم، بل لقد اخترعوا أضعاف ما يفيدهم مما فيه فسادهم وهلاكهم بالكلية من قنابل ذرية وصواريخ نووية وطائرات حربية وغيرها كثير كلها لدمار بني آدم والقضاء على حياة البشرية، والله المستعان.

فإنّ من أسباب منع القطر وعدم نزول الأرزاق منع الزكاة والإعراض عن دين الله وارتكاب المعاصي والآثام، ولهذا يقول الرسول ﷺ: (إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)^(١).^(٢)

(١) المرجع السابق ص ١٤٢.

(٢) مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث ثوبان، ح (٢٢٤٤٠)، قال الأرئؤوط: (حسن لغيره)، والحاكم في

ج - نعمة الأمن في الأوطان:

الإيمان سبب الأمان فمن آمن بالله آمن وإن « نعمة الأمن والاستقرار لمن أعظم النعم التي يرفل فيها الإنسان فيكون آمناً على دينه أولاً ثم على نفسه وعلى ماله وولده وعرضه بل وعلى كل ما يُحيط به ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والابتعاد عن العصيان لأنّ الأمن مشتق من الإيمان ومن الأمانة كذلك، فهي مترابطة قال "جلّ شأنه": ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [٨٢] [الأنعام: ٨٢]، والمقصود بالظلم في هذه الآية هو الشرك كما فسره النبي ﷺ بذلك، وأنّ من آمن بالله "تعالى" وراقبه ولم يُشرك به شيئاً فله الأمان في الدنيا والآخرة.

والمعاصي تُزيل ذلك الأمن كما تُزيل الإيمان أو تُنقصه وتُضعفه، وما يحصل في هذه الأيام من الحروب الطاحنة التي تزيل الأمن وتذهبه وتجعل الناس يعيشون في خوفٍ ووجلٍ كل ذلك بأسباب المعاصي والخطايا التي تعجّ بها الأرض وتفجّ^(١).

د - نعمة العافية في الأبدان:

« إن المعاصي سببٌ لزوال النعم ومنها نعمة الصحة التي هي تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى، فالطاعون وسائر الأسقام عقاب وعذاب من الله للناس..... وبعض الأمراض بأسباب الفساد كالوقوع في المحرمات كالزنا واللواط ولقد حدث في هذه الأزمان أوبئة فتاكة بسبب هذه الجرائم المحرمة كمرض (الإيدز) الذي هو فقد المناعة من المصاب حتى يموت خاوياً ولا يُستطاع إيجاد علاج له، وغيره من الأمراض كالزهري والسلان وهناك أمراض أخرى غير هذا كلها بأسباب البُعد

﴿﴾

المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتسبيح والذكر، ح(١٨١٤)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧.

عن طاعة الله وانتهاك محارمه "تعالى" . ()

ولقد بين لنا الرسول الكريم ﷺ أن الفواحش من الزنا واللواط غيرها إنما هي من الأسباب الرئيسية للأمراض المعدية والأوجاع المستعصية والتي لم تكن في الأمم السابقة فعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم). ()

هـ - حلول الهزائم الحربية:

« لقد بشر الله عباده المؤمنين بالنصر على أعدائهم وهذه سنة الله جارية بالنصر والتأييد لمن نصر دين الله وشرعه قال "جلّ وعلا": ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [٧] [محمد: ٧]، وأخبر "جلّ وعلا" أن نصره لجنده وحزبه لا يكون في الدنيا فحسب بل وفي الآخرة، فقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح (٤٠١٩)، والحاكم في المستدرک، کتاب الفتن، ح (٨٦٢٣)، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، وقال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح ابن ماجه، ح (٤٠٠٩) ج ٢/ص ٦٤.

ومع هذا تطالعنا سيرة الرسول ﷺ وأصحابه بوقائع لم يكن النصر فيها حليفاً للمؤمنين لترى أسباب ذلك: يوم أحد نرى أن الهزيمة وقعت على العكس مما يتوقع أهل الإيمان وقد بين الله ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥]..... وهكذا فإن المعاصي تؤثر على حياة المجتمع بالهزائم الساحقة أمام الأعداء، إن كان هذا حصل في صفوف الصفوة ومعهم خير البشرية نبينا محمد ﷺ حينما خالف بعضهم بعض المخالفات فكيف والناس في هذه الأيام يتخوضون في المعاصي والجرائم والظلم تخوض الفساق ويريدون النصر على الأعداء! « (١).

❖ ثانياً - الخسف بالعصاة:

« والخسف لا يكون إلا بسبب العصيان والطغيان والبغي، ولقد قصَّ الله علينا من نبا قارون (١) ما قص فإن قارون لما بغي الفساد في الأرض وتجبر وطغى قال "تعالى" عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص: ٨١].

والخسف ليس لقارون فقط بل هو محقق في غيره كذلك لاجتماع العلة وهي العصيان والطغيان ومن ذلك في هذه الأمة قول الرسول ﷺ: (في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر). (٢) وكما حصل لذلك

(١) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٢) راجع قصة قارون ص ٧٧.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي، حرف الفاء، ح (٥٩٦٨)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح (٤٢٧٣) ج ٣/ ص ٨٩.

الرجل الذي أخبر عنه الرسول ﷺ فقال: (بيننا رجل يجزر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة). (١) . (٢)

فهذا جزاء من تكبر وتجبّر ولعب بالقيان والمعازف وشرب أمّ الخبائث.

❖ ثالثاً - خسارة العصاة في الدنيا وشقائهم في الآخرة:

« والمعاصي سبب لخسارة الدنيا والآخرة وهي تنسي العبد ذكر ربّه والإنابة إليه قال الله "تعالى" متوعداً لمن هذا شأنه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١].

على العكس من ذلك أهل الصلاح والاستقامة الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١]، فلهم الخير والولاية في الدارين.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من جعل همه الآخرة فإنه يحصل على أجرٍ عظيم وراحة وطمأنينة في قلبه ودنياه أما من كانت دنياه أكبر همه لم يأخذ منها إلا ما قدر له وكان في شقاءٍ وعناء، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) (١) .

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه الخيلاء، ح (٥٧٩٠).

(٢) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٥٣.

(٣) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٣٧-١٥٥، والحديث ورد في سنن عليه

وكما أنّ المعصية لها تأثيرها الكبير و السوء على المجتمع فهي أيضاً لها تأثيرها على بقية المخلوقات، وهاهنا نرى كيفية مساهمة المعصية في شقاء بقية المخلوقات.

❁ المسألة الثالثة: أثر المعصية على بقية المخلوقات:

مما لا شك فيه أنّ للذنوب والسيئات أثرها الواضح على سائر ما خلق الله ﷻ في كلّ برّ وبحرٍ وجو وفي ذلك يقول "تعالى": ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قال الإمام الشوكاني ~ : « بين "سبحانه": أنّ الشرك والمعاصي سببٌ لظهور الفساد في العالم». (١)

وصدق الباري "جلّ في علاه" فهاهو الفساد يجاهر به في حياتنا المعاصرة في كلّ مكان ونحن نسمع « ونرى في هذه الأيام الفساد الذي انتشر و ينتشر في البرّ في القرى والأرياف أو عند البادية أهل العمود أو على الأنهار والبحار فإنّ العصاة والفجّار ينتشرون على شواطئ البحار والأنهار يظهرون فسادهم ومنكراتهم فترى النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللواتي خرجن عن الطهر والعفاف إلى حضيض الرذائل والقاذورات وذلك في بعض البلدان إلى غير ذلك من المفاسد الكثيرة على البحار والأنهار أو غيرها إضافة إلى ما قد يحصل في السفن والمراكب داخل البحار من معاصي أو حروب مدمرة أو غيرها... أمّا الجو وبالذات في عصرنا الحاضر فهناك الطائرات التي يحصل فيها بعض الفساد وعلى بعضها قد تشرب الخمر... فالفساد قد عمّ وطمّ البراري والقفار كما عمّ الشوارع والأنهار والبحار

ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، ح(٤١٠٥)، قال الألباني: (صحيح)، انظر: صحيح ابن

ماجه، ح(٤٠٩٥) ج ١٠ / ص ٢.

(١) فتح القدير، الشوكاني ج ٥ / ص ٤٧٥.

وغيرها». (١)

وقد تعدت آثار المعاصي والآثام الإنسان إلى غيره من المخلوقات على ظاهر الأرض من حيوان ونبات وجماد وغيره وذلك على النحو التالي:

❖ أ - أثر المعصية على الدواب:

قال "تعالى": ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

قال الشيخ السعدي ~ : «ثم ذكر "تعالى" كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ﴿وَلَا كُنَ﴾ يمهلهم "تعالى" ولا يمهلمهم و﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا ﴿﴾ فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر». (١)

وفي حديث عبد الله بن عمر قال كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: (يا معشر المهاجرين خمس خصالٍ أعوذ بالله أن تُدركوهنَّ) قال منها: (ولا نقص قوم المكيال إلا بلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا... الحديث). (١)

(١) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٦٩٢.

(٣) سبق تخريجه ص ١٤٨.

❖ ب - أثر المعصية على الأرض:

إن الذنوب والمعاصي قد تعدى أثرها من الإنسان إلى الحيوان وفيما يلي نستعرض سريعاً أثرها على الأرض وغيرها، وذلك على النحو التالي: (١)

١- اسوداد الحجر الأسود بسبب ذنوب الناس:

لقد كان الحجر الأسود أبيضاً ولكن معاصي وذنوب البشرية جعلته يسود وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم). (٢)

٢- الزلازل:

جاء في المفردات في غريب القرآن: ((والتزلزل الاضطراب)) . (٣)

وجاء في لسان العرب: ((الزلازل والزلزلة تحريك الشيء)) . (٤)

فالزلزل هو أن تضطرب الأرض وتتحرّك، ولقد اضطربت الأرض وتزلزلت منذ القدم، وفي الزلازل عقوبة وإنذار من الله "تعالى" للناس بأن ذنوبهم كثرت وأن لهم التوبة والعودة إليه، وهي إن كثرت دلّت على قرب قيام الساعة.

وقد قال الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان

(١) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح ص ١٥٩-١٦٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، ح (٨٧٧)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وقال الألباني: (وهو كما قال) انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني، ح (٢٥٧٧) ج ٢ / ص ٧٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة: (زَل) ص ٢١٩.

(٤) لسان العرب، مادة: (زلزل)، ج ١١ / ص ٣٠٦.

عظيمنتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل... (الحديث). (١)

وفي عصرنا اليوم نرى كثرة الزلازل المدمرة للبيوت والزروع والحيوانات والادميين مما يدل على كثرة المعاصي وانتشارها. - نسأل الله العافية -.

٣- الريح المدمرة:

لقد عاقب الله ﷻ أمما ممن كذب رُسله بالريح الشديد ومن تلك الأمم عاد إذ أرسل الله عليهم ريحاً عقيماً أفسدت ودمرت عليهم كل شيء إذ يقول "تعالى": ﴿وَأَذْكُرُ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعَبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنَاكُمْ قَوْمًا بَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ بَأْمَرٍ رِبَّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٥].

ولا يخفى عنا اليوم ما نسمعه بين حين وآخر من الأعاصير المدمرة التي تأتي على البلدان والقرى فتخرّب وتدمر بسبب الذنوب التي ظهرت في البر والبحر إلا ما رحم الله تعالى.

٤- الغرق:

ففي زمن نوح ﷺ كان الطوفان الذي أغرق الأرض كلها ومن عليها إلا من نجاه "تعالى" مع نوح ﷺ يقول "تعالى" ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَيْهِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ ﴿٧٣﴾﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، ح (٦٧٠٤).

مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَكَانُوا لِلْيَتَمِيمَاتِ كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ [يونس: ٧٣-٧٤].

ويدخل تحت هذا الفيضانات والسيول التي إن اجتاحت مكاناً لا تدر فيه أخضراً ولا يابساً إلا أهلكته كما حصل مع أهل سبأ.

٥- قلب الأرض بقوم لوط:

وهذا كالعذاب الذي أرسله الله "تعالى" على قوم لوط حيث قلبها "سبحانه" وجعل عاليها سافلها يقول المولى "جل في علاه" عن ذلك: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

والزلازل والأعاصير والفيضانات والخسوف وغير ذلك إنما هو من سنن الله الكونية والتي تضرب الأرض بين حين وآخر لحكمة عنده "سبحانه"، ومن الأمثلة على ذلك زلزال تسونامي والذي ضرب سنة ٢٠٠٤م الدول المطلة على المحيط الهندي من أندونيسيا وتايلند والهند وسيريلانكا وغيرها حيث كان بقوة تسع درجات على مقياس ريختر وراح ضحيته حوالي ثلاثمائة ألف إنسان...، وأيضاً زلزال هايتي والذي ضرب جزيرة هايتي سنة ٢٠١٠م بقوة سبعة درجات على مقياس ريختر وقد وصل ضحاياه قريباً من مائتي ألف من البشر...^(١) - نسأل الله السلامة -.

❖ أضرار المعصية في الآخرة:

كما أن للمعصية ضرره في الدنيا فكذلك لها أثرها في الآخرة ونكتفي في ذلك بذكر أمثلة فيما يلي:

(١) انظر: الشبكة العنكبوتية موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).

أ - من القرآن الكريم:

قوله "تعالى": ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِّتُنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيهِ﴾ (٢٥) ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ﴾ (٢٦) ﴿يَلِّتُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ (٢٩) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٣٠) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٣١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينِ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧) [الحاقة: ٢٥-٣٧].

ب - من السنة النبوية:

عن ابن عباس } أن رسول الله ﷺ قال: (أهون الناس عذاباً أبو طالب وهو متعل بنعلين يغلي منها دماغه). (١)

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح(٦١٩٣)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ح(٣٦٤)، واللفظ له.

المبحث الرابع

تكامل المنهج القرآني في هدم المعاصي
وبناء سبل الإصلاح

وفيه مطلبان :

✿ المطلب الأول: الرجاء وحسن الظنّ بالله "تعالى" .

✿ المطلب الثاني: التوبة تعريفها وشروطها .

* * * * *

المطلب الأول: الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

✽ المسألة الأولى: الرجاء والخوف:

أصحاب الرجاء في الله "تعالى" يحسنون الظنّ به "سبحانه" وهم مجتهدون مشتمرون مستقيمون على عمل صالح مسارعون لترك عمل غير صالح فحق لهم أن يؤملوا في عفو الله ورحمته وحقّ لهم أن ينعموا بأن يكون الله عند حسن ظنّهم به.

يقول الشيخ محمد الغزالي ~ : « الرجاء في الله "تعالى"، وحسن الظنّ به إنّها يقبلان إذا اقترنا بالعمل الواجب، وصحبهما الإسراع في حقّ الله "تعالى"، والسهر على مرضاته، أمّا مع البطالة والاسترخاء فلا مكان لرجاءٍ ولا موضع لحسن الظنّ وتدبر قوله "تعالى": ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٢] إيمان وهجرة وجهاد، تلك هي التي يرجو أصحابها فضل الله "تعالى"، أمّا الريبة والقعود والراحة فلا تبلغ أملاً، ولا تنتج إلا شراً. (١)

قال "تعالى": ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ ءَأَنَاءَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

قال العلامة ابن عاشور ~ : « وجملته ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ حالان، فالحال الأول والثاني لوصف عمله الظاهر والجملتان اللتان هما ثالث ورابع لوصف عمل قلبه وهو أنّه بين الخوف من سيئاته وفتلاته وبين الرجاء لرحمة ربّه أن يُثيبه على حسناته، وفي هذا تمام المقابلة بين حال المؤمنين الجارية على وفق حال نبيهم ﷺ وحال أهل الشرك الذين لا يدعون الله إلا في نادر الأوقات، وهي أوقات الاضطرار، ثمّ يشركون به بعد ذلك، فلا اهتمام لهم إلا بعاجل الدنيا لا يحذرون

(١) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي ص ٢٦٨-٢٦٩.

الآخرة ولا يرجون ثوابها، والرجاء والخوف من مقامات السالكين، أي: أوصافهم الثابتة التي لا تتحول، والرجاء: انتظار ما فيه نعيم وملائمة للنفس. والخوف: انتظار ما هو مكروه للنفس، والمراد هنا: الملائمة الأخروية لقوله: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾، أي: يحذر عقاب الآخرة فتعين أن الرجاء أيضاً المأمول في الآخرة. وللخوف مزيته من زجر النفس عما لا يُرضي الله، وللرجاء مزيته من حثها على ما يُرضي الله وكلاهما أنيس السالكين، وإثما ينشأ الرجاء على وجود أسبابه لأن المرء لا يرجو إلا ما يظنّه حاصلًا ولا يظنّ المرء أمراً إلا إذا لاحت له دلائله ولوازمه، لأنّ الظن ليس بمغالطة والمرء لا يغالط نفسه، فالرجاء يتبع السعي لتحصيل المرجو قال الله "تعالى": ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] فإنّ ترقب المرء المنفعة من غير أسبابها فذلك الترقب يُسمى غروراً، وإثما يكون الرجاء أو الخوف ظناً مع تردد في المظنون، أمّا المقطوع به فهو اليقين واليأس وكلاهما مذموم قال "تعالى": ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] «^(١)».

و عن سعيد بن المسيب ~ : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتكى فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقال: كيف تجدك يا عمر فقال: أرجو وأخاف فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وأمنه الخوف).^(٢)

✽ المسألة الثانية: المغفرة والعفو من الله:

ولا يزال باب التوبة مفتوحاً أمام هذا العاصي اللاهث وراء شهواته ولكنه بما يحمل في قلبه من إيمان فإنه ما زال عنده بصيص أمل في عفوره عز وجل وسعة رحمته "تعالى".

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج ٢٤ / ص ٣٥-٣٦.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، باب في الرجاء من الله تعالى، ح (١٠٠٣)، والحديث مروي عن سعيد بن المسيب مرسلًا.

« والإسلام يأخذ بيد الإنسان في حالات قوته وضعفه، ويرى فيه مخلوقاً يعمل السيئة كما يعمل الحسنة، فهو لا يني يخطئ، ولا يني يُحاول تلافي الخطأ، ولذلك يعده الإسلام بتكفير السيئات إن تاب والتجأ إلى الله "تعالى"..... هكذا يوجه الإسلام هذا الإنسان، وهو يعلم أنّ فيه بجانب الضعف قوة، وبجانب النزوة والشهوة، والطمع والرغبة، وعيا وخوفاً من الله "تعالى"، فهو - سبحانه - يعطف عليه في حالة الضعف ليأخذ بيده إلى الطريق السوي، ويحنو عليه في ساعة العثرة ليشدّ به إلى مواضع الخلاص». (١)

يقول الله ﷻ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه». (٢)

وقال "تعالى": ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

قال الشيخ السعدي ~ : « أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود، فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة، فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويُزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويُعيد إليه ما تقدّم من الأعمال الصالحة، ويُوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلاً عن توفيقه، لأنّه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه». (٣)

(١) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، سميح عاطف الزين ج ٢/ ص ١١٣-١١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٧/ ص ١٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٢٠٠.

قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له)^(١) وقرأ هاتين الآيتين ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَكُنِ اللَّهُ لِمَنْ يَصْرِفُ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

✽ المسألة الثالثة: المسارعة إلى فعل الخيرات واغتنام الفرص:

إنَّ الله ﷻ من رحمته بعباده المؤمنين يحثنا في كتابه العزيز مراراً وتكراراً إلى المسابقة إلى استغلال الفرص بالمسارعة إلى التوبة، وفعل الخيرات قبل الممات، يقول عثمان قدري: « إنَّ الله ﷻ يُنبهنا في قرآنه العظيم إلى اغتنام ما بين أيدينا، والحرص عليه في مرضاة الله، قبل أن نلقاه مفلسين خاسرين نادمين على ما فرطنا فيه، وما دمنا في الدنيا لم نغرر بعدُ فلنغترف من الخير قبل الممات، ففي الدنيا عمل ولا حساب، وفي الآخرة حساب ولا عمل..... فالعاقل يغتنم الفرص التي يقدمها له الله ﷻ، ويؤمن به ويُطيعه، ويُطيع رسوله ﷺ ». (١)

وهاهو الباري "جلَّ شأنه" يدعونا إلى الإسراع في فعل الخير: ﴿ فَاسْتَبِقُوا ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « أي: بادروا إلى ما أمركم الله من استقبال البيت الحرام كما يفيد السياق، وإن كان ظاهره الأمر بالاستباق إلى كل ما يصدق عليه أنه خير كما يفيد العموم المستفاد من تعريف الخيرات، والمراد من الاستباق إلى

(١) مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي بكر الصديق، ح(٤٧)، قال الأرنبوط: (إسناده صحيح).

(٢) من أساليب التربية في القرآن الكريم، عثمان قدري مكناسي ص ٣٢٦-٣٣٢.

الاستقبال: الاستباق إلى الصلاة في أول وقتها». (١)

وقال ﷺ: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك). (٢)



(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ١/ ص ٢٠٠.

(٢) الحاكم في المستدرک، کتاب الرقاق، ح (٧٨٤٦)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح (٣٣٥٥) ج ٣/ ص ١٦٨.

المطلب الثاني: التوبة تعريفها وشروطها

✽ المسألة الأولى: تعريف التوبة:

أ - التوبة لغة:

جاء في في لسان العرب: « التَّوْبَةُ الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ... والتَّوْبُ مَثْلُهُ وَقَالَ الْأَخْفَشُ: التَّوْبُ جَمْعُ تَوْبَةٍ مِثْلَ عَزْمَةٍ وَعَزَمٌ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا أَنْابَ وَرَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ ». (١)

ب - التوبة اصطلاحاً:

التوبة هي: « الرجوع من الكفر إلى الإيمان أو من المعصية إلى الطاعة ». (٢)

وقيل التوبة هي: « استغفار العبد ربّه "سبحانه"، والرجوع إليه وطلب العفو منه لما ارتكب من المعاصي والآثام لكي يمحوا آثار ما آتاه من الذنوب وما ارتكب من الأخطاء ». (٣)

ويمكن أن يُقال أن التوبة هي: الرجوع مما ذمّه الإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً إلى ما مدحه من ذلك، مع تحقق شروط التوبة فيه.

إنّ من رحمة الله بأمة الإسلام أن رفع عنهم الإصر والأغلال التي كانت لازمة على من قبلهم من بني إسرائيل فلم يكلفهم عتاً.

لقد كان قبول الله ﷻ لتوبة جماعة من اليهود منحصرأ في قتلهم أنفسهم حتى

(١) لسان العرب، مادة: (توب) ج ١/ ص ٢٣٣.

(٢) أسباب هلاك الأمم والشعوب، عبد الله التليدي ص ١٨.

(٣) الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة، توفيق علي وهبة ص ١٦٥.

يُصْبِحُ ذَلِكَ بَرَهَانًا عَلَى صِدْقِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ كَمَا قَالَ "سُبْحَانَهُ": ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فُتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ [البقرة: ٥٤].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « هذه صفة توبته "تعالى" على بني إسرائيل من عبادة العجل.... عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال الله "تعالى": إن توبتهم أن يقتل كل واحد منهم كل من لقي من ولد ووالد فيقتله بالسيف، ولا يُيالي من قتل في ذلك الموطن. فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به فغفر الله "تعالى" للقاتل والمقتول». (١)

فالحمد لله الذي عافانا مما أبكى به كثيراً من خلقه، وهاهو بيان التوبة في القرآن والسنة:

✽ المسألة الثانية: شروط التوبة:

لن تكون التوبة صحيحة مقبولة حتى تتحقق فيها شروط (١) تؤكد صدق المسلم في توبته وأوبته إلى ربه وسأذكرها:

الشرط الأول - الإقلاع عن المعصية:

إن أول ما يلزم التائب الناصح أن يقتلع من نفسه جذور تعلقه بذنبه حتى يصرف الله عنه ذنبه هذا ويصرف عنه السوء والفحشاء وذلك « لأن النفس المشغولة بلذة المعصية قلما تخلص عمل الخير فليجاهد التائب نفسه لاقتلاع جذور الشر من قلبه حتى يصبح نقياً خالصاً صافياً تصدر عنه أفعال الخير بنية صالحة مقبولة عند الله

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ١/ ص ٢٦١.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٦١.

"تعالى" . ()

الشرط الثاني - الندم على فعل المعصية:

وذلك بأن يعلن مع توبته وإقلاعه عن المعصية الحسرة والندم على ما مضى من عمر فيما يُغضب الله "تعالى"، والتائب إن أراد كمال توبته فعليه بالحزن والأسف الشديد على كل ما غبر من حياة في وحل السيئات مما يستلزم الذل والانكسار بين يدي الله ﷻ.

الشرط الثالث - العزم على عدم العودة إلى المعصية:

و عزم التائب على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل ينبغي أن يكون مقيداً للنفس بسلاسل قوة الإرادة الصادقة مع الله ﷻ؛ حتى يوفق المسلم في توبته واستغفاره.

والشروط السابقة إن كانت التوبة متعلقة بحق الله ﷻ، أمّا إن كانت التوبة متعلقة بحقوق الأدميين فشروطها الثلاث السابقة مع شرط رابع وهو:

الشرط الرابع - ردّ الحقوق المادية والمعنوية لأصحابها:

فأمّا الحقوق المادية كالأموال مثلاً رده إلى صاحبه، أمّا إن كانت الحقوق معنوية كالغيبة مثلاً فإنه يستحل منه، فإن تعذر هذا الشرط، فعلى التائب الإكثار من الاستغفار لخصمه مع التصديق عليه والدعاء له، فإن مثل ذلك مما يُرجى به الحل - بإذن الله -

ويدخل في هذه الحقوق ما كان حقاً لله "تعالى" كالنذر والإفطار في رمضان بدون عذر والدم ونحوه على المحرم والكفارات وغير ذلك فإنه على التائب الإتيان بها قبل مماته فإنه مسؤول عنها أمام الله ﷻ.

(١) وجوب التوبة إلى الله، صالح غانم السدلان ص ١٦-١٧.

فإذا تحققت هذه الشروط، كانت التوبة مقبولة عند الله ﷻ وهي التوبة النصوح المشار إليها بقوله "تعالى": ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨]، أمّا إذا انتفت هذه الشروط أو أحدها، كانت حينها توبة ناقصة لا اعتبار لها ولا قبول عند الله "تعالى".

المطلب الأول: تشريع العقوبات والزواج في حق العصاة والمجرمين والحكمة منهما

❁ المسألة الأولى: تشريع العقوبات في حق العصاة:

ما من إنسان في هذه المعمورة إلا وهو مرهونٌ بعمله فإن أحسن العمل فعممة العقبي في الدنيا والآخرة، أمّا إن أساء العمل فبئس العقبي في الدنيا والآخرة - والعياذ بالله - إذ أنّ « قضية الثواب والعقاب بديهية يقوم عليها النظام في دنيا الناس، ولا يخلو مجتمع من المجتمعات من تقرير مبدأ الثواب والعقاب، ومن السنن البديهية في الحياة أن يُكافأ فاعل الخير على عمله، وأن يُجازى فاعل الشر بما كسبت يده، وما من أمة في مشرق الأرض ومغربها خلا تشريعها من مواد العقوبات، باعتبارها ضرورة من ضرورات وجود المجتمع، وضرورة لضمان سلامته واستقراره، والأصل في الجزاء في منهج الإسلام أن يكون في الآخرة، باعتبارها دار الحساب والجزاء، في الدنيا، ولكن مقتضيات الحياة، وضرورة استقرار المجتمع وضمان حقوق الأفراد، وكفالة حرياتهم كل ذلك دعا إلى أن يكون مع الجزاء الأخروي جزاءً دنيوياً، ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شؤون الحياة ومن ثم، فإنّ أجزية الإسلام تتعلق بأمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها في الآخرة، وقد يكون لها جزاؤها في الدنيا أيضاً والجزاء في الدنيا لا يمنع الجزاء في الآخرة عن صاحب المعصية إلا إذا تحققت توبته^(١).... وقد

(١) والصحيح أن العقوبات في حق المسلم جوارب؛ لسقوط عقوبتها في الآخرة إذا استوفيت في الدنيا، وهي في حق الكافر زواج؛ لما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس: تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، فبايعناه على ذلك » انظر: صحيح البخاري كتاب الأحكام، ص ١٤٠

جعل الإسلام كثيراً من العقوبات اختصاصاً للمولى ﷺ تنفذ يوم القيامة، وذلك على الأفعال والجرائم النفسية التي لا يمكن إحساسها، أو إثباتها، كالحقد والحسد، والغيبة والنميمة، وغير ذلك، أما الجرائم التي يمكن إثباتها كالزنا والسرقه والردة، وشرب الخمر، والقتل، والقذف، وضع لها عقوبات دنيوية محددة يوقعها الحاكم المسلم وهذه الجرائم التي عجل الإسلام بتوقيع العقاب عليها في الدنيا لها من الخطورة على الفرد والمجتمع ما جعل المشرع الإسلامي يقرر سرعة العقاب عليها حفاظاً على المجتمع، ومنعاً من انتشار عدوى الجريمة» (١).

✽ المسألة الثانية: الحكمة من تشريع العقوبات والزواج:

قد يورد بعض المستشرقين شبهة تنحصر في أن تطبيق الإسلام للعقوبات بحق المجرمين فيه قسوة عليهم وأذى جسدي لهم يفوق ما ارتكبه من خطأ، وقد ردّ علمائنا الأفاضل على هذه الشبهة وفي عدة مواضع أقتبس منها ما أورده د/ محمد السيد يوسف قائلاً: « والعقوبة في الإسلام رغم شدتها في بعض الأحيان، إلا أن المقصود من هذا التشديد هو الزجر والتخويف، وليس مجرد العقاب في حد ذاته؛ لأنّ الجاني إذا علم بشدة العقوبة فكر مرات ومرات قبل أن يُقدم على ارتكاب الجريمة، والله "جل شأنه" أعلم بنفوس الناس، وقد وضع لها من العقوبات ما يُناسبها، ويمنعها من الإضرار بالناس أو المجتمع..... وتشريع العقاب الدنيوي - في نظام الشريعة الإسلامية - من مظاهر رحمة الله "تعالى" بعباده؛ لأنّه يزجر عن ارتكاب الجريمة، فيبتعد عن الإثم، وإذا وقع في الجريمة فإن العقوبة في حقه، بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه، وبمنزلة قطع العضو الفاسد والمتآكل من الجسد، فإنّ هذا

باب بيعة النساء (٦٧٨٧)، وصحيح مسلم كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها ح (١٧٠٩).

(١) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف ص ٤٥٣-٤٥٥.

القطع وذلك الكي مصلحة للإنسان وإبقاءً لحياته وإيقاف للمرض من السريان في بقية الجسد وإهلاكه كله، كما أن هذا العقاب للجاني مصلحة مؤكدة للمجتمع لما يترتب عليه من اطمئنان الناس على حياتهم وأموالهم، وهذه المصلحة العامة يهون معها الضرر الذي يصيب المجرم بسبب ما جنى^(١).

ويمكنني أن أخرج من ذلك بأن الحكمة من تشريع العقوبات والزواج تظهر فيما يلي:

١- صيانة مصالح الجماعة وحفظ النظام القائم عليه.

٢- زجر الناس ومنعهم من ارتكاب الجريمة والاقتراب منها.

٣- إصلاح الجاني وتهذيبه وتقويم سلوكه.

ويقول أ/ توفيق علي وهبة أيضاً: « فتشريع العقوبة فيه زجرٌ للناس وتخويفٌ لهم من الإقدام على الفعل المحرّم، أمّا تطبيق العقوبة وعلانية هذا التطبيق ففيه زجرٌ وردعٌ للآخرين، وفيه عقابٌ وإصلاحٌ للجاني لأنّه لن يفكر في العودة إلى الجريمة وسوف يُقلع عنها حتى يتفادى العقاب ولا يفتضح أمره مرة أخرى، فالهدف من إعلان تنفيذ العقوبة على رؤوس الأشهاد هو زجر العامة وتخويف المجرمين، ولا يُقصد منها إذلال المجرم أو امتهان كرامته^(٢) .»

وقد شرعت العقوبات لمنع الناس من ارتكاب الجرائم والمعاصي، فإن هم ارتكبوها وقعت عليهم فلا يعودون مرة أخرى لارتكابها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « العقوبات الشرعية إنّما شرعت رحمة من الله "تعالى" بعباده فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم. ولهذا ينبغي لمن

(١) المرجع السابق ص ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) التداير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي وأسلوب تطبيقها، توفيق علي وهبة ص ٢٢-٢٣.

يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان لأهلهم، والرحمة بهم. كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض». (١)

✽ المسألة الثالثة: أثر تطبيق التدابير الزجرية والوقائية في المحافظة على الأمن والاستقرار في المجتمع:

من أهداف الشريعة الإسلامية العادلة إقامة التدابير الزجرية والوقائية وذلك صيانة للمصالح المعتبرة للفرد والمجتمع من أجل أن يستتب الأمن والاستقرار ويأمن الناس على حياتهم وممتلكاتهم، والمصالح المعتبرة التي يتشوف الشارع الحكيم إلى حمايتها وصيانتها هي خمس مقاصد كما يلي:

١- المحافظة على النفس: فحرّم الإسلام القتل لقوله "تعالى": ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وجعل عقوبة القاتل القصاص وذلك لقوله ﷺ: (العمد قود). (١)

٢- المحافظة على الدين: فحرّم الإسلام الردّة ودمها قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، وجعل عقوبة المرتدّ القتل فقال ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه). (١)

٣- المحافظة على النسل (العرض): فحرّم الإسلام الزنا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وجعل عقوبة الزاني الجلد إن كان بكرًا والرّجم إن كان محصنًا للحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني

(١) الاختيارات العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية، البعلي ج ١/ ص ٢٥٢.

(٢) سنن الدار قطني، كتاب الحدود والديات وغيره، ح (٤٧)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح وضعيف الجامع للألباني، ح (٤١٣٤) ج ١/ ص ٣٧٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، ح (٦٥٢٤).

} أُنْهَمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْشِدْكَ اللَّهُ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بَكْتَابَ اللَّهِ، فَقَالَ الْخِصْمُ الْآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ: نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَائْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قُل). قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَرَزْنِي بِامْرَأَتِهِ وَإِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ فَافْتَدَيْتَ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّهَا عَلَى ابْنِي جِلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ وَعَلَى ابْنِكَ جِلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ، اغْدِ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفْتَ فَارْجُمِهَا). قَالَ فَعَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجَمَتْ. (١)

٤ - المحافظة على العقل: فحرم السكر قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقرر جلد السكران ثمانين جلدة لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَجَلَدَهُ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوِ أَرْبَعِينَ. قَالَ: وَفَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا كَانَ عَمْرُ اسْتِشَارَ النَّاسَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَخْفِ الْحُدُودَ ثَمَانِينَ، فَأَمَرَ بِهِ عَمْرٌ. (١)

٥ - المحافظة على المال: فحرم السرقة وقرر قطع يد السارق قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

٦ - وشرع الإسلام عقوبات رادعة للمحاربين - قطاع الطرق - قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣].

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط التي لا تحل في الحدود، ح (٢٥٧٥)، وصحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه في الزنا، ح (٤٥٣١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الخمر، ح (٤٥٤٩).

وقد أوضح رسول الله ﷺ الأثر الطيب لتطبيق العقوبات الإسلامية فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: " (حدّ يُعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً). (١)



(١) سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، ح(٢٥٣٩)، قال الألباني: (صحيح)، انظر السلسلة الصحيحة، ح(٢٣١) ج١/ ص٤٦١.

المطلب الثاني: الجريمة والعقوبة في الإسلام

إنَّ الجرائم رغم الاختلاف بينها إلا أنَّ هنالك ما يجمع بينها وهو أنَّها محرمات شرعية مُعاقب عليها، وقد قسمها فقهاء الشريعة إلى ثلاثة أنواع باعتبار نوع عقوبتها، وهي: جرائم الحدود، وجرائم القصاص والديات، وجرائم التعزير، وتفصيلها كما يلي:

« تنقسم العقوبات في الإسلام إلى ثلاثة أنواع:

❖ أولاً - جرائم الحدود:

وهذه الجرائم هي التي حدّد الإسلام لها عقوبات معينة ليس للحاكم أو القاضي أن ينقص منها أو يزيد عليها أو يستبدل بها غيرها. وتنحصر جرائم الحدود في سبع على خلاف بين الفقهاء في بعضها وهي: الزنى - السرقة - الحراة - القذف - الشرب - الردة - البغي.

❖ ثانياً - جرائم القصاص:

وهي جرائم القتل والجرح والضرب العمدية وقد وضع لها الإسلام عقوبة القصاص أو الدية إذا عفا أولياء القتل عن حقهم في القصاص.

❖ ثالثاً - جرائم التعزير:

وهي الجرائم التي ترك الشارع تحديد عقوبتها لولي الأمر أو القاضي على حسب ظروف ودوافع كلّ جريمة^(١).

وأما جرائم الحدود فهي كما يلي:

(١) التدابير الجزية والوقائية في التشريع الإسلامي وأسلوب تطبيقها ص ٤٢-٥٠، بتصرف.

« جريمة السرقة: السرقة في الشريعة الإسلامية: هي أخذ مال الغير خفية من حرز على سبيل التملك.

جريمة الحراية: هي قطع الطريق.

جريمة الزنا:

اتفقت جميع الشرائع السماوية على محاربة جريمة الزنا لمخالفتها للعقيدة والعقل، وللقرآن الكريم طريقة فريدة في معالجة هذه الجريمة والقضاء عليها قضاء مبرماً لما لها من أثر سيء على تقويض بنية المجتمع لشيوع الرذيلة فيه واختلاط الأنساب بين أفراد.

جريمة القذف:

هو رمي المحصنة أو المحصن بالزنا أو نفي النسب.

جريمة شرب الخمر:

تعريف السكر: هو فقد الوعي نتيجة تناول المادة المسكرة.

جريمة الردة:

هي عودة الشخص المسلم إلى الكفر بعد اعتناقه دين الإسلام.

جريمة البغي:

هو الخروج على الإمام مغالبة^(١).

(١) الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة، توفيق علي وهبة ص ٦٧-١٥٧، بتصرف.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك العصاة في العصر الحاضر

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك الفرد .
- المبحث الثاني: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك المجتمع .

المبحث الأول

أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك الفرد

وفيه مطلبان :

✿ المطلب الأول: التهذيب بالطاعة.

✿ المطلب الثاني: البعد عن المعصية.

* * * * *

المطلب الأول: التهذيب بالطاعة

وفيه مسألتان:

✽ المسألة الأولى: أثر أركان الإيمان على الفرد:

مما لا شك فيه أنّ للإيمان بالله ﷻ أثره الملموس على سلوك المرء وتصرفاته في هذه الحياة، فكلما كانت العقيدة صحيحة صافية لله رب العالمين كلما كان العمل صائباً، وكلما كانت العقيدة ضالةً منصرفةً إلى غير الله "تعالى" كلما كان العمل منحرفاً؛ ومن هنا يتضح لنا بجلاء أنّ ((للعقيدة القوية والسليمة أثرها الفعال، ودورها الهام في إصلاح الفرد وتزكيته... ومن المعلوم أنّ سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته، فإذا صلحت صلح السلوك واستقام، وإذا فسدت فسدت واعوج))^(١).

والإيمان يحتوي ستة أركان، وهي على النحو التالي:

❖ أولاً - الإيمان بالله:

إنّ الإيمان بالله هو رأس أركان الإيمان؛ وإنّ المؤمن إذا شعر أنّ له رباً مطلعاً عليه ومراقباً له في حركاته وسكناته وأنّه سيحاسبه عليها لا محالة حينها سينضبط عمل المرء بالحد من المعاصي والحرص على الطاعات.

وللإيمان بالله ﷻ آثارٌ جليلة على المؤمن إذ أنّ الإيمان بالله "تعالى" « من شأنه أن يفجر المشاعر النبيلة، ويوقظ حواس الخير، ويُرَبِّي ملكة المراقبة، ويبعث على طلب معالي الأمور وأشرفها، وينأى بالمرء عن محقرات الأعمال و سفا سفها »^(٢).

وإنّ المؤمن إذا آمن واعتقد اعتقاداً جازماً بالله ﷻ رباً وإلهاً فإن ذلك كما يقول

(١) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف ص ٣٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٣.

الشيخ ابن عثيمين ~ : « يُثمر للعبد محبة الله وتعظيمه، الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله "تعالى" واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع ». (١)

قال "تعالى": ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الشيخ الشنقيطي ~ : « ذكر "جلّ وعلا" في هذه الآية الكريمة: أن كلّ عاملٍ سواءً كان ذكراً أو أنثى عمل عملاً صالحاً فإنه "جلّ وعلا" يقسم ليحيينه حياة طيبة، وليجزينه أجره بأحسن ما كان يعمل ». (٢)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره... الحديث). (٣)

فتأمل كيف هدّب الإيمان سلوك المؤمن فزكاه وطهره من أذى جيرانه والاعتداء عليهم ودفعه دفعاً لبذل ما ينفعهم ويصلحهم؛ وليس هذا فحسب بل إنّ الإيمان بالله له آثاره الواضحة على المسلم في كلّ تعاليم الدين الإسلامي.

❖ ثانياً - الإيمان بالملائكة:

إنّ الإيمان بالملائكة الكرام له أثره الكبير في تهذيب السلوك وإصلاحه بالنسبة للأفراد، فالفرد عندما يؤمن بأنّ عليه ملائكة مكلفين من قبل الله "تعالى"، يراقبون أعماله صغیرها وكبیرها ويحسوها عليه حيثما حلّ وارتحل، فيبتعد عما يُغضب الله "تعالى" وبذلك تستقيم حياته وتنضبط، قال "تعالى": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد صالح العثيمين، ص ٣٨.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ج ٣/ ص ٦٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ح (٤٨٩٠).

تُسَوِّسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَحَنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْتَلِقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ [ق: ١٦-١٩].

قال الشيخ السعدي - : « يُخْبِر "تعالى" أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويؤسوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لشجرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: ﴿إِذْ يَنْتَلِقَى الْمُتَلَقِيَانِ﴾ أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يكتب الحسنات ﴿و﴾ الآخر ﴿عَنِ الشِّمَالِ﴾ يكتب السيئات، وكلّ منهما ﴿قَعِيدٌ﴾ بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ خير أو شر ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال "تعالى": ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. (١)

وإنّ ذلك يُثمر في المؤمن بأن « يُنمّي لديه الشعور بالمسؤولية، والاستمرار على مراقبة الله ﷻ، والاستقامة على أمره، وكما أنّه يُراعي حقّ الصحبة، فهو يُصاحب عبداً مكرمين "عليهم السلام"، وبذلك يُصبح المجتمع مثالياً تسوده روح المحبة والمودة إذا ما تحلى الفرد بهذه الصفات». (١)

فالإيمان بالملائكة يجعل المؤمن في استحياءٍ من ارتكاب ما حرّم الله لمعرفة أن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ٨٠٥.

(٢) المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، محمد نجيب أحمد أبو عوجة ص ٥١.

عليه ملائكة كاتبين لما يحصله من السيئات.

❖ ثالثاً - الإيمان بالكتب:

أمّا الإيمان بالكتب فله ما لغيره من أثر في تهذيب سلوك الفرد المسلم ويتجلى ذلك في ثمرات هذا الركن والتي ذكرها الشيخ ابن عثيمين ~ بقوله: « العلم برحمة الله "تعالى" وعنايته بخلقه حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به، وكذا ظهور حكمة الله "تعالى" حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب - والواجب الإتيان - القرآن العظيم مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة ». (١)

قال "تعالى": ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّاتِ مِنْ رَبِّهِنَّ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُنَّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « قال "تعالى": ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: من الصحف والوحي: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - هو يعقوب - الاثني عشر. ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ يعني: بذلك التوراة والإنجيل ﴿وَالنَّبِيِّاتِ مِنْ رَبِّهِنَّ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿قُلْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُنَّ﴾ يعني: بل نؤمن بجميعهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل، لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم مُصدّقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله ». (٢)

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد صالح العثيمين ص ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٢/ ص ٢٠.

وقال "تعالى": ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

يقول الحافظ ابن كثير ~ : « يأمر الله "تعالى" عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانها ودعائمه.... فأمرهم بالإيمان به وبرسوله... وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾ وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: ﴿نَزَّلَ﴾؛ لأنه نزل مفرداً منجماً على الوقائع، بحسب ما يحتاج إليه العباد في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبعد عن القصد كل البعد». (١)

كما أنّ من الإيمان بالكتب الإيمان بآخر هذه الكتب نزولاً أولاً وهو القرآن العظيم دستور هذه الأمة .

« ويعني ذلك الاحتكام إليه في كل صغيرة وكبيرة، قال "تعالى": ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩] والاحتكام إلى كتاب الله يجعل المسلم دائماً على بينة من أمره في جميع أحواله». (١)

وأثر الإيمان بالقران الكريم خاتم الكتب المنزلة المصدق لما قبله والمهيمن عليه واضحٌ جليٌّ في تزكية النفس حين ترتبط بتعاليمه فتبرأ من الجهالة والضلالة والحيرة والاضطراب وتهتدي للتي هي أقوم وتعرف به كيف تقوّم طريقها إن اعوج وتصحح مسيرة الحياة إن تخلفت.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٢/ ص ٤٣٤.

(٢) المجتمع الإسلامي دعائمه وأدبه في ضوء القرآن الكريم، محمد نجيب أحمد أبو عجوة ص ٥١-٥٢.

❖ رابعاً - الإيمان بالرسول:

إنَّ المسلم إذا ما عرف فضل أولئك الأنبياء والرسول "عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم" فإنَّ ذلك يُثمر في نفسه عدة فوائد منها بحسب ما ذكره الشيخ السعدي - فيقول:

إنَّ « من تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم، وكلما كان المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيماناً بهم ومحبة لهم وتعظيماً لهم وتعزيراً وتوقيراً. ومنها: أن من بعض حقوقهم علينا - خصوصاً النبي ﷺ - معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ومنها: أن معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله "تعالى" على ما من به على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة بعد أن كانوا في ضلالٍ مبين.

ومنها: أن الرسل هم المرَبُّون للمؤمنين، الذين ما نال المؤمنون مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على أيديهم وبسببهم.

ومنها: أن معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم تحصل للمؤمنين الأسوة من الثقل والشدة، فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء». (١)

إلى غير ذلك من الفوائد الياينة التي يتحصل عليها المؤمن من إيمانه بالرسول الكرام ﷺ وأعظمهم وقدوتهم نبينا محمد ﷺ.

قال "تعالى": ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: حقاً وصدقاً الذين

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٣٦.

آمنوا بالله رباً وإلهاً ورسوله نبياً مطاعاً، ثم لم يرتابوا، أي: لم يشكوا ابداً في صحة ما آمنوا به». (١)

فأنعم بنفس مستقيمة أحبت رسول الله ﷺ واتخذته إماماً وأسوةً حسنةً فإذا هي خلفه لا تفشي إلا مكارم الأخلاق التي أرسل لتمامها ولا تقرب من سيء الأخلاق ولو هممت بذلك حال ضعفها لذكرت ربها من قريب وأحدثت لكل ذنبٍ توبةً وحققت الاستقامة من قريب.

❖ خامساً - الإيمان باليوم الآخر:

إن الإيمان باليوم الآخر لله جدواه البارزة في تحقيق السعادة للإنسان « فالإيمان باليوم الآخر يجعل حياة الإنسان غاية سامية وهدفاً أعلى يتمثل في فعل الخيرات وترك المنكرات والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، كما أن الإيمان باليوم الآخر يقوي عند الإنسان دافع فعل الخير أملاً في نيل ثواب الله "تعالى" وجنته ورضوانه ويردعه عن اقتراف الشر خوفاً من عقاب الله "تعالى" وسخطه». (٢)

قال "تعالى": ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).

قال الشيخ السعدي ~ : « فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسوله

(١) أيسر التفاسير، الجزائري ج ٤ / ص ١٢٧.

(٢) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف ص ٣٤٣-٣٤٤.

واليوم الآخر، فهو بضدّ هذه الحال، فعليه الخوف والحزن).^(١)

كما أنّ للإيمان باليوم الآخر وما ينتظر الإنسان فيه من نعيم مقيم أو عذاب مهين لأبلغ الأثر وأعظم الفائدة ويتضح ذلك في: « أن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصحّ الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه.

ومنها: أن العلم بذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كلّ الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يُخاف منها ويُحذر؛ كأحوال القبر وشدّته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفضعة.

وبمعرفة تفاصيل الجنّة وما فيها من النعيم المقيم، والخبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحجوب المطلوب، بكلّ ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله. وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته». ^(٢)

وكلّ ما سبق ينمي عند المؤمن شعور المحاسبة والمراقبة ممّ ينعكس على سلوكه بأحسن الآثار الطيبة.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ٥٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ٣٧.

❖ سادساً - الإيمان بالقضاء والقدر:

إنّ للإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ثمراتٌ عديدة منها:
« أولاً: الاعتماد على الله "تعالى" عند فعل الأسباب لأنّ السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله "تعالى".

ثانياً: راحة النفس وطمأنينة القلب لأنه متى علم أنّ ذلك بقضاء الله "تعالى" وأنّ المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الربّ فلا أحد أطيب عيشاً وأريح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر»^(١).

إذا فالإيمان بقضاء الله وقدره يخلي من نفس صاحبها لا تخاف ما أصابها من بلاء ولا ترجوا غير الله تعالى ولا تطمع إلا بالله عزّ وجلّ وترهد في الحياة الدنيا.

والمؤمن الذي يجد تلك الثمرات ليُدرك عظم هذا الركن وأنّه لا يكمل إيمان أحد إلا بتحقيقه والتسليم والرضا به، لأنّ ذلك من مقتضيات العبودية الحقّة لله ربّ العالمين.

جاء في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثمّ قال أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره، قال صدقت).^(٢)

ومّا سبق يتضح لي ما للإيمان من أثر في تهذيب سلوك المؤمن وتعديله وإصلاحه وما ذاك إلا لأنّ العقيدة الصحيحة تولد سلوكاً صحيحاً يُجبه الله "تعالى" ويرضاه « فالإيمان نورٌ يقذفه الله في القلب وتظهر آثاره على الجوارح، قال "تعالى": ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢] والإيمان هو الذي يحجز النفس

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد صالح العثيمين ص ٤١.

(٢) سنن النسائي، كتاب الإسلام وشرائعه، باب نعت الإسلام، ح(٤٩٩٠)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح وضعيف سنن النسائي للألباني، ح(٤٩٩٠).

عن الانزلاق وراء الشهوات والغرق في مستنقع الرذيلة والإباحية، بل إن المؤمن بعد فترة من الرياضة الروحية ليستعلي على هذه المحرّمات، وينظر إلى الدنيا من علو سعيداً بإيمانه فرحاً بإسلامه فلو كان في هذه المحرّمات الخير للإنسان لأباحها الشرع، وطالما أنّه قد حرّمها فهي عين الضرر والمرض و الانحراف فتأبأها نفس المؤمن ويكره أن يعود إليها بعد أن نجّاه الله منها، وهنا يشعر بنشوة الإيمان ويشعر بالرضا حتى لو كان في قعر الجُبّ أو قرار السجن طالما أنّ قلبه مع الله، بينما غير المؤمن مهما تمتع واستمتع وعاش في الترف والرفاهية فإنّه في قلقه واضطرابه هو عدم الإيمان أو التردد فيه.... والإيمان يمنحه البعد عن المعاصي، فالمؤمن يتجنب ما حرّم الله "تعالى"، ويعلم أنّ المعاصي طريق إلى النار فيتركها قال "تعالى": ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال "تعالى": ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. (١)

كما أنّ تربية الإنسان على العقيدة الصحيحة أعظم الأسس في استمرار المسلم على مراقبة الله ﷻ، واستشعار عظمتة وخشيته في كلّ ظرفٍ وحال، وهذا من شأنه أن يزيد من القوة النفسية، والإرادة الذاتية عند الفرد المؤمن، فلا يكون أسيراً لشهوته، ولا عبداً لهواه «ومن الأمور المسلمة أنّ الفرد المؤمن حين يقوّي في نفسه جانب المراقبة لله ﷻ، وحين تتولد لديه الإرادة الذاتية للسيطرة على النفس الأمّارة، ونزعات الهوى، فإنّ هذا الفرد ينصلح من داخله، ويقيم لأموره ميزاناً من عقيدته وضميره، فلا يضلّ ولا يفسق، ولا ينحرف ولا يشقى، لاعتقاده الجازم أنّ عين الله الساهرة ترقبه وتراه، وتعلم سرّه ونجواه، وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور». (٢)

(١) الإيمان وأثره في بناء الفرد والمجتمع، محمد رفعت أحمد زنجير ص ١٠٩-١٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩-١٢٤.

ولكل ركن من أركان الإيمان أثره الواضح المشرق والذي ينعكس على مفاهيم المؤمن وسلوكياته في هذه الحياة.

ولعظيم شأن العقيدة في النفوس، وما يترتب عليها من آثار خطيرة في سائر حياة الإنسان؛ فلقد استحوذت أساليبها على نصيب كبير في القرآن الكريم، بل كادت أن تكون كله، إذ أنه ما من جزء أو سورة، أو آية خلت من الدعوة إلى العقيدة صراحةً أو ضمناً.

ولقد جاءت هذه الأساليب متنوعة، وبهذه الكثرة؛ لتقرير العقيدة وتثبيتها من ناحية، وبيان أهدافها وأغراضها وآثارها من ناحية أخرى. واتخذ القرآن لبيان ذلك طريقين:

أحدهما: إيجابي، وهو يتمثل في بيان العقيدة الصحيحة، وتفصيل عناصرها، والاستدلالات عليها وبيان آثارها، وصفات أهلها.

وثانيهما: سلبي، ويتمثل في بيان العقائد الفاسدة، وأنواعها، والاستدلال على فسادها وبيان آثارها، وصفات أهلها.

ومن هنا أستطيع القول بأن منهج عرض العقيدة الإسلامية في القرآن إنما هو منهجٌ كاملٌ واضحٌ، وذلك بتجلية العقيدة بالطريق الإيجابي المتمثل في بيانها وتفصيل أمرها، ثم بإيراد ما يُضادّها من العقائد الأخرى الفاسدة، والقرآن بهذا يضع الحقيقتين المتضادتين بجانب بعضهما، ليتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ويتضح الليل من النهار، وبضدّها تتميز الأشياء وهكذا لم يعد هنا عذر لمعتذر، ولا ريبة لمرتاب، إلا من ختم الله على قلبه وجعل الغشاوة على سمعه وبصره .

✽ المسألة الثانية: أثر أركان الإسلام على الفرد:

فرائض الإسلام وشعائر العبادة فيه من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وسائلٍ تربيةٍ

وتقويم للفرد والمجتمع، ولقد شرع الله "تعالى" لخلق ما تصحّ به نفوسهم وأبدانهم، وما تستقيم به أخلاقهم وسلوكياتهم، والناظر في العبادات الإسلامية، يجد أنّها وسائل لتهديب النفس، وتقويم السلوك، فليست هدفاً في حدّ ذاتها، ومع ذلك فيجب أن تعلم أنّه ليست هناك وسائل أخرى غير التي شرعها الله "تعالى" لتأدية هذا الهدف؛ لأنّ الذي شرعها إنّما هو الله "تعالى" العليم بخلقه، وما يصلحهم، وما يُفسدهم على الحقيقة، قال "تعالى": ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤]، لذلك فإنّ الله "تعالى" يذكر ثمار العبادات عقب الأمر بها، ليُقبل العبد على العمل وهو على علم بثماره، وأنّ فائدة العمل راجعة إلى العامل لا إلى الله "تعالى"، وليزن المسلم عمله، وينظر هل حقق الثمار المرجوة من ورائه أم لا؟ فإذا لم يُحقق الثمار، عليه أن يُراجع عمله فيصلحه، وحتى لا يؤدّي هذه العبادات تأدية آلية بدون فقهٍ وعلم، والإسلام ينقسم إلى أركانٍ خمسة، وهي على النحو التالي:

❖ الركن الأول - الشهادتان:

مما لا شكّ فيه أنّ لشهادة التوحيد لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله أثرها الكبير والهام في حياة الفرد والمجتمع « فهي تورث توحيد الله "تعالى" في النفوس، ومحبة في القلوب، وتوطنّ النفس على تقبّل أوامر الله "تعالى"، والابتعاد عن نواهيه، كما أنّها تُبعده عن الشرك المُحبط للأعمال..... كما أنّ شهادة أنّ محمد رسول الله تورث في النفس صدق هذا النبي الأميّ، ومدى ما قام به من جهد في سبيل إخراج الناس من عبادة الأرباب إلى عبادة ربّ الأرباب ﷺ، كما تُورث هذه الشهادة اتباع منهج النبي ﷺ لدى المؤمن في كلّ شيء، في حياته، ومع أهله، ومع الناس أجمعين، قال "تعالى" مبيناً جانباً من جهاد الرسول ﷺ في الحفاظ على أمته ورحمته بها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. (١)

(١) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم محمد المغذوي ص ٥٥-٥٦.

قال "تعالى": ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

قال الإمام الطبري ~: «يقول "تعالى" ذكره لنبية محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه». (١)

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَاذُ رَدِيفِهِ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ، قَالَ لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: يَا مَعَاذُ، قَالَ لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبَرَ بِه النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟، قَالَ: إِذَا يَتَكَلَّمُوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مَعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا). (٢)

❖ الركن الثاني - الصلاة:

أمَّا الصلاة فلها آثارٌ عظيمة في الفرد والمجتمع المسلم:

منها: أتمها الصلة بين المسلم والخالق ﷻ، وهي تجديد للإيمان والعهد مع الله، وإخلاص العبادة والنية لله ﷻ و تنزيهه عن أي شريك، قال "تعالى": ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

ومنها: أن إقامة الصلاة وتعهد الذهاب للمساجد لذلك فيه بشارة بالجنة، قال ﷺ: (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح). (٣)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ج ٢٢/ ص ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح (١٢٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ح (٣٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تحمى به الخطايا وترفع به الدرجات، ح (٣٢).

ومنها: أن الصلاة سببٌ في الطهارة الحسيّة والمعنوية، قال ﷺ: (أرأيتم لو أن نهرًا باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا).^(١)

ومنها: أنّها كالمناعة للمسلم من الوقوع في أسر المعاصي، قال "تعالى": ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِئَلَّا تُصَلِّتَ عَنْهُ مِنَ الصَّلَاةِ فَتُنكَرُ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالله "تعالى" ذكر الثمار الطيبة التي تثمرها الصلوات الخمس، وأنّها لم تفرض إلا لهدفٍ عظيم، فهي تثمر مراقبة الله "تعالى"، والخشية منه، التي تحول بين المسلم وبين ارتكابه للمعاصي والمحرمات، لذلك جعلها الله "تعالى" موزعة في أجزاء اليوم واللييلة، ليكون المسلم ذاكراً لربه دائماً وأبداً، مراقباً له، وهذا هو الذي يحول بين العبد وبين المعاصي والمحرمات، وكيف لا تحول الصلاة بين المؤمنين والوقوع في أسر الشهوات؟، فالصلاة عاصمة للمجتمع من الشرور والانهاك في المعاصي والمحرمات، والانقياد للغرائز والشهوات، لذلك ربط القرآن الكريم بين اتباع الشهوات وتضييع الصلاة، فالأمة التي تضيّع الصلاة لا بدّ أن يتبع ذلك الاسترسال في المعاصي والمحرمات، قال "تعالى": ﴿فَلْخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

فالصلاة تربي في النفس يقظة الضمير بدوام الاتصال بالله والخوف من معصيته، والحياء من مخالفته، وكيف لا يستحي المصلي من فعل الجرائم والمخالفات، وهو يقف في كل يوم خمس مرّات بين يدي ربه يدعو، ويستغفره، ويطلب عفوّه وثواب،

﴿﴾

ح(٢٨٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات،

ح(٢٨٣).

والصلاة تُربي في النفس الرغبة في التوبة والاقبال على الصلاح والاستقامة بدوام الاستغفار وتكرار الاستعاذة من الذنوب، فتتسع في النفس مسافات البعد بينها وبين الجريمة والمعصية، وتتأكد فيها الرغبة في الصلاح والاستقامة.

❖ الركن الثالث - الزكاة:

الزكاة لها فوائد عديدة منها أئها:

« طهرة للمال، وقربة للرب، ودرء للفقر، وصيانة للمجتمع من الأحقاد والفساد..... »

ومن آثار الزكاة في الفرد والمجتمع أيضاً: أن الزكاة تعتبر عبادة مالية، وطهارة من البخل والشح والطمع، وإعانة للضعفاء، وكفاية لأصحاب الحاجة، كما أئها تنمي الروابط الاجتماعية بين الأفراد، وتقوي ألفتهم ومودتهم، وتشيع الطمأنينة والهدوء في المجتمع». (١)

قال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). (١)

وقال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً). (١)

قال "تعالى": ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [التوبة: ١٠٣].

(١) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم محمد المغدوي ص ٦٧-٦٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح (٢٥٨٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح (٢٥٨٥).

قال الشيخ السعدي ~ : « قال "تعالى" لرسوله ومن قام مقامه، أمراً له بما يُطَهَّرُ الْمُؤْمِنِينَ، ويتمم إيمانهم: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ وهي الزكاة المفروضة، ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾ أي: تنميتهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم». (١)

هذه هي الزكاة تزكي الإنسان حق التزكية وتنقيه عين التنقية « ولن نذهب بعيداً لنبين كيف كانت الزكاة وما زالت من أقوى العناصر في تهذيب السلوك الإنساني، فإن اسمها دليل على ما يمكن أن تقدمه لوسائل التربية الإلهية من خير، فالتزكية: هي السمو والرفعة، سمو في النفس ورفعة عن الشهوات، ومن أجل هذا فرضت الزكاة... فهو إنفاق في سبيل من مال الله في سبيل الله، وما أجمله من منهج، ما استطاعت ولن تستطيع مناهج البشر أن تصل إلى ما وصل إليه؛ لأنه تربية الإله العظيم لمن خلقهم» (٢).

هل بعد هذا منهج يُمكن أن يقوم سلوك الإنسان فيعتدل به إلى وجهة الحق والخير.

ومن هنا تدرك كيف كانت الزكاة وسيلة من وسائل تطهير النفس، وطهارة النفس وتزكيتها أعلى خلق يمكن أن تتخلق به الإنسانية، وما أحوجها إلى مثل هذه الطهارة وتلك التزكية فذلك وحده سبيل سعادتها وإنقاذها من وهدة الشقاء والحيرة والضلال.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ١٥٠.

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع، عبدالفتاح عاشور ص ٢٠٤-٢١٥.

❖ الركن الرابع - الصوم:

لا شك أنّ الصوم يعتبر مدرسة إيمانية للفرد والمجتمع « حيث يتربّى فيها الإنسان على مجاهدة الهوى بالامتناع عن الشهوات، والتزام الطاعات، وبذل المعروف، وكثرة التصدق والجود، لتعويدها على إنكار الذات وحب الآخرين مما يزيد في ترابط أبناء المجتمع ويقوّي أواصرهم ». (١)

وقد شرع الصيام في شهر رمضان ورمضان هو شهر القرآن « ولا عجب بعد هذا أن يكون شهر القرآن فرصة يتربّى فيها المؤمن على أخلاق القرآن ويُعمّق فيها المنهج القرآني رسالة الإصلاح الإنساني في أغوار النفس، وخلايا المجتمع..... ومع أول ليلة من رمضان - وفيها المجتمع المسلم ما زال على عاداته يأكل ويشرب ويستمتع دون قيود أو حدود حتى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر - دخل في تجربة مع نفسه يروضها على الطاعة ويعودها على حُسن الخلق ويصب عليها من بحر المراقبة الدائمة لحظات يومه وساعاته، فهو مع صخب الحياة وعجيجها، وفي سكون بيته ومع أهله، وفي خفقة قلبه أمام شهوة عارضة ومنتعة زائلة يذكر أنّه صائم، فلا يصح له أن يخون نفسه ويخون مبادئه لأنّه مراقب: عين الله إليه ناظرة، ويده له محرّكة، ومن هنا يتعلم كيف يعيش للإله الحقّ: يخاف عقابه ويرجو رحمته، وما تزال أيام رمضان تتوالى والمسلم يُجرب نفسه: هل تتقي ربّها؟ هل تغفل عنه؟ وفي كلّ يوم يشتدّ أزره وتقوى صلته، وتتوثق بين العبد وخالقه عرى الإخلاص ويحقق منهج القرآن أسمى خلق فرض من أجله الصيام ونودي له المؤمنون: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨]. (٢)

(١) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم محمد المغدوي ص ٧٢.

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع، عبدالفتاح عاشور، ص ٢١٥-٢٢٠.

والله "تعالى" حين أوجب على المسلم صيام شهر رمضان، ما أراد "سبحانه" بذلك أن يشق عليه، أو أن يعتته، ولكنه أراد أن يُربّي إرادته، وأن يعلوا بأخلاقه، وأن يتذكر المؤمن باستمرار أنه ما هجر المحرمات لأنه لم يألفها، ولكنه اجتنبها امتثالاً لأمر الله "تعالى"، لذلك يأتي الإسلام فيمنع الإنسان في أثناء الصيام من أمور هي في أصلها مباحة لا يستغني المرء عنها البتة، وما ذلك إلا ليتفكر دوماً أنه عبد لله "تعالى"، وأنه مستجيب لأمره وإن اختلف ذلك عما ألفه ونشأ عليه، وإذا كان كذلك أيليق به أن يفعل أموراً محرمة لذاتها تجلب له ولمجتمعها الشرور في الدنيا والشقاء العظيم في الآخرة؟!!

قال "تعالى" مبيناً ثمرة الصيام عقب الأمر به: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يقول الشيخ السعدي ~ : « ثم ذكر "تعالى" حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى، ومنها: أن الصائم يُدرب نفسه على مراقبة الله "تعالى"، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى». (١)

فثمرة الصيام الحقيقي الذي صامت فيه البطن عن الطعام والشراب، وصام فيه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ٨٦.

القلب عن الشهوات والشبهات، وصامت فيه الجوارح عن المعاصي والمحرمات، هي تقوى الله "تعالى" بكل معانيها التي تجعل المسلم ربانياً لا يفعل إلا ما يُرضى الله "تعالى"، ولا يقول إلا ما يُحب الله "تعالى"، وعند ذلك ينعكس أثر ذلك على المسلم والمجتمع بأسره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه). (١)

نعم، ما أراد الله "تعالى" من فرض الصيام أن يشق على خلقه، قال "تعالى" في سياق الحديث عن الصيام: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

❖ الركن الخامس - الحج:

والحج أحد أركان الإسلام الخمسة « وفيه يتجلى التجرد لله "تعالى" ومحبته وتوحيده، وبذل كل الأسباب الموصلة لرضاه ﷻ، كما يظهر في الحج متابعة النبي ﷺ وإظهار سنته وشريعته تحقيقاً لقوله "تعالى": ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وفي الحج يذكر المسلم اليوم الآخر، ومحشر الناس وانتقالهم إلى الدار الآخرة، وما يُثمر هذا الموقف وهذه الذكرى والعبرة في نفس الحاج من إيمان صادق، وتجديد للعهد مع الله "تعالى"، وخوفٍ ورجاءٍ منه "سبحانه"، فيرجع الحاج وكله عزيمة وإصرار على طي صفحة الماضي الجاهلة، وفتح صفحات جديدة من الخير والبرِّ والمعروف.

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ح(١٨٠٤).

وفي الحج أيضاً يتعلم المسلم صفات عديدة ويكتسب خلال كريمة من الصبر، والحلم، والأناة، والرفق، واللين، والتسامح، والعفو، والبذل، والعطاء، والإنفاق في سبيل الله "تعالى"، كما يتعلم حُرمة المسلم الكاملة: دمه، وماله، وعرضه، وعدم قتاله أو التعدي عليه؛ كما أن المسلم مباح له التجارة والإفادة المشروعة خلال موسم الحج. أما على مستوى الأمة ومجموعها، فإنَّ الحجاج يلتقون في موسم الحج في جو من الصفاء والمحبة والأخوة الإيمانية التي تضاعف تلاحمهم، وتشد من تقاربهم وتعاضدهم، وتوحيدهم على كلمة الإسلام والإخلاص، ونصرة هذا الدين وأهله»^(١).

يقول الله "تعالى": ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٧-٢٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).^(٢)

وعند النظر إلى « الصلاة والزكاة والصيام تلك فرائض الإسلام وشعائره التي جعلها الله أشعة هدى، ومناهج تقويم وتهذيب، ووسائل تدريب عملي على حسن الصلة بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان وأخيه الإنسان، وهذه فريضة الحج جماع ذلك كله..... وإذن فنحن أمام فريضة جمعت مبادئ التربية كلها وهي كفيلة بما تحمله من معاني الخير والطهر أن تعيد للإنسان إنسانيته فيعود إلى دياره كما خلقه الله... وهذا

(١) الدعوة وصلتها بالحياة، عبد الرحيم محمد المغذوي ص ٧٨-٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، ح(١٦٨٣)، وصحيح مسلم كتاب، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(٣٣٥٥).

الشعور بالزمان والمكان واللباس وأنه كله يحرم فيه الاعتداء على أعراض الحياة والاقتراب من الشهوات تربية لم يصل إليها منهج بشري على الإطلاق ومنهج التربية بتحريم الزمان والمكان» (١).

إذا فالحج فيه تربيةٌ للفرد المسلم ليتم صلاحه ويستقيم أمره.



(١) منهج القرآن في تربية المجتمع، عبدالفتاح عاشور ص ٢٢٠-٢٣٣.

المطلب الثاني: البعد عن المعصية

وفيه مسألتان:

✽ المسألة الأولى: التحذير من المعصية وبيان مضارها:

لقد اهتم القرآن الكريم بتحذير الإنسان من المعصية وبيان مخاطرها، فحذر منها غاية التحذير حتى يظل المسلم على حساسية منها ومن الرعي حول حماها حتى أن المصطفى ﷺ حذر من الشبهات حيث قال: (إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه... الحديث).^(١) وذلك لئلا يقع في برائتها وغضب الرب ﷻ، فترى القرآن الكريم:

١- ينهى عن بعض المعاصي ويرتب العقوبة على مرتكبها في الدنيا وذلك مثل قوله "تعالى": ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

يقول الحافظ ابن كثير ~ «: يُخبر "تعالى" عن حلمه وإمهاله وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم... وقوله ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ أي: في قلبهم في المعاش واشتغالهم بها، من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية... وقوله ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا يُعْجِزُونَ الله على أي حال كانوا عليه، وقوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي: أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشدّ حالة الأخذ... ثم قال "تعالى": ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح (١٥٩٩).

أي: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة». (١)

٢- وينهى عن بعض المعاصي ويرتب العقوبة على مرتكبيها في الآخرة كقوله "جل وعلا": ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الشيخ السعدي ~ : « يُخبر "تعالى" عن أكلة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال». (١)

٣- ويذكر "سبحانه" عباده بالحساب والجزاء عند الحديث عن بعض المعاصي إذ يقول "تعالى": ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: ٤-٦].

يقول الحافظ ابن كثير ~ : « قال "تعالى" متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ ؟ أي: أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟ وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أي: يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه». (١)

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ١/ ص ٤٤١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ١١٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٨/ ص ٣٤٧.

٤- ويرتب الضلال على معصية الله ورسوله فيقول "تعالى": ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال الإمام الشوكاني ~ : « ثم توعد "سبحانه" من لم يدعن لقضاء الله وقدره، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في أمر من الأمور، ومن ذلك عدم الرضا بالقضاء ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ أي: ضلَّ عن طريق الحق ضلالاً ظاهراً واضحاً لا يخفى». (١)

٥- ويُخبر عن بعض المعاصي أنها إثمٌ وفسقٌ وشرٌ ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « وقوله "تعالى": ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ فهو كما قال "تعالى" فقد بين في سورة المائدة منشأ الإثم وهو أنها يسببان العداوة والبغضاء بين المسلمين ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة وأيِّ إثم أكبر في زرع العداوة والبغضاء بين أفراد المسلمين، والإعراض عن ذكر الله وتضييع الصلاة حقاً إنَّ فيها لإثماً كبيراً». (٢)

٦- ويُحذّر الله ﷻ من نفسه عند نبيه عن بعض المعاصي والذنوب كقوله "تعالى":

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) فتح القدير، الشوكاني ج ٦/ ص ٤٨.

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري ج ١/ ص ١٠٤.

قال الإمام البغوي ~ : « وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ » أي: يُخوفكم الله عقوبته على موالاته الكفار وارتكاب المنهي عنه ومخالفة المأمور ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ . ()

٧- و يُبَيِّن "تعالى" بُغْضَهُ لمعاصي معينة ولمن ارتكبها وقارفها ومن ذلك قول الباري "جل شأنه": ﴿يَنْبَغِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

يقول الإمام الطبري ~ : « وقوله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ، يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ حَدَّهُ فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، الْغَالِينَ فِيهَا أَحَلَّ اللَّهُ أَوْ حَرَّمَ، بِإِحْلَالِ الْحَرَامِ وَبِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُحْلَلَ مَا أَحَلَّ وَيُحَرِّمَ مَا حَرَّمَ، وَذَلِكَ الْعَدْلُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ ». ()

٨- و يُحذِّر "سبحانه" من العودة للمعصية بعد تركها كقوله "تعالى": ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْوَتُكُمَا تَرِيحِكُمْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: « قال "تعالى" لرسوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى وهي التناجى المحادثة السرية أمام الناس، ثم يعودون لما نهوا عنه عصياناً وتمرداً على الرسول ﷺ، ويتناجون لا بالبر والتقوى، ولكن بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول أي: بما هو إثم في نفسه كالغيبة والبذاء في القول، وبالعدوان وهو الاعتداء على المؤمنين وظلمهم، وبمعصية الرسول فيوصي بعضهم بعضاً بعصيان الرسول وعدم طاعته في أمره ونهيه ». ()

(١) معالم التنزيل، البغوي ج ٢/ ص ٢٦.

(٢) جامع البيان، الطبري ج ١٢/ ص ٣٩٥.

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري ج ٤/ ص ٢٢١.

٩- و ينهى عن ارتكاب المعاصي عامة وإجمالاً ومثال ذلك قوله "سبحانه":
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعَبِ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامِ وَلَا الْهُدَى وَلَا الْقَلْتِيدَ وَلَا ءَامِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْنَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعَدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾ [المائدة: ٢].

يقول العلامة الزمخشري ~ : « ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ على العفو
والإغضاء ﴿وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ﴾ على الانتقام والتشفي، ويجوز أن يراد
العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان، فيتناول بعمومه العفو والانتصار» (١).

١٠- و ينهى عن ارتكاب المعاصي خاصة وتفصيلاً كقوله "تعالى": ﴿قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيرَانَ بِالْقِسْطِ لَا
تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ
وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَنَفْرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قال الشيخ أبوبكر الجزائري: « فقد أمر "تعالى" رسوله في هذه الآيات الثلاث
أن يقول لهم: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لا ما حرمتموه أنتم بأهوائكم
وزينه لكم شركاؤكم. ففي الآية الأولى جاء تحريم خمسة أمور وهي: الشرك، وعقوق
الوالدين، وقتل الأولاد، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا
أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فإن تفسيرية، ولا ناهية وهذا أول

محرم وهو الشرك بالله تعالى، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وهذا أمر إذ التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً، والأمر بالشيء نهي عن ضده فالأمر بالإحسان يقتضي تحريم الإساءة والإساءة إلى الوالدين هي عقوبتها، فكان عقوق الوالدين محرماً داخلاً ضمن المحرمات المذكورة في هذه الآيات الثلاث. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فهذا المحرم الثالث وهو قتل الأولاد من الإملاق الذي هو الفقر وهذا السبب غير معتبر إذ لا يجوز قتل الأولاد بحال من الأحوال وإنما ذكر لأن المشركين كانوا يقتلون أطفالهم لأجله وقوله "تعالى" ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ تعليل للنهي عن قتل الأولاد من الفقر إذ ما دام الله "تعالى" يرزقكم أنتم أيها الآباء ويرزق أبناءكم فلم تقتلونهم؟ وفي الجملة بشارة للأب الفقير بأن الله "تعالى" سيرزقه هو وأطفاله فليصبر وليرج، ولا يقتل أطفاله. وقوله "تعالى" ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾. هذا الأمر الرابع مما حرم الله "تعالى"، وهو فعل الفاحشة التي هي الزنى وسواء ما كان منه ظاهراً أو باطناً والتحريم شامل لكل خصلة قبيحة قد اشتد قبحها وفحش فأصبح هذا هو المحرم الخامس وهو قتل النفس التي حرم الله قتلها وهي كل نفس ما عدا نفس المحارب فإنها مباحة للقتل، الحق الذي تقتل به النفس المحرمة واحد من ثلاثة وهي القود والقصاص فمن قتل نفساً متعمداً جاز قتله بها قصاصاً. والزنا بعد الإحصان فمن زنى وهو محصن وجب قتله رجماً بالحجارة كفارة له، والردة عن الإسلام، وقد بينت هذه الحقوق السنة فقد قال ﷺ في الصحيح: (لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والشيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة)^(١) وقوله "تعالى" في ختام الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: ليعدكم بترك هذه المحرمات الخمس لأن تكونوا في عداد العقلاء، لأن من يشرك بربه

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، ح(٦٤٨٤)، وصحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، ح(١٦٧٦).

صنماً أو يسيء إلى أبويه أو يقتل أولاده أو يفجر بنساء الناس أو يقتلهم، لا يعتبر عاقلاً أبداً إذ لو كان له عقل ما أقدم على هذه العظائم من الذنوب والآثام.

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ ففي هذه الآية جاء تحريم أربعة أمور هي: أكل مال اليتيم، والتطفيف في الوزن، والجور في الأقوال والأحكام، ونكث العهد. فقوله "تعالى": ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ أي: بما ينقصه أو يفسده إلا بالحالة التي هي أحسن له نماءً وحفظاً وقوله ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بيان لزمن اليتيم وهو من ولادته وموت والده إلى أن يبلغ زمن الأشد وهو البلوغ، والبلوغ يعرف بالاحتلام أو نبات شعر العانة، وفي الجارية بالحيض أو الحمل، وبلوغ الثامنة عشرة من العمر وعلى شرط أن يبلغ اليتيم عاقلاً فإن كان غير عاقل يبقى في كفالة كافله، وقوله "تعالى": ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أمر بتوفية الكيل والوزن، والأمر بالشيء نهي عن ضده، وبذا حرم بخس الكيل والوزن والتطفيف فيهما وقوله ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل بحيث لا يزيد ولا ينقص، وقوله ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها رفعاً للحرص عن المسلم في الكيل والوزن إذا هو نقص أو زاد بغير عمد ولا تساهل.

وقوله تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هذا المحرم الثالث وهو قول الزور وشهادة الزور، إذ الأمر بالعدل في القول ولو كان المقول له أو فيه قريباً نهي عن ضده وهو الجور في القول.

وقوله "تعالى" ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ متضمن للمحرم الرابع وهو نكث العهد وخلف الوعد، إذ الأمر بالوفاء بالعهود نهي عن نكثها وعدم الوفاء بها، وقوله "تعالى" ﴿ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ إشارة إلى ما تضمنته هذه الآية الثانية مما حرم "تعالى" على عباده، وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: ليعدكم بذلك

لأن تذكروا فتتعظوا فتجتنبوا ما حرم عليكم. وقوله "تعالى": ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) هذه هي الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر وقد تضمنت الأمر بالتزام الإسلام عقائداً وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً وآداباً، كما تضمنت النهي عن اتباع غيره من سائر الملل والنحل المعبر عنها بالسبل، وما دام الأمر بالتزام الإسلام يتضمن النهي عن ترك الإسلام فقد تضمنت الآية تحريماً ألا وهو ترك الإسلام واتباع غيره هذا الذي حرم الله "تعالى" على عباده لا ما حرمه المشركون بأهوائهم وتزيين شركائهم قوله "تعالى": ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى التزام الإسلام وترك ما عداه ليعدكم بذلك للتقوى وهي إتقاء غضب الرب "تعالى" وعذابه. (١)

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تبين مدى رحمة الشارع الحكيم لئلا يحصل من بني الإنسان الإثم والخطأ، والتي تحذّر بشتى الأساليب البيانية من فعل المعصية والذنب...

كما أن ديننا الحنيف بين مضار المعاصي على الفرد والمجتمع بياناً شافياً؛ حتى يكون المسلم على نور وبصيرة بما تؤول إليه تلك المعاصي من آثار مهلكة عليه وعلى أمته ليقلع عما خالطه من معصية ويؤوب إلى خالقه ذو الرحمة الواسعة...

ومن اهتمام القرآن الكريم بالتحذير من المعصية بيانه لمضارها وإيضاحه لعواقبها، سواء كان ذلك عائداً على الفرد أو كان عائداً على المجتمع، فالمعاصي بأنواعها لها آثار وخيمة على فاعلها وعلى أسرته وعلى مجتمعه وعلى أمته وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الدواب وعلى الأنعام وعلى الطير والوحوش وغيرها، وقد جمع الله ﴿عَلَيْكَ كُلُّ تِلْكَ الْعَوَاقِبِ لِلذَّنُوبِ فِي قَوْلِهِ "تعالى": ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أيسر التفاسير، الجزائري ج ١/ ص ٤٤٤-٤٤٥.

✽ المسألة الثانية: فتح باب التوبة وتجديد العهد:

لقد اعتنى الكتاب العزيز بفتح باب التوبة للعاصي وحثه على تجديد العهد، فالمسلم غير معصوم من الخطأ والسقوط في هاوية الذنوب، والمعصية تجر المعصية وكل معصية تحدث نكتة سوداء في القلب حتى يسود القلب ويقسو وهذا هو حال النفس الأمارة بالسوء.

١- ومع كل هذا إلا أن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة "سبحانه" إذ يقول في كتابه العزيز:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال الحافظ ابن كثير ~ : « وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيَّكُمْ﴾ أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشّرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله، فهو جاهل... ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أي: رجع عما كان عليه من المعاصي، وأقلع وعزم على ألا يعود وأصلح العمل في المستقبل، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾. (١)

٢- فينادي الله تعالى عباده بالمبادرة إلى التوبة فيقول "سبحانه": ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٣/ ص ٢٦٢.

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: « وقوله "تعالى" ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَوِّأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ هذا هو النداء الثاني الذي يُنادي فيه الله "تعالى" عباده المؤمنين يأمرهم فيه بالتوبة العاجلة النصوح التي لا يعود صاحبها الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع، ويعدهم ويبشرهم يعدهم بتكفير سيئاتهم، يبشرهم بالجنة دار النعيم المقيم». ()

٣- كما أنه سبحانه يبين أنه هو الغفور الرحيم ومن ذلك قوله "تعالى": ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال الإمام الشوكاني ~ : « ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ المراد بالإسراف: الإفراط في المعاصي، والاستكثار منها، ومعنى لا تقنطوا: لا تياسوا من رحمة الله من مغفرته. ثم لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك، ويرفعه، ويجعل الرجاء مكان القنوط، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. ()

٤- وفي موضع آخر يمدح "تعالى" عباده مسارعتهم إلى التوبة والاستغفار عند وقوعهم في الذنب إذ يقول ﴿وَإِذْ يَقُولُ بِكُلِّ فِئَةٍ وَأَلَّيْنَاكَ بِإِسْرَافِكَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْرَءَاؤُهُمْ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

يقول الشيخ السعدي ~ : « ثم أمرهم "تعالى" بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم

(١) أيسر التفاسير، الجزائري ج ٤ / ص ٢٨٢.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ج ٦ / ص ٢٩٥.

أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم». (١)

٥- كما أنه "سبحانه" رتب الفلاح والخير على الإقلاع عن المعاصي والتوبة منها فيقول "تعالى":

﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّيْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [الفصل: ٦٧].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: « قوله "تعالى": ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ من هؤلاء المشركين اليوم من الشرك وآمن بالله ولقائه ورسوله وعمل صالحاً فأدى الفرائض والواجبات ﴿ فَغَسَّيْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ أي: الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة، فهذه دعوة سخية لكل مشرك وكافر وفاسق أن يتخلى عن الباطل المتلبس به ويؤمن بالإيمان الصحيح ويعمل صالحاً بأداء الفرائض فإنه ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار فهل من تائب؟! ». (٢)

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١ / ص ١٤٨.

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري ج ٣ / ص ١٧٩.

المبحث الثاني

أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك المجتمع

وفيه مطلبان :

✿ المطلب الأول: تحقق الأمن في المجتمع.

✿ المطلب الثاني: انحلال الأمن في المجتمع عند تطبيق

القوانين الوضعية.

* * * * *

المطلب الأول: تحقق الأمن في المجتمع

إنّ الإنسانية مهما سعت خلف سُبُل الأمن والطمأنينة والاستقرار على هذه المعمورة فإنّها لم ولن تجد بديلاً في غير الدين الإسلامي الذي منح المجتمع المسلم كافة الوسائل المعينة على ذلك و« كلّ إنسان في هذه الحياة يبحث عن أسباب الحياة المستقرة المليئة بالبهجة والسرور والأمن والكفاية، والجو النظيف، والمظهر الجميل، والحياة الطيبة هدف جعله الله جزاء الإيمان والعمل الصالح قَالَ تَمَّالِي: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩] ولا يمكن توفير هذا الجو في هذه الأمة إلا إذا أدّى كل واحد واجبه نحو أخيه، ونحو الجماعة التي يحيا فيها، والأمة التي ينتسب إليها، والإنسانية التي هو جزء منها، فلا يجد العدل من يقوم بالظلم، ولا يهنا بالأمن من يُصدّر الخوف، ولا يشعر بالاستقرار والرضا من يمنع الحقوق، ويتلهى بمرأى المعذنين والتعساء والمساكين، وما أجمل أن يكون الحب في الله جوهر الحياة الإسلامية وأساسها، وأن تكون الرحمة عماد المعاملة الإنسانية ودعامتها، وأن يكون العدل ظلاً يتفيؤه كل حي ولو كان حيواناً أو حشرة، إنّ ذلك هو الإسلام، وهو الحياة» (١).

ولتحقيق الأمن في المجتمع سلك الدين الإسلامي مسلكاً فريداً لضبط هذا المجتمع ولتوفير كافة السبل الواقية له من الوقوع في مهاوي الجريمة وكان ذلك بوضع أسس تدعم بناء المجتمع الإسلامي وتقويه ومن هذه الأسس ما يلي:

❖ أولاً- تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب أفراد المجتمع:

إنّ المجتمع القائم في أسسه الفكرية والسلوكية على العقيدة الصحيحة؛ فإنّ ذلك من بشائر نهضته وتطوره وحوزه على الأمن والاستقرار؛ ذلك « أن إصلاح

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب ص ٢٤.

المجتمع عن طريق الإيمان بالله ﷻ يهدف إلى إكساب البناء الاجتماعي تماسكه وفعالته في الحياة وربط مشاعر الإنسان وفكره وضميره بالخالق الأعلى حتى لا ينحرف أو يتجاوز الجادة في مسلكه مع غيره، وذلك لأنّ وازع العقيدة والخشية من الله "تعالى" ومراقبته في السرّ والعلن ينضم إلى وازع السلطان والحكم، فتقل المخالفة، وترتقي الجماعة، وتسود بين أفرادها عوامل الثقة، وحسن العلاقة، ورقابة الضمير، مما يُؤدّي إلى صلاح المجتمعات، وضمان مسيرة التقدّم والسعادة، والرُقَى والعيش في طمأنينة ورخاءٍ ورشد». (١)

كما أنّ العقيدة الصحيحة هي الروح المحرّكة للأمة شعوباً وحكومات فهي روح للشعب برقابته الله "تعالى" في حركاته وسكناته، وهي روح للحكومة بتطبيقها لشرع الله ﷻ على القوي قبل الضعيف « فإذا قوي هذا الأساس - بإذن الله - ينصلح المجتمع ويقوم كلّ فرد ومؤسسة بدورها في رعاية من يعول ويرأس، فتري الإيمان يتحرّك في سلوك الرجال، والعبادة يترسّم أثرها في أخلاق المجتمع، ويشيع التكافل والتعاطف والتعاون بين أبناء الأمة والمجتمع الإسلامي، وعين كلّ فردٍ على نفسه، رقيبّة وعين المجتمع ناقدة موجهة، وعين الحاكم قائمة على حماية المجتمع من الموبقات والمهلكات، فينجوا الجميع - بإذن الله - ويسعد». (٢)

فبهذه الآثار المباركة الطيبة للعقيدة الإسلامية يرسخ بناء المجتمع الإسلامي بإذن الله تعالى ويقوم على رضوان منه سبحانه.

❖ ثانياً - بناء الأسرة المسلمة:

لا ريب أنّ المجتمع يتكوّن من عدد من الأسر التي ينتظم فيها عدد من الأفراد

(١) أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام، عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٠-٢٤١.

ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، وهذه الأسر هي لبنات المجتمع وركائزه التي إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسدت المجتمع، ولذا جاء الإسلام الحنيف بالشريعات التي تكفل قيام تلك الأسر على أسس صحيحة وثابتة وأعطى لكل من الرجل والمرأة ما يتفق مع مقدرته واستطاعته ورتب على ذلك الكثير من الحقوق والواجبات « ففي البداية يكون الوسط الأسري هو صاحب التأثير الأكبر على الإنسان وسلوكياته، فإن كان هذا الوسط صالحاً خرج الفرد صالحاً نافعاً لنفسه ومجتمعه، وإن كان فاسداً خرج الفرد في الغالب فاسداً منحرفاً »^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)^(٢).

❖ ثالثاً - تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز الأسس في إصلاح المجتمعات الإسلامية، ولا غنى لمجتمع يطمح إلى فشو الفضيلة وضمحلل الرذيلة إلا بتطبيق هذا الأساس الضامن بإذن الله "تعالى" لصالح المجتمع وتقويم سلوكه فقد « جعل الإسلام للإنسان ما يردعه ويزجره عن اقتراف الفاحشة أو الإهمال في الطاعة، ومن ذلك ضمير الفرد المسلم، وإلا فسلطان الجماعة وتأثيرها، وإلا فسلطان الحاكم وسيفه، ودعا الإسلام إلى تغيير المنكر عندما يقع، والأمر بالخير عندما يغفل عنه، ومتى قوي ضمير الفرد ورقابة المجتمع وعين الحاكم لا ترى في أمة الإسلام خيراً متروكاً ولا شراً

(١) التدين علاج الجريمة، صالح إبراهيم عبداللطيف الصنيع ص ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ح (١٢٩٢)، وصحيح مسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح (٦٩٢٦).

مفعولاً، وكانت تلك أبرز سمات خيرية الأمة الإسلامية الخاتمة». (١)

وذلك مصداقاً لقوله "تعالى": ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الشيخ السعدي ~: «يمدح "تعالى" هذه الأمة ويُخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردّهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمةٍ أُخرجت للناس». (٢)

و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أنه واجبٌ على الفرد فهو أيضاً واجبٌ على المجتمع « وإذا كان القرآن الكريم قد شرع للمؤمن كفرد، فقد شرع له كذلك كجماعة، وأنه وكما أثبت مسؤليته الشخصية عن أعماله الفردية، فقد أثبت مسؤلية الجماعة في كل ما يتعلق بسلامة أمتّه من فساد، وواجب عليه العمل لإصلاح الفاسد وتقويم المعوج، وأوضح له أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخلاقيات المؤمن التي لا يتحقق وجودها بدونه». (٣)

وهذه الفريضة العظيمة مبنية في أساسها على التعاون بين أفراد المجتمع على نشر الخير وصدّ الشر « وبمقتضى هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام بتعاون أفراد الأمة على دفع الشر عنها وفي التواصي بعمل الخير، ولا يخفى ما في ذلك من صلاح المجتمع واستقامة أمره، فلا صلاح لمجتمع في الأرض إذا لم يشعر كل فرد بمسؤوليته

(١) أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام، عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام ص ٢٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ج ١/ ص ١٤٣.

(٣) القرآن الكريم رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي ص ٢٦٢.

تجاه الآخرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أرقى صور المسؤولية، بل هو جماع الفضائل كلها، وهو مبدأ إصلاحي لا يدانيه أيّ مذهب سموّاً وصلاحاً، وبه يتكون في جماعة المسلمين رأي عام يقف في وجه كلّ شر وفساد مهما كان مصدره.

ومع ما عليه جمهور الفقهاء من أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية لا فرض عين، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فإنّ ذلك لا ينفى ضرورة وجود جماعة تدعوا إلى الخير وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وإلى جانب هذا لا بدّ لها من سلطة تعينها على القيام بذلك حسب مقتضى الآية الكريمة في سورة آل عمران. (١)

فالدعوة إلى الخير يمكن أن يقوم بها آحاد الناس، ولكنّ الأمر والنهي لا ينهض بهما إلا ذو سلطان، وكما أنّ هناك جماعات تدعوا إلى الخير؛ فإنّه لا بدّ من سلطة تقوم على تحقيق المعروف، ونفي المنكر من الحياة، وصيانة أخلاق المسلمين من أن يعبث بها العابثون وأصحاب الشهوات والضمائر الفاسدة، وحماية هذه الأخلاق الصالحة من أن يقول فيها كلّ أمريء برأيه وتصوره، زاعماً أنّ هذا هو الخير والمعروف، هذه السلطة تكون في يد هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولها دور عظيم في توفير الأمن للمجتمع، وحمايته من آفات الانحراف وشرور الجريمة. (٢)

إنّ لولاية أمور المسلمين الذين يجتهدون إلى تحقيق الأمن والإيمان في بلدانهم دوراً ظاهراً في محاربة الفواحش والمنكرات بشتى السبل إذ أنّ هؤلاء هم « الذين تتحقق فيهم القدوة الحسنة لا ترضى نفوسهم أن يروا المجتمع يعيش في مستنقع آسن من الشهوات والمعاصي، والبُعد عن طاعة الله ﷻ، بل يُثقل كاهلهم

(١) وهي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) الشريعة الإسلامية ودورها في مقومة الانحراف ومنع الجريمة، محمد أحمد الصالح ص ١٨٨-١٩١.

رؤية الفواحش والمنكرات ووسائل الإغراء بها رافة بأمّتهم وإشفاقاً عليها من أن تلقى ربّها بالذنوب والآثام، كما قال "تعالى" عن نبيه ﷺ، وهو قدوة أمّته، وولاتهم ورعتهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: ١٢].

وقد ضرب ﷺ مثلاً يبين شدة شفقتة على أمّته من الوقوع في المعاصي، فمثل المعاصي بالنار ومثل أمّته بالفراش يقع في النار، ومثل نفسه برجل ينزعهن عن النار، وهنّ يغلبنه بالوقوع فيها، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إنما مثلي ومثل الناس كمثلي رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار، يقعن فيها، فجعل الرجل ينزعهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمنون فيها).^(١) وهكذا كان خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم يشفقون على رعتهم ويزعونهم عن المعاصي، حتى يتطهر المجتمع من الفواحش، فلا يجد من يريد الانحراف ما يعينه على ذلك.^(٢)

والناظر في أحوال المجتمعات الإسلامية اليوم ليجد العجب العجيب من المجاهرة بالرديلة ونشرها أمام الناظرين والواجب على ولاة أمور المسلمين أن لا يأذنون بشيء من ذلك، بل عليهم أن يمنعوهم منعاً باتاً قطعاً للفتنة وحسماً للإغراء كما كان الرسول ﷺ يفعل، ففي حجة الوداع (أردف الفضل بن العباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً فلما دفع رسول الله ﷺ مَرَّ الطُّعْنُ يُجْرِينُ فطفق الفضل ينظر إليهنّ فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل وصرف الفضل وجهه إلى الشق الآخر وحوّل رسول الله ﷺ يده إلى الشق الآخر وصرف الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر)^(٣)

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ح(٦١١٨).

(٢) دور المسجد في التربية، عبدالله أحمد قادري، ص ٥٢ - ٥٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، ح(١٩٠٧)، قال الألباني: (صحيح)، انظر: صحيح وضعيف أبي داود للألباني، ح(١٩٠٥).

إن رسول الله ﷺ وضع لأولياء الأمور منهجاً يسيرون عليه، وهو أن يحولوا بين رعيتهم وبين المعاصي بكل وسيلة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

❖ رابعاً - إقامة الحدود الشرعية:

إن تطبيق العقوبات الشرعية الرادعة على المجرمين والمخالفين هو من الموانع لفئة من الناس عن المساس بأمن المجتمع واستقراره، فإن الإسلام لا يركن في هذا المقام إلى الوازع الفردي والرقابة الجماعية فحسب، فحيث إن بعض النفوس تميل إلى حب السيطرة والعدوان، والقوي ميال إلى النيل من الضعيف، فقد لا تكفي والحالة هذه صيحات التهذيب والإصلاح، ولا آيات الوعيد بأليم العذاب في الآخرة للمعتدين، قد لا يكفي هذا ولا ذاك، فلا بد من رادع مادي وعقاب عاجل، كي تنزجر هذه الفئة، ويعيش المجتمع آمناً مطمئناً.

و « لا شك أن حاجة المجتمع ماسة لوجود ضوابط وأنظمة تطلق نشاط الأفراد في مجالات، وتحبس نشاطهم في مجالات أخرى، وتضع لهم مقاييس للسلوك تقوم الأمور تبعاً لها، فتعتبر بعض الأمور كريمة محببة وتعتبر بعضها كريها مذموماً.... ولقد أوجدت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، رقابة ذاتية لدى الإنسان المسلم، وحافزاً داخلياً يحمله على التفاعل الإيجابي مع أبناء مجتمعه، وتجعله يستحضر المسؤولية المنوطة به تجاههم وتكون ثمرة هذا كله، أن تقوى أوامر المحبة والتسامح والنصح والإيثار وحسن العشرة وكف الأذى بين أفراد المجتمع، وهو ما يسند نظم المجتمع ويبرز معالم الانضباط فيه.

لم يركن الإسلام في ضبط السلوك وحفظ الأمن الاجتماعي إلى هذا المنهج على الرغم من أهمية أثره الإيجابي، إنما تعداه إلى إيجاد تشريعات يحتكم إليها أفراد المجتمع المسلم، وأوجد نظماً تخص الأسرة الصغيرة والكبيرة، ونظم أمور المعاملات، ليقف كل فرد على ما له وما عليه، وهو منهج يتسم بالواقعية، ويسهم في ضبط الأمور في

المجتمع.

دعت الحاجة - إضافة إلى ذلك كله - إلى وجود بعض الروادع تمثلت في تشريعات تتعلق بالعقوبات على أنواعها، تقوّم اعوجاج بعض الأفراد، وتردّهم إلى الذي تقدم، تظهر أهمية الأنظمة في المجتمع ومكانة الضبط الاجتماعي، باعتباره واحداً من أسس بناء المجتمع». (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان أنّ الإسلام شرع العقوبات بأنواعها تحقيقاً للحياة المستقرّة المفعمة بالأمن والأمان، ومليئة بالعدل والإنصاف فلا يجد ظالمٌ طريقاً للاستيلاء على حقّ لمظلوم؛ لأنّ سيف العدل قائمٌ أمامه وحدود الله نافذة في المجتمع، وإثمها الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ذلك مصداقاً لقوله "تعالى": ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩) [البقرة: ١٧٩].

وهذا هو المقصود من قوله **بِالضَّلَامِ**: (والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). (٢)

والعقوبات والزواج الشرعية أياً كانت فإنّها والله تقويم للشعوب وصلاح للمجتمعات وتثبيت لدعائم الأمن والاستقرار في ربوع الإنسانية جمعاء.

(١) الإسلام وبناء المجتمع، حسن عبدالغني أبو غدة وآخرون ص ٢٢-٢٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، ح(١٦٨٨).

المطلب الثاني: انحلال الأمن في المجتمع عند تطبيق القوانين الوضعية

المسألة الأولى: أسباب انحلال الأمن في المجتمعات الغربية:

إن أسباب انحلال الأمن في المجتمعات الغربية يرجع في الأول إلى سبب رئيس وهو: الكفر بالله ﷻ والإعراض عن منهجه، واستبداله بأحكام وضعتها يد البشر، ومن ثم تطبيق هذه الأحكام الوضعية في عقوبات الجرائم وفي كافة شؤون الحياة بأسرها، « فعندما يستبدل المجتمع بأحكام الله غيرها بدءاً بالتشريع، فيضع القوانين الوضعية البشرية مكان أحكام الشريعة، فتقع الجرائم ويتكرر وقوعها دون رادع، بل ويشعر القائمون على تطبيق هذه القوانين بعجزهم عن مكافحة الجريمة، ولذا جاء الأمر من الله لرسوله ﷺ أن يحكم بين الناس بما أنزل الله عليه من شرعه ولا ينظر لأصحاب الأهواء الذين يريدون أن يشرعوا لأنفسهم بغير ما أنزل الله، قال "تعالى":

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[المائدة: ٤٩].

وقال "تعالى": ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌۢ بِمَا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وهدد ﷻ على من يستبدل بأحكام الله المنزلة غيرها من الأحكام التي يضعها البشر لأنفسهم دون الرجوع إلى ما أنزل الله، قال "تعالى": ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ یَبْغُوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ یُّوقِنُوْنَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠] ويُقاس على الحكم كافة شؤون الحياة الاجتماعية والتعليمية والثقافية والاقتصادية وغيرها، والتي بمنأى عن شرع الله وتعاليمه ووضعت لها الأسس والمبادئ المبنية على آراء البشر الوقتية الآنية المنفعة

والناقصة دوماً وأبداً لأن مصدرها ناقص لا يمكن أن يصل إلى الكمال - وهو الإنسان - مهما عمل وطال به الزمان، وبنیان شؤون الحياة المختلفة على غير هدى من الله أو جد مناسبة لنمو الجريمة وانتشارها بين الناس ووقوفهم حيارى نحو ما يجب فعله، لأثمهم بعدوا عن ربهم وتعاليمه التي حوت خيري الدنيا والآخرة»^(١).

وعند التمعّن في أنّ القانون عندهم الدستور فيه والعقوبات المنبثقة منه ما هي إلا من وضع البشر، والعقوبات عندهم تختلف بحسب الجريمة إذ تشتد الجريمة في الاعتداء على الأموال، أمّا الجرائم الأخرى، والخلقية خاصة فيلتمسون لها الأعذار من كبت جنسي وعقد نفسية منذ طفولة الإنسان وغير ذلك من المبررات المنحرفة عن الفطرة الطيبة؛ وعلى إثر ذلك تكون العقوبة المترتبة على الجريمة الأخلاقية مخففة وميسرة، فالغرب لم يعد هناك عندهم رقيب لا خارجياً من المجتمع المحيط بالإنسان ولا داخلياً من النفس - الضمير - والقيم والمبادئ التي بداخله، ودور هذا الرقيب واحد وهو أنه يُجرّم الفواحش الظاهرة الباطنة، وإنك لترى المجتمع الغربي المنحلّ اليوم قد ترعرعت فيه الجريمة من المبالغة في الإباحية، ونزع القيود عن الأفراد، مما أدّى إلى إغراء كلّ فردٍ لتحقيق ذاته؛ فتضاربت المطالب، واصطدمت الرغبات، ونشأت الجريمة نتيجة انسياق الفرد وراء شهواته الحيوانية والتي يرى فيها حرّيته التي لا يحقّ لأحدٍ اعتراضه عليها حتى لو تعدت في ضررها إلى الآخرين، ومن الملاحظ أنّ الجريمة هي ضريبة الحضارة المادية إن لم تنضبط بشرع الله المطهر، وأنّ تيار الجرائم يتبع انتشار الحضارة المادية التي لا تعتنق مبدأً أخلاقياً ولا تزود الإنسان بطاقة روحية تحقق له معنى الإنسانية، فلا يغني قانون ولا تفلح سلطة في ردّ الناس إلى حقيقتهم أو كفّ بأسهم، ما دام الأمر لا يرجع إلى وازع خلقي ولا يجد له صدى في ضمير الإنسان.

(١) التدين علاج الجريمة، صالح إبراهيم عبداللطيف الصنيع، ص ١٠٩-١١٠.

✽ المسألة الثانية: واقع الانحلال الأمني في المجتمعات الغربية:

لا شك أن للإعراض عن منهج الله "تعالى" أثره الخطير والظاهر على المجتمع، فلقد شرع الله ﷻ لمنهجه لتسير عليه مسيرة الحياة وتستقيم به شؤونها، فإذا زاغ مجتمع عن هذا المنهج، أو أعرض عنه فإن الفساد والخلل واقعٌ به لا محالة « وأثر الإعراض عن منهج الله "تعالى" واضحٌ بلا خفاء في المجتمعات الكافرة التي أعرضت عن منهج الله إعراضاً كلياً، ورفضته جملة وتفصيلاً، والمتدبر لواقع تلك المجتمعات، والمتابع لأحوالها يستطيع أن يدرك أمثها - برغم التقدم العلمي المذهل الذي وصلت إليه - تعيش في مستنقع آسن، وأن الهلاك يُحيطها من كل جانب، وأن الأمراض والمشاكل المستعصية تفتك بها فتكاً ذريعاً.... وهذه الأمراض الخطيرة لا تقتصر على دولة أو عدة دول، بل هي متفشية في كل الدول الكافرة التي عادت الله "تعالى"، وتنكرت لمنهجه». (١)

ولقد رفعت الحضارة الغربية عمائر شاهقة، وأقامت مصانع في كثير مما يحتاجه الإنسان في ميادين واسعة من التطور العلمي المادي، هذا كله قدّم تطوراً في الحياة المادية للإنسان وتطوّرت سائر العلوم المادية تطوراً حقيقياً انعكس أثره على واقع الإنسان المادي.

ومع هذا التقدم العلمي المادي تفتحت منافذ الشهوات وأبوابها على مصراعها، وانفلتت الشهوة الجنسية لتلهب الحياة البشرية بأسوأ الجرائم والأمراض الجنسية والنفسية ورافق هذه الشهوة عُمرى فاضح في الحياة العامة في الميادين والشوارع والحدائق وكل مكان، وغرق الناس في هذه الشهوة، لا يفيقون إلا على سكرات الموت وعذاب المرض وأنات الضياع، وانفلتت النفس دون ضابط لها مع الخمر والمخدرات، حتى أورثت هذه كلها أمراضاً وعاهات، وارتفعت نسبة الجرائم في هذه

(١) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف ص ٤٥-٤٨.

البلاد المتطورة المتحضرة.

والتي عزلت الدين عن الحياة، وخنقوه في الكنائس، حتى امتدّ فساد المجتمع بزناه و لواطه وجرائمه إلى قلب الكنيسة، بدلاً من أن تنقل الكنيسة بعض الصلاح إلى المجتمع، وأصبح هذا الفساد هو الذي يصوغ القوانين للناس، فُرُعت أحكام الإعدام عن القتلة المجرمين، وعللوا ذلك بادّعاء الرحمة والنظرة الإنسانية، وأصبحت الجرائم الكبيرة لا تنال العقوبة بقدر ما تنال التشجيع، ولم يبق للدين من دور في حياتهم إلا أن يكون رجاله مقدّمة الفساد والعدوان لجيوش الظلم والطغيان في الأرض، وإلا أن يُشاركوا بأكبر قدرٍ ممكن في نشر الفتنة والفساد في الأرض، حتى أصبحت بعض المراكز الدينية عندهم، في قلب حضارتهم، هي نفسها تقيم حفلات الخمر والرقص، رجالاً ونساءً، فتياناً وفتيات، وتسهّل درب الفاحشة بكلّ وسائل الفتنة والإغراء، حفلات يُباركها رجال الدين ويغوصون في أوحالها، في هذا الجو لم تعد تقتصر الجريمة على طبقة دون طبقة، حتى أصبح عدد غير قليل من رجال السلطة والمال والقانون يتورطون بجرائم القتل والفاحشة واللواط، وامتدت الجريمة في المجتمع الغربي امتداداً واسعاً حتى شملت الطبقات كلها، من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا.

كلّ هذا الامتداد للجريمة والفساد يسمّونه حضارة أو ديمقراطية! ويقولون على العالم الإسلامي اتباع هذه الحضارة! على هذا الفكر المتناقض المضطرب، وعلى هذه النفسية المريضة القلقة، تقوم حضارة القرن الحادي والعشرين، حضارة الغرب بكلّ مآسيها ومجازرها ودمائها ودموعها، وأيتامها و ثكالاها، وأشلائها وجماعها المتناثرة في الأرض.

ولقد شهد القرن الماضي أكثر الحروب دموية، وأكثر نسبة للجرائم بمختلف أنواعها في قلب الحضارة الغربية، وأخطر شعور بالقلق والخوف عرفه الإنسان في تاريخه، وكأنّ هذه النسبة العالية كانت تتناسب مع ما يحققه العالم من تقدّم علميّ

ومادي.

العالم الإسلامي اليوم متأخر من حيث القوة المادية والصناعية والعلمية بالنسبة لما وصل إليه الغرب، والغرب متخلف تخلفاً مُريعاً بالنسبة للتصوّر الإيمانيّ الإنسانيّ الرباني، ويمكن أن يعيش الإنسان بغير صناعة متطورة، ولكن لا يستطيع أن يعيش دون أخلاق ورسالة تحمل الأخلاق، ويكون الواقع أسوأ بكثير على الإنسان في الأرض، حين يتوافر لدى أمة من الأمم جبروتُ القوة المادية من صناعة وسلاح، وتتجرّد من قوة الأخلاق ورسالتها، فتضطرب الموازين، ويمتدّ الظلم، والعدوان والمجازر. فمن يوقف ذلك، والسلاح يدفعه والموازين مضطربة والأخلاق ورسالتها مطوية.

لما لا نأخذ من غيرنا ما تحتاجه أمّتنا المسلمة اليوم من صناعة وعلوم تطبيقية في مسيرة نهضتها الإيمانية في مختلف ميادين الحياة. (١)

وللدلالة على واقع العالم الغربي اليوم ننقل ما أوردته مجلة المجتمع « وفي ظلّ الشريعة الإسلامية ساد العدل بين الناس وعمّ التراحم والتآخي والإيثار وأصبح المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وقد كانت الشريعة الإسلامية دائماً خط الدفاع الأول للمجتمع المسلم ضدّ الجريمة التي تروّع المجتمعات وتفتك بها، فلما نُحيت عن الحكم وتحاكم الناس إلى قوانين غريبة من صينع البشر، تغيّرت الأحوال، وأصبحت المجتمعات تعيش في ضنك اقتصادي وأمراض اجتماعية خطيرة، فعمّ الفساد وانتشرت السرقة، وتفشى الزنى والربا، وتسللت إلى المجتمعات الإسلامية ظواهر غريبة تحت شعارات كاذبة. وانبهر البعض ببريق الحضارة الغربية الزائفة دون تأمل لما أصاب المجتمعات الغربية

(١) عن مقال بعنوان: (زخرف الحضارة الغربية) للدكتور: عدنان علي رضا النحوي، انظر: الشبكة العنكبوتية موقع المسلم اليوم (almoslim.net).

وما تفشى فيها من عِلل تهددها بالزوال، فهناك لا يكاد المرء يعرف أباه، لتفشي الزنى واللواط، بل وصل الأمر إلى أن يعقد الرجل على الرجل، والمرأة على المرأة! ولا تكاد تمر ثانية دون وقوع جريمة مروعة من قتل واختطاف وسرقة.

وإنَّ إطلالة سريعة على البيانات الصادرة عن المنظمات والهيئات الدولية حول العنف والجريمة في الغرب تُؤكد ما نقول، فالبيانات الصادرة عن الأمم المتحدة تكشف أن حجم تجارة المخدرات بلغ ٤٠٠ مليار دولار وهو ما يساوي ٨٪ من حجم التجارة العالمية، وأنَّ علاج المصابين من حوادث إطلاق النار في الولايات المتحدة عام ١٩٩٦ م وحده كلف الخزانة الأميركية مليارات الدولارات.

وفي دراسة للباحث الأمريكي توم سميث أثبت أن الحياة العائلية الأمريكية لا تتجه نحو الاتجاه السليم وتوقع الباحث أن غالبية الأطفال في الألفية الثالثة سيعشون تحت رعاية أشخاص غير والديهم الأصليين.

كما تؤكد منظمة الصحة العالمية أن مليون شخص تخلصوا من حياتهم عام ١٩٩٨ م، وأنَّ نسبة الانتحار في العالم زادت بنسبة ٦٠٪^(١).

هذا هو واقع المجتمعات الغربية اليوم عندما تُعرض عن الحقِّ المبين، وتُرجح ما خطته يد البشر من القوانين البائدة الفاشلة، فغرقت في وحل الجرائم والانحلال الذي لن تنجوا منه حتى تعود إلى المنهج القويم وتدخل في دين الله أفواجاً.

(١) مجلة المجتمع، رقم العدد ١٣٦٠، وتاريخ ٢١/٧/٢٠٠١ م.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الدروس المستفادة للدعاة في العصر الحاضر
من منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة

وفيه مبحثان:

✿ المبحث الأول: ما يستفاده الداعية في المنهج .

✿ المبحث الثاني: ما يستفاده الداعية في الأسلوب .

المبحث الأول

ما يستفيد به الداعية في المنهج

وفيه ثلاثة مطالب :

- ✦ المطلب الأول: المنهج العاطفي .
- ✦ المطلب الثاني: المنهج العقلي .
- ✦ المطلب الثالث: المنهج الحسي .

* * * * *

المطلب الأول: المنهج العاطفي

تعريف المنهج العاطفي:

- هو: «الذي يعتمد على إيقاظ القلب؛ فيحرك المشاعر والوجدان»^(١).
- هو: «النظام الدعوي الذي يركز على القلب؛ فيحرك الشعور والوجدان»^(٢).
- هو: «مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على القلب، وتحرك الشعور والوجدان»^(٣).

من مظاهر المنهج العاطفي في القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]^(٤).

ففي هذه الآية الكريمة تتجلى الرحمت الربانية، بلين الخطاب، والصفح عمّات، فيفتح ربنا لعباده المسرفين على أنفسهم بالمعاصي باب التوبة منادياً لهم بباب النداء ﴿يَاعِبَادِيَ﴾.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر»^(٥).

(١) مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها، عبدالحليم محمد الرمحي ص ١٣٥.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البانوني ص ٢٠٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٤.

(٤) ومثلها الآية رقم ٨ من سورة التحريم.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج ٧/ ص ١٠٦.

ففي هذه الآية بهذا النداء الإلهي اللطيف تحريك للمشاعر والوجدان لدى العصاة والمذنبين حتى يلتفتوا إلى رحمة ربهم، ويتيقظوا عما هم فيه من غفلة عن الحق، ويعودوا إلى بارئهم وخالقهم عوداً جميلاً.

ومثال ذلك ما جاء في السنة المطهرة فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (... يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم... الحديث).^(١)

فهذا الحديث الشريف مليءٌ بهذه النداءات الرقيقة التي تملك شغاف قلب العبد، وتهز مشاعره وأحاسيسه، فهو مهما طال به المقام في العصيان، ومهما تحمّل من الخطايا والآثام؛ فإنه عندما يسمع ويؤمن بمثل هذه النداءات اللينة والكلمات الطيبة؛ فإنه ما يلبث إلا ويرق قلبه وتدمع عيناه ندماً على ما مضى من عمرٍ في هتك الحرمات ومفارقة الطاعات.

والدعاة إلى الله اليوم هم بحاجة ماسّة إلى استخدام المنهج العاطفي في دعوتهم للعصاة والمخالفين لتعاليم الإسلام ومن ذلك استعملهم الكلمة الطيبة والعبارة اللطيفة مثل أن يُنادى المدعو بقوله: يا أخي، ويا بني، ويا أبت... أو أن يتلطف به بقوله: إنني أخاف عليك، وإنني أحبك في الله، وإنني أريد الخير لك...

٢- قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]^(٢)

ففي هذه الآية العظيمة بعد أن نادى الله تعالى عباده المؤمنين إلى المسابقة إلى ما هو سبب في مغفرة الذنوب أولاً وهو الطاعة وجائزة ذلك هي جنة عرضها السماوات والأرض.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح(٢٥٧٧).

(٢) ومثلها الآية رقم ٢١ من سورة الحديد.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في ذلك: «ثم نديهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات»^(١).

وأما السنة المطهرة فلها النصيب الوافر من الحفز إلى الجنان والمسارعة إلى طاعة الرحمن ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله، والنار مثل ذلك)^(٢).

جاء في شرح الحديث في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: «وفيه دليل واضح على أن الطاعات موصلة إلى الجنة والمعاصي مقربة إلى النار فقد يكون في أيسر الأشياء وينبغي للمؤمن ألا يزهد في قليل من الخير ولا يستقل قليلاً من الشر فيحسبه هيناً وهو عند الله عظيم، فإن المؤمن لا يعلم الحسنه التي يرحمه الله بها والسيئة التي يسخط الله عليه بها»^(٣).

ففي هذا الحديث الشريف ترغيبٌ إلى الجنان، وفيه أخذٌ بمجامع القلوب، وفيه تشويقٌ للعواطف نحوها.

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٢/ ص ١١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب (الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله)، ح (٦١٢٣).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ج ٣٣/ ص ٢٦٧.

المطلب الثاني: المنهج العقلي

تعريف المنهج العقلي:

هو: «الأسلوب الذي يركز على العقل ويخاطبه، ويطلب من المدعو التفكير وإعمال النظر». (١)

هو: «النظام الدعوي الذي يركز على العقل، ويدعو إلى التفكير والتذكر والاعتبار». (٢)

هو: (مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على العقل، وتدعو إلى التفكير والاعتبار). (٣)

من مظاهر المنهج العقلي في القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ففي هذه الآية ينهى المولى جلّ في علاه عن الغيبة ويحذّر منها؛ لما فيها من مضار اجتماعية كثيرة فهي توقع في الشحناء والبغضاء فيما بين أفراد المجتمع... وقد قاس سبحانه الذي يغتاب أخيه المسلم في ظهره بما يكرهه بمن يأكل لحم أخيه ميتاً! يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في ذلك: «وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فيه نهي عن الغيبة..... وقد ورد فيها الزجر الأكيد؛ ولهذا شبهها تعالى بأكل اللحم من

(١) مفاهيم في فقه الدعوة الإسلامية، عبدالحليم محمد الرحي ص ١٣٤.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص ٢٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

الإنسان الميت، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: كما تكرهون هذا طبعاً، فاكرهوا ذلك شرعاً؛ فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها^(١).

وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والعائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه).^(٢)

ففي هذا الحديث الشريف تنفيراً من هذه المعصية وهي الرجوع في الهبة بعد إنفاذها، فقد شبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك الإنسان بالكلب الذي يقيء ثم يعود في قيئه إشارة إلى دنائة وقباحة هذا الصنيع.

والدعاة إلى الله تعالى في زماننا هذا في أمس الحاجة إلى استعمال المنهج العقلي في دعوتهم للمخالفين والمارقين من أوامر رب العالمين.

٢- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

فهذه الآية المباركة جلت حقيقة الخمر قبل التحريم من جماعة من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم الذين اعتاد بعضهم تناولها على شكل نبيذ وغيره أيام الجاهلية قبل الإسلام... فالخمر فيه نفع وضر ولكن ضرره وإثمه أكبر من نفعه فعلى العاقل أن يوازن ويقدم مرضاة الرحمن على مآرب الشيطان.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أما

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٧/ ص ٣٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها، ح (٢٤٤٩)، وصحيح مسلم، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبته لولده وإن سفل، ح (٢٢٦١).

إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدينيوية..... ولكن هذه المصالح لا توازي مضرتة ومفسدته الراجحة، لتعلقها بالعقل والدين؛ ولهذا قال: ﴿وَأَيْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١).

وجاء في السنة ما يشبه ذلك وهو الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: (إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ اذْنُهُ فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)^(٢).

ففي هذا الحديث لما أتى هذا الصحابي رضي الله عنه والذي أسرته معصية من المعاصي ألا وهي الزنا وغلبه هواه فيها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم طالباً منه أن يأذن له في الزنا! فأزعج ذلك جمعاً من الصحابة وذلك لتجرأ هذا الشاب على ذلك، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم حاور هذا الشاب واستخدم معه التفكير وتحكيم العقل بمقارنة هذه الفعلة الشنيعة بنفسه أيرضاها هذا الشاب في أهله كما يرضاها في أهل الغير.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١/ ص ٥٧٨.

(٢) مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة، ح (٢٢٢١١)، وقال الأرنؤوط: (إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح).

المطلب الثالث: المنهج الحسي

تعريف المنهج الحسي:

هو: «الأسلوب الذي يعتمد على الحس والمشاهدة» (١).

هو: «هو النظام الدعوي الذي يركز على الحواس، ويعتمد على المشاهدة والتجارب» (٢).

هو: «مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب» (٣).

من مظاهر المنهج الحسي في القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٣) ﴿فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِمُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَألقى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) ﴿فَألقى السحرة ساجدين﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨) ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^{٤٩} لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١) ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٥٠) ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١) [الشعراء: ٤٣-٥١].

ففي هذه الآيات يقصّ علينا الله تبارك وتعالى النقاش والسجال الذي حصل بين سحرة فرعون حينما جمعهم لتحدي موسى عليه السلام وقد نصر الله كليمه وكانت تلك معجزة كانت سبباً في إيمان سحرة فرعون بالله رب العالمين.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وكان هذا أمراً عظيماً، وبرهاناً قاطعاً للعدر

(١) مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها، عبد الحميد محمد الرحي ص ١٣٦.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص ٢١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٤.

وحجة دامغة، وذلك أنّ الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا قد غلبوا وخضعوا وأمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله ربّ العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق والمعجزة الباهرة، فغلب فرعون غلباً لما يشاهد العالم مثله^(١).

وأمثال ذلك في السنة النبوية كثير مما أجراه الله عزّ وجلّ على يد نبيه محمد ﷺ من معجزات باهرات كانت سبباً في هداية العديد من الصحابة ومن ذلك أنّ آيات سورة طه كانت سبباً في إسلام عمر بن الخطاب وانشرح صدره عند سماعها في بيت أخته فاطمة }.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٣].

ففي هذه الآيات المباركات من سورة الذاريات يصوّر لنا المولى تبارك وتعالى نعمه التتري على عباده ونعمه التي لا تحصى على مخلوقاته وحقّ على كلّ إنسان أن يتأمّل في هذه النعم سواء في الأرض أو النفس أو السماء؛ حتى يزداد يقيناً وإيماناً بالله تعالى.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألْسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة. ثم قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: المطر، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: الجنة.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٦/ ص ١٤٦.

قاله ابن عباس، ومجاهد وغير واحد. وقال سفيان الثوري: قرأ وأصل الأحذب هذه الآية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال: ألا إني أرى رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة فمكث فيها ثلاثا لا يصيب شيئا، فلما أن كان في اليوم الثالث إذا هو بدوخله من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق الموت بينهما. وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون. وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك هاهنا. قال مسدد، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا". ورواه ابن جرير، عن بُنْدَار، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، فذكره مرسلًا^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٧/ ٤١٩.

المبحث الثاني

ما يستفيدة الداعية في الأسلوب

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: أسلوب الحكمة .

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة .

المطلب الثالث: أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن .

* * * * *

المطلب الأول: أسلوب الحكمة

تعريف أسلوب الحكمة:

- هو: «الأسلوب الذي يضع الشيء في موضعه». (١)
- هو: «الإصابة في القول والعمل ووضع الشيء في موضعه». (٢)

أهمية الحكمة وفضلها:

لأسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله أهمية بالنسبة إلى الداعية المسلم؛ ويظهر ذلك فيما ورد في فضلها كما يلي:

١- أن تعليم الحكمة من أبرز أعمال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

٢- أن الله عز وجل أمر بالدعوة بهما؛ بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الحل: ١٢٥].

٣- أن الحكمة من أفضل ما يعطى الإنسان؛ قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. (٣)

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح الببانوني ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٤٨٢-٤٨٤.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح الببانوني ص ٢٤٥-٢٤٦.

❖ من مظاهر الحكمة في القرآن الكريم:

أولاً: النصيح في السرّ دون العلانية:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: ٥-٩].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه... ﴿وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن جريح، عن ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم. وقال سعيد بن جبیر، والسدي: غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول. وَأَصْرُوا أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع، ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾ أي: واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ أي: جهرة بين الناس. ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي: كلما ظاهراً بصوت عال، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: فيما بيني وبينهم، عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم. (١)

فهذا رسول الله نوح عليه السلام كان حكيماً في دعوته لقومه إذ دعاهم بكلّ الأساليب والوسائل والذي يظهر في هذه الآيات البينات وهو أسلوب النصيح في السرّ دون العلانية إذ صرّح نوح عليه السلام بذلك بقوله: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ولو لم يكن هذا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٨/ ص ٢٣.

الأسلوب هو الأمثل مع قومه لما استخدمه عليه السلام.

وأسلوب النصح في السر دون العلانية من الأساليب المرضية والمقبولة لدى المدعوين.

ومن الأمثلة على مثل هذا الأسلوب الدعوي الرائع ما رواه سعد بن وقاص رضي الله عنه قال: (أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم رجلاً لم يعطيه وهو أعجبهم إليّ فقمتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررتة فقلت: مالك عن فلان؟ والله إنّي لأراه مؤمناً، قال: أو مسلماً، قال: فسكت قليلاً، ثمّ غلبني ما أعلم فيه فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ والله إنّي لأراه مؤمناً، قال: أو مسلماً، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فجمع بين عنقي وكتفي ثمّ قال: أقتلاً أي سعد، إنّي لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه). (١)

يقول الإمام النووي رحمه الله: (فيه التأدب مع الكبار وأنهم يسارون بما كان من باب التذكير لهم والتنبيه ونحوه ولا يجاهرون به فقد يكون في المجاهرة به مفسده). (٢) (٣)

ثانياً: النصح بالتعريض دون التصريح:

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ هُدًى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ٩-١٤].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ النَّاسُ إِحْكَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]،

ح (١٤٠٨)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، ح (٢٤٨٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، ج ٧/ ١٤٩.

(٣) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان

المورعي ص ١٦٦-١٧٣.

نزلت في أبي جهل، لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، ﴿أَوْ أَمْرًا بِالتَّقْوَىٰ﴾ قوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَرَيْعَمَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ بِرَبِّي﴾ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء)).^(١)

في هذه الآيات المباركات والتي أنزلت في أبي جهل كما ورد عند المفسرين لم يصرح المولى سبحانه باسم أبي جهل وإنما عرّض بسوء أدبه مع النبي ﷺ.

والسنة النبوية فيها استخدامات لأسلوب النصح بالتعريض ومن ذلك؛ ما رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).^(٢)

يقول الإمام النووي رحمه الله: «هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا أنه إذا كره شيئاً فخطب له ذكر كراهيته ولا يعين فاعله وهذا من عظيم خلقه ﷺ فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملاء)).^(٣)(٤)

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٨/ ص ٤٣٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن، ح (١٤٠١).

(٣) شرح النووي على مسلم، النووي، ج ٩/ ص ١٧٦.

(٤) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ١٧٣-١٧٨.

ثالثاً: الدعوة باستعمال اللين في موضع اللين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَايْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنبِيئِي ۗ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يُبْنِيٰ إِنَّمَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يُبْنِيٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ۗ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٢-١٩].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: « وإيها لعظة غير متهمة، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً. وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك؛ ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلمٌ عظيم. ويؤكد هذه الحقيقة مرتين. مرة بتقديم قومه، فيجادلونه فيها؛ ويشكون في غرضه من وراء عرضها؛ ويخشون أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم بالتفضل عليهم! فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه ويأمره بها؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة؟ ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس؛ يراد بها الخير المحض، ولا يراد بها سواه.. وهذا هو المؤثر النفسي المقصود». (١)

ففيها هو لقمان الحكيم عليه السلام في هذه الآيات العزيزات من سورة لقمان يناصح ابنه ويرشده إلى الصراط المستقيم مستخدماً في دعوته له أسلوب اللين ويظهر ذلك

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ج ٥/ ص ٢٧٨٨.

جلياً في مناداته لابنه بكلّ لين ورفق بقوله: ﴿يَبْنِي﴾ .

وأما السنة الشريفة ففيها من هذا الأسلوب ومثاله: ماورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قَبْلَ نَجْدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ تُهَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَيَّ شَاكِرٍ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوا تُهَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدَكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ). (١)

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((فيه الملائمة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه)). (١) (٢)

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم، ح (٤٦٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج ٨ / ص ٨٨.

(٣) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان

المورعي ص ١٨٢-١٩١.

رابعاً: الدعوة باستعمال الشدة في موضع الشدة:

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

يقول العلامة الزمخشري رحمه الله: « والمعنى : أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجِدَّ والمُتانة فيه، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده. وكفى برسول الله ﷺ أسوة في ذلك حيث قال: لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها. (١) ».

ففي هذه الآيات العظيمة من سورة النور يضع الشارع الحكيم العلاج المناسب لمشكلة كم أضلّت من أفراد وكم أهلكت من مجتمعات ألا وهي فاحشة الزنا فقد عاجلها المولى جلّ في علاه بالأسلوب الأمثل وهو أسلوب الشدّة فالزاني أو الزانية إن كانا محصنين فالرجم أمّا إن كانا غير محصنين فالجلد، ومع أنّ في ظاهر هذه العقوبة القسوة - كما يتفوه أصحاب الشبهات من الغرب والمستغربين - إلا أنّها رحمةٌ بالأمة.

وسنة المصطفى ﷺ فيه مثل هذه الأساليب ومنها: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي لَا تَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فَلَانٍ مِّمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ فَأَيُّكُمْ أُمَّ النَّاسِ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَّةِ). (١) (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٤/ ص ٣٧٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ح (١٠٧٢).

(٣) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ١٩١-٢٠٧.

خامساً: البدء بالأهم فالأهم:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «السائلون هنا: هم المؤمنون سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا ببيان المَصْرِفِ الذي يصرفون فيه، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد؛ لأن الشيء لا يعتد به إلا إذا وضع في موضعه، وصادف مصرفه». (١) (٢)

ففي هذه الآية الكريمة - وكما ذكر أهل التفسير في سبب نزولها - فهؤلاء من أصحاب النبي ﷺ لما سألوا الرسول ﷺ عما ينفقون؛ أجيبوا بإيضاح أوجه الصرف لهذه النفقات؛ لأهمية بيان أوجه الصرف على بيان مقدار الإنفاق.

وأما السنة المطهرة ففيها مثل ذلك؛ كما ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على ميقاتها). قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين). قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزداني. (٣)

ذكر العيني عن الطبري رحمهما الله تعالى في عمدة القاري عند شرح هذا الحديث: (قال الطبري إنما خص هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى خرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤونتها وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براً ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم

(١) فتح القدير، الشوكاني ج ١ / ص ٢٨٨.

(٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٢٣٤-٢٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، ح (٢٦٣٠).

من الفساق أترك ((() ()



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج ٢٧ / ص ١٥ .

(٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان

المورعي ص ٢٣٤-٢٤٤ .

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة

تعريف أسلوب الموعظة الحسنة:

هي: ((التذكير بالخير فيما يرق له القلب)). (١)

هي: ((الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب)). (٢)

أهمية الموعظة الحسنة وفضلها:

لأسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله أهمية بالنسبة إلى الداعية المسلم؛ ويظهر ذلك فيما ورد في فضلها كما يلي:

١- أمر الله تبارك وتعالى الصريح باستخدام أسلوب الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

٢- أن الرسل والأنبياء عليهم السلام استعملوها في دعوتهم، ومنهم نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

٣- أن الرسول صلى الله عليه وسلم بايع الصحابة على ذلك، في الحديث: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم). (٣)

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المهدي الهجري ص ٤٩٩.

(٢) الحكمة والموعظة الحسنة، أحمد المورعي ص ٢٥٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة...)، ح (٥٧).

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البانوني ص ٢٥٩-٢٦١.

✽ من مظاهر الموعظة الحسنة في القرآن الكريم:

أولاً: الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء: ٥٦-٥٧].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾ أي ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجزائهم، وأجزاءهم. ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالمهم، فقال: ﴿كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾... (١).

ففي هذه الآيات البيّنات استخدام أسلوب الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب معاً؛ إذ أنّ ذكر العذاب والنكال والحرق فيه ما فيه من وعظ القلوب وتخويفها من عقاب ربّ العالمين، وأيضاً ذكر النعيم والرفاهية واللذة فيه ما فيه من وعظ القلوب ورجائها في رحمة ربّ العالمين.

وأما السنة المطهرة ففيها استعمالات لأسلوب الوعظ بالترغيب والترهيب ومن ذلك؛ ماورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٢/ ص ٣٣٦.

درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا). (١)

فهذا الحديث النبوي المبارك فيه ترغيبٌ في الصلاة المفروضة لما فيها من تطهير من الأدران والآثام.

ثانياً: الوعظ عن طريق القصص:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجذبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء...». (٢)

ففي هذه الآيات المباركات يقص علينا الباري تبارك وتعالى قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك... ويبين لنا تبارك وتعالى قبوله لتوبتهم واستغفارهم وهذا فيه ترغيب وتشويق للتوبة والأوبة إلى رب العالمين.

وأما الأحاديث النبوية ففيها من القصص التي فيها العظة والعبرة ومنها؛ عن

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطابا وترفع به الدرجات، ح(١٥٥٤).

(٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٢٧٤-٢٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤ / ص ٢٢٨-٢٣٤.

أَبِي ذَرٍّ (أَنْ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ). () ()

ففي هذا الحديث الشريف ترغيب في فعل الطاعات والمسابقة عليها، والإكثار من ذكر الله عز وجل.

ثالثاً: الوعظ عن طريق التذكير بالنعيم:

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَازِنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَازِنِ ﴾ يعني: السحاب. قاله ابن عباس، ومجاهد وغير واحد. ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يقول: بل نحن المنزلون. لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا أَي: زُعَاقًا مُرًّا لَا يَصْلِحُ لِشَرْبٍ وَلَا زَرْعٍ، فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَي: فَهَلَا تَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي إِنزَالِهِ الْمَطَرِ عَلَيْكُمْ عَذْبًا زَلَالًا!)). ()

فهذه الآيات فيها وعظ للناس بتذكيرهم بنعم الله تعالى الترى على خلقه ومنها

- (١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح(٢٣٧٦).
- (٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٢٨٨-٣١٢.
- (٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٧ / ٥٤١.

نعمة الماء والمطر. ()



(١) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٣٢٢-٣٣٦.

المطلب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن

تعريف أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن:

هي: «المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم». (١)

هي: «مقابلة الحجة بالحجة والمناقشة والمراجعة فيها بغرض إظهار الحق والوصول إليه». (٢)

أهمية المجادلة بالتي هي أحسن وفضله:

لأسلوب الجدال بالتي هي أحسن في الدعوة إلى الله أهمية بالنسبة إلى الداعية المسلم؛ ويظهر ذلك فيما ورد في فضلها كما يلي:

١- أن الله أمر باستخدامه؛ قال تعالى: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٢- أن أنبياء الله ﷺ استعملوا المجادلة في دعوتهم أقوامهم إلى الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَابِئِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

٣- أن الدعوة من السلف الصالح اعتنوا المجادلة بالتي هي أحسن من لدن الصحابة رضوان الله عليهم حتى هذا الزمن.

من مظاهر المجادلة بالتي هي أحسن في القرآن الكريم:

أولاً: المجادلة بالحجج والبراهين العقلية:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٤.

(٢) الحكمة والموعظة الحسنة، أحمد المورعي ص ٢٥٣.

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ﴿٢٥٨﴾ هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره... ومعنى قوله: ﴿ألم تر﴾ أي: بقلبك يا محمد ﴿إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ أي: في وجود ربه. وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره كما قال بعده فرعون لملئه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [قصص: ٣٨] وما حملة على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره، وطول مدته في الملك؛ وذلك أنه يقال: إنه مكث أربعمئة سنة في ملكه؛ ولهذا قال: ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ وكأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له. فعند ذلك قال المحاج - وهو النمرود -: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالغفو عن الآخر فلا يقتل. فذلك معنى الإحياء والإماتة.

والظاهر - والله أعلم - أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي: إذا كنت كما تدعي من أنك [أنت الذي] تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأنت بها من المغرب. فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أحرص فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة. قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يلهمهم حجة ولا برهانًا بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين: أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه، ومنهم من قد يطلق عبارة ردية. وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويبيّن بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني، والله الحمد والمنة. وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمرود بعد خروج إبراهيم من النار ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة^(١).

ففي هذه الآية المباركة والتي يظهر فيها استخدام أسلوب المجادلة بالحجج والبراهين والبراهين العقلية...^(٢)

ثانياً: المجادلة بإبطال دعوى الخصم:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣٥) هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٣٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ١/ ص ٦٨٦.

(٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٤١١-٤٢٠.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتَمْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

ينكر تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا. وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: كيف تدعون، أيها اليهود، أنه كان يهوديا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون، أيها النصارى، أنه كان نصرانيا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر. ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. ثم قال: ﴿هَاتَمْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ أي: متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ

﴿... ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي -يعني محمداً ﷺ- والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار وَمَنْ بَعْدَهُمْ..... وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولي جميع المؤمنين برسله. (١)

ففي هذه الآيات البيّنات يتضح الاستعمال لأسلوب الجدل بإبطال دعوى الخصم...

وأما الأحاديث المطهرة فمنها؛ ماورد عن عبد الله بن عمر { : أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة وقد زنيا فقال لهم (كيف تفعلون بمن زنى منكم). قالوا نحممهما ونضربهما فقال (لا تجدون في التوراة الرجم). فقالوا لا نجد فيها شيئا فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتهم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحنأ عليها يقيها الحجارة. (٢) (١)

ثالثاً: المجادلة باستخدام التهديد والوعيد المصحوب بالقسوة والشدة:

قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٨ / ص ٤٣٧.

(٢) انظر: الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، أحمد نافع سليمان المورعي ص ٤٢٠-٤٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران: باب قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣].

﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليَدْعُ نَادِيَهُ، ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبِ ﴿١٩﴾ ﴿[العلق: ٦-١٩].﴾

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَ ﴿٧﴾﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ فليَدْعُ نَادِيَهُ، ﴿١٧﴾﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبِ ﴿١٩﴾﴾.

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك: من أين جمعته؟ وفيم صرفته؟...

ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾ نزلت في أبي جهل، لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، أو ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ بقوله، وأنت تزجره وتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء. ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لَسَفَعًا﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنسمنها سواداً يوم القيامة.

ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها ﴿فليَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: ليدعهم يستنصر بهم، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلب: أحزبنا أو حزبه.... وقوله: ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهُ﴾ يعني: يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس، ﴿وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبِ﴾ كما ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية، عن سُمَيِّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله

الخاتمة

الختامة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وبعد:
فقد كان موضوع (منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة) موضوعاً شيقاً وممتعاً - والله الحمد والمنة - فقد دعاني البحث إلى تدبّر كثير من آيات القرآن، ومطالعة عدد من كتب السنة، وفي ذلك من الخير والفائدة واللذة ما فيه، ثم الاطلاع على شيء من السير وأحداث التاريخ وقصص السلف، وفي هذا - أيضاً - متعة عظيمة.

وبعد هذا البحث المتواضع أخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

❁ أولاً: النتائج:

أولاً / القرآن الكريم قد أسهب في حديثه عن المعصية والعصاة ووقف على كثير من المعاصي وعالجها وذلك بأسلوب لا مثيل له من الحكمة والموعظة الحسنة في رونقٍ بهي من الجمال والبيان، مما فيه حجة على كلّ من يُجالف أمر الله ﷻ بأن الله "تبارك وتعالى" قد بين الحق للعباد وجلاه.

ثانياً / القرآن الكريم قد استخدم في تقويمه لسلوك العصاة وسائل وازن فيها بين الجوانب المعنوية والحسيّة لارتكاب المعصية، فهذا الكائن البشري ضعيف وسهل الوقوع في شرك الشيطان الرجيم، وهو إن سقط فإنّ الله ﷻ قد وضع للعاصي عقوبات دنيوية وأخروية تردعه عن المعصية كما فتح له باباً واسعاً من التوبة والاستغفار.

ثالثاً / القرآن الكريم له أثره البالغ في كلّ من قرأه وتدبّره وعمل به سواءً من الأفراد أو المجتمعات، فقد هذب القرآن الكريم الفرد المسلم بالإيمان والإسلام، كما قوّمه بالتوبة والغفران، وهو كذلك قد أصلح المجتمع الإسلامي بما وضعه له من

أسس متينة أسهمت في تثبيت بناءه، وبهذا المنهج القرآني القويم أمسى الفرد آمناً والمجتمع مستقراً.

رابعاً / القرآن الكريم زاد الدعاة إلى الله في عصرنا الحاضر وإلى قيام الساعة، وهم في كل يوم من الدراسة لكتاب الله "تعالى" يخرجون بالكثير من المفاتيح التي بها يكون الأخذ بيد العصاة إلى الحياة السعيدة، فنرى القرآن قد جمع بين الترغيب والترهيب، والرفق واللين، والتدرج ومراعاة أحوال المدعوين مما لو أخذ به دعواتنا اليوم لكان له أثره في المدعوين.

❖ ثانياً: التوصيات:

أولاً / الاهتمام بالجانب العلمي والتدريبات العملية في إعداد الدعاة لاكتساب مهارات الرفق واللين والصبر ورعاية مقتضى الحال.

ثانياً / إقامة الدورات التي تحقق الجانب المهاري والعملي للقائمين على أمر الحسبة ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً / توجيه رجال التربية لاستخدام منهج القرآن الكريم في تقويم العصاة.

رابعاً / ضرورة رصد العصاة والمخالفين في السجون وغيرها ومحاولة إصلاحهم بمنهج القرآن الكريم حتى لا يظلوا عبئاً على المجتمع ويصبحوا أفراداً صالحين فضلاً عن الوفاء بواجب خيرية هذه الأمة أو معذرة الله "تعالى".

هذا وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

الفهارس

فهرس الأيات القرانية .

فهرس الأحاديث الشريفة .

فهرس الآثار .

فهرس الأشعار .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٦		البقرة: ٧	﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾
١٤٢		البقرة: ١٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٧٩		البقرة: ١٨	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى﴾
٩٧		البقرة: ٣٤	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾
١٤٨		البقرة: ٥٤	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾
١٦٩		البقرة: ٦٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾
٣١		البقرة: ٩٣	﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾
٢٢٣		البقرة: ١٢٩	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
١٤٥		البقرة: ١٤٨	﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾
١٢٥		البقرة: ١٧٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾
٢٠٣		البقرة: ١٧٩	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
١٨٠، ٥٣		البقرة: ١٨٣	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
١٨١، ٥٤		البقرة: ١٨٥	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾
٥٣		البقرة: ١٨٩	﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾
٥٤		البقرة: ١٩٦	﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾
٥٠		البقرة: ٢١٢	﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
٢٣٠		البقرة: ٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِّنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِّنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢١٧، ١٨٦		البقرة: ٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾
٥٣		البقرة: ٢٢٠	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴿٢٢٠﴾﴾
٥٣، ٥٠		البقرة: ٢٢٨	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿٢٢٨﴾﴾
٥٣		البقرة: ٢٣٨	﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴿٢٣٨﴾﴾
٢٣٧		البقرة: ٢٥٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾
٢٢٣		البقرة: ٢٦٩	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾
٨٥		البقرة: ٢٧٣	﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ ﴿٢٧٣﴾﴾
١٨٥		البقرة: ٢٧٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴿٢٧٥﴾﴾
١١٠		البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾
١١٧		البقرة: ٢٨٢	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ ﴿٢٨٢﴾﴾
٨٤، ٨٣		آل عمران: ١٤	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴿١٤﴾﴾
١٣٣		آل عمران: ١٥	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴿١٥﴾﴾
١٨٦		آل عمران: ٢٨	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿٢٨﴾﴾
٢٣٩		آل عمران: ٦٥ - ٦٨	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا نَجِيلٌ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٦٦		آل عمران: ٨٤	﴿قُلْ ءَأَمْتَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾
٥٣		آل عمران: ٩٧	﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا كَانَتْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَأَمِنًا﴾
٥٣		آل عمران: ٩٧	﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾
٦		آل عمران: ١٠٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)
١٩٩		آل عمران: ١١٠	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
١٩٣، ١٤٥		آل عمران: ١٣٥	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾
١٩٣		آل عمران: ١٣٦	﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
٣١		آل عمران: ١٥٢	﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾
٩٤		آل عمران: ١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾
٨١		آل عمران: ١٨٠	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾
٢١٤		آل عمران: ١٣٣	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣)
٦		النساء: ١	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
٣٣		النساء: ٢	﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾
٣٢		النساء: ١٤	﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾
٥٠		النساء: ٢٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾
٨٠، ٧٨		النساء: ٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨)
١٧٢، ٣٤		النساء: ٣١	﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾
٩٣		النساء: ٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣٣		النساء: ٥٦-٥٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾
٥٣		النساء: ٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
١٤٥، ١٤٤		النساء: ١١٠	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾
٩٢		النساء: ١٢٨	﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾
١٦٧		النساء: ١٣٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
١٨٨		المائدة: ٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾
١٠٤		المائدة: ١٧	﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾
٦٧		المائدة: ٢٧-٣٢	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىٰ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾
١٥٦، ٣٣		المائدة: ٣٣	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾
١٥٦، ٥٠		المائدة: ٣٨	﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾
٥٤		المائدة: ٤٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾
٢١		المائدة: ٤٨	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾
٢٠٤، ١٦٧		المائدة: ٤٩	﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾
٢٠٤		المائدة: ٥٠	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾
٣١		المائدة: ٧٨	﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
١٥٦، ٩٨ ١٧٢		المائدة: ٩٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ﴾
٩٨		المائدة: ٩١	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾
٣١		الأنعام: ١٥	﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

الصفحة	رقم الآية السورة	الآية
١٢٨	الأَنْعَام: ٤٤	﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾
١٩٢	الأَنْعَام: ٥٤	﴿كُنِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تُمَتَّعَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾
١٣١	الأَنْعَام: ٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾
١١٨	الأَنْعَام: ١٢٥	﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾
٥٩	الأَنْعَام: ١٤٨	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾
١٨٨، ١٥٥	الأَنْعَام: ١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
١٨٨	الأَنْعَام: ١٥٣	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
٨٢	الأَعْرَاف: ١٢	﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾
١١٣	الأَعْرَاف: ١٦	﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾
١٨٧	الأَعْرَاف: ٣١	﴿يَبْنِي ءَادَمُ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾
٣٣	الأَعْرَاف: ٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾
١٢٩	الأَعْرَاف: ٤٣	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾
٢٣٢	الأَعْرَاف: ٦٢	﴿أَبْلَغَكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾
٨٤	الأَعْرَاف: ٨١	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾
١٤٣	الأَعْرَاف: ٩٩	﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾
٧٠	الأَعْرَاف: ١٦٣-١٦٦	﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾
٣٣	الأَعْرَاف: ١٦٦	﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾
٨٠	الأَعْرَاف: ١٧٩	﴿أُولَئِكَ كَالَّذِينَ جَاءُوا نَبِيَّ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾
٨٨	الأَعْرَاف: ٢٠١	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾
٢٠١	التَّوْبَةُ: ١٢	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٢٢		التوبة: ٢٨	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس﴾
١٧٧		التوبة: ١٠٣	﴿حُدِّمِنَ ءَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾
٢٣٤		التوبة: ١١٧-١١٩	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾
١٧٤		التوبة: ١٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾
٧٩		يونس: ٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾
١٣٨		يونس: ٧٣-٧٤	﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْتَنَّهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَةً﴾
٢٣٧		هود: ٣٢	﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾
٥١		هود: ٤٢	﴿يَنْبِئُ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾
٥١		هود: ٤٢	﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾
٥١		هود: ٤٣	﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾
٥١		هود: ٤٣	﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾
٥١		هود: ٤٣	﴿سَاوِيٌّ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾
٥٢		هود: ٤٥	﴿رَبِّ إِنِّي أَنبِئُكَ بِمَا تَعْمَلُ﴾
٣١		هود: ٦٣	﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾
١٣٩		هود: ٨٢	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارًا﴾
١٢٨		هود: ١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١١		هود: ١١٣	﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾
٣٣		هود: ١١٤	﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴾
٩٢، ٩١، ٩٣		يوسف: ٥٣	﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾
١٤٣		يوسف: ٨٧	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾
٨٦		يوسف: ٨٩	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾
٣٣		يوسف: ٩٧	﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾
١٢٩		الرعد: ١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾
٩٠		الرعد: ٢٨	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾
٣٠		إبراهيم: ٣٦	﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾
١٩٦		النحل: ٩	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾
١٣٠		النحل: ١١	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً ﴾
٥٤		النحل: ١٧	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
١٨٤، ٦١		النحل: ٤٥-٤٧	﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾
٤٧		النحل: ٦٩	﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾
١٦٤		النحل: ٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾
٤١		النحل: ١١٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً ﴾
٢٣٢، ٢٢٣، ٢٣٧		النحل: ١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٤٣		الإسراء: ١	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾
٦٤		الإسراء: ٦	﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أُسْتَطَعْتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾
١٠٦		الإسراء: ١٤	﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾
١٢٧		الإسراء: ١٧	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾
١٥٥		الإسراء: ٣٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾
٥٤		الإسراء: ٨٩	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾
٨٠		الكهف: ٢٨	﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾
٣٥		الكهف: ٤٩	﴿ مَالِ هَذَا الْكُتُبِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾
٧٨		الكهف: ٥٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ ﴾
٣٢		الكهف: ٦٩	﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾
٣٢		مريم: ١٤	﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾
١٧٦		مريم: ٥٩	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾
٣٠		طه: ١٢١	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾
٦٣		طه: ٨	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨﴾ ﴾
١٨٢		الحج: ٢٧-٢٩	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾
١٨٢، ٥٣		الحج: ٢٩	﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾
١٣٢		الحج: ٤٠	﴿ وَلِيَنْصُرِبَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾
٧٨		المؤمنون: ١١٠	﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٢٥		المؤمنون: ٥١	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾
٢٢٩		النور: ٢	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾
٩٧		النور: ٢١	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٢١﴾﴾
١١٩		النور: ٤٠	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴿٤٠﴾﴾
٦٣		الفرقان: ٧٠	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾
٢١٩		الشعراء: ٤٣-٥١	﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِمُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾
٢٤		الشعراء: ٢٠٠	﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾
٦١		الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧	﴿أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾
٣١		الشعراء: ٢١٦	﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾
٢٣٨		القصص: ٣٨	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَتَرِي﴾
١٩٤		القصص: ٦٧	﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾
٦٨		القصص: ٧٦-٨٣	﴿إِنَّ قُلُوبَنَا كَمَا تَكُنُ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ ﴿٧٦﴾﴾
١٣٣		القصص: ٨١	﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٨١﴾﴾
٣٣		العنكبوت: ٤٠	﴿فَكَلَّا أَحَدْنَا بِذُنُوبِهِ ﴿٤٠﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٧٦		العنكبوت: ٤٥	﴿ أَتْلُ مَا أوحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾
٦٠		العنكبوت: ٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦١)
١٧٥		الروم: ٣١	﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣١)
١١٤، ١٣٥، ١٩١		الروم: ٤١	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٤١)
٢٢٧		لقمان: ١٢-١٩	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يُعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لِابْنِهِ رَبِّكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ ۖ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴾ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تِلْكَ إِلَهِ تِلْكَ إِلَهِ تِلْكَ إِلَهِ تِلْكَ إِلَهِ تِلْكَ إِلَهِ تِلْكَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥) يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عِزِّ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١٩)
٨٢		السجدة: ٧	﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴾ (٧)
١٠٢		الأحزاب: ١	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾
٤٨		الأحزاب: ٤	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ ﴾
١٨٦		الأحزاب: ٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ۗ ﴾
٥٣		الأحزاب: ٥٠	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاجِهِمْ ﴾
٦		الأحزاب: ٧٠	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠)
٦		الأحزاب: ٧١	﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١)

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٨٥، ٨٤		الأحزاب: ٧٢	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾
٦٤		فاطر: ٦	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾
١٣٦		فاطر: ٤٥	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِيهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾
٢٠٤		ص: ٢٦	﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾
٨٢		ص: ٧١	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾
١٤٢		الزمر: ٩	﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾
٢٤		الزمر: ٢١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾
١١٥		الزمر: ٤٥	﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَمَّرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾
١٩٣، ٦٢ ٢١٣		الزمر: ٥٣	﴿ قُلْ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾
١٤٤		غافر: ٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾
١٣٢		غافر: ٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾
٤١		فصلت: ١٣	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾
١٣٤		فصلت: ٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾
١٣٤		فصلت: ٣١	﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾
٤٨		فصلت: ٣٧ - ٣٩	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ وَالتَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾
٦		فصلت: ٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾
١٣٨		الأحقاف: ٢٥-٢١	﴿ وَأَذْكُرْ ءَاخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَنَاهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾
١٣٢		محمد: ٧	﴿ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ يَصْرُكُمُ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٧٥		محمد: ١٩	﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾
١٥٥		محمد: ٢٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ آذُنَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾
١٧١		الفتح: ٢	﴿ سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾
١٦٨		الحجرات: ١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾
٣٣، ٣٤، ٣٢		الحجرات: ٧	﴿ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾
٢١٦		الحجرات: ١٢	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾
١٦٤، ١٠٥		ق: ١٦-١٩	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾
٤٩		ق: ٩-١١	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾
٢٢٠		الذاريات: ٢٠-٢٣	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
٣٤		النجم: ٣٢	﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾
٢٣٥		الواقعة: ٦٨-٧٠	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْلَا نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾
٥٤		الحديد: ١١	﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَهُوَ آجِرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾
١٨٧		المجادلة: ٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ التَّجَوُّيِ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ ﴾
١٣٤		الحشر: ١	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ﴾
١٨١		الحشر: ٧	﴿ وَمَا ءَأَنَّكُمْ الرَّسُولُ فَعُدُّوه وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا ﴾
٩٢		الحشر: ٩	﴿ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾
٧٩		الحشر: ١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٢		المتحنة: ١٢	﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِنَبَأٍ يَقْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾
٣٢		التحریم: ٦	﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾
١٩٢، ١٥٠		التحریم: ٨	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾
١٧٤		الملك: ١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤)
٧١		القلم: ١٧-٣٣	﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (١٧)
١٤٠		الحاقة: ٢٥-٣٧	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوْتِيَ كِتَابَهُ ﴾ (٢٥)
٩٢		المارج: ١٩ - ٢٢	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾
٢٢٤		نوح: ٥-٩	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾
١٠٢		المدثر: ٥٦	﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغُفْرَةِ ﴾ (٥٦)
٩٣		القيامة: ١-٢	﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾
٢٠		القيامة: ١٧	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ ﴾
٩٠		القيامة: ٢	﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾
٥٩		الإنسان: ٣	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾
٩٥		النازعات: ٤٠ - ٤١	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾
١٦٥		الانفطار: ١٠ - ١٢	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
١٣٠		المطففين: ١٤	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
١٨٥		المطففين: ٤-٦	﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾
٩٢، ٨٩		الفجر: ٢٧	﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧٧		البلد: ١٠	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾
١٢١		الشمس: ٩- ١٠	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾
٢٢٥		العلق: ٩-١٤	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالنَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾﴾
١٢٧		الماعون: ٤-٧	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾



فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الراوي	الصفحة
١	اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات	أبو هريرة	١١١، ٣٦
٢	إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان	أبو هريرة	٩٤
٣	أرأيتم لو أنّ نهرًا باب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟	أبو هريرة	٢٣٣
٤	أرأيتم لو أنّ نهرًا باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا	أبو هريرة	١٧٦
٥	أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يعطيه	سعد بن وقاص	٢٢٥
٦	اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك	عمرو بن ميمون	١٤٦
٧	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثلاثاً قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور	أبو بكر	٣٥
٨	إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ...	النعمان بن بشير	١٨٤
٩	إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه	ثوبان	١٣٠
١٠	إنّ الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته الأشعري	أبو موسى	١٢٨

م	الحديث	الراوي	الصفحة
١١	أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة وقد زنيا فقال لهم (كيف تفعلون بمن زنى منكم)	عبدالله بن عمر	٢٤١
١٢	إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُذَنُّ لِي بِالزَّيْنَا	أبو أمامة الباهلي	٢١٨
١٣	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا	عبدالله بن عمر	٤٥
١٤	أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنُورِ بِالْأَجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي	أبو ذر	٢٣٥
١٥	أَنَّ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ	أنس بن مالك	٢٢٦
١٦	إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرَاءٌ حُلُوةٌ، مِنْ أَصَابِهِ بِحَقِّهِ بورك له فيه، ورب متخوِّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار	خولة بنت قيس	٩٦
١٧	إنما مثلي ومثل الناس كمثلي ومثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار، يقعن فيها، فجعل الرجل ينزعهن ويغلبهن، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها	أبو هريرة	٢٠١
١٨	أهون الناس عذاباً أبو طالب وهو متعل بنعلين يغلي منها دماغه	عبدالله بن عباس	١٤٠
١٩	أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين	أبو هريرة	١٢٥
٢٠	بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم	-	٢٣٢
٢١	بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ	أبو هريرة	٢٢٨
٢٢	بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة	أبو هريرة	١٣٤

م	الحديث	الراوي	الصفحة
٢٣	تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأَيُّ قلبٍ أشريها نُكُتت فيه نُكُتةٌ سوداءٌ وأَيُّ قلبٍ أنكرها نُكُتت فيه نُكُتةٌ بيضاءٌ...	حذيفة بن اليمان	١١٦
٢٤	ثمَّ قال أخبرني عن الإيَّمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره، قال صدقت	عمر بن الخطاب	١٧١
٢٥	جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالَ إنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا... .	أبو مسعود الأنصاري	٢٢٩
٢٦	الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك	ابن مسعود	٢١٥
٢٧	حدِّ يُعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً	أبو هريرة	١٥٧
٢٨	سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة على ميقاتها)....	عبدالله بن مسعود	٢٣٠
٢٩	سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله، قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك....	عبدالله بن مسعود	٣٥
٣٠	سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنّه لن يدخل الجنة أحداً عمله	عائشة	٤١
٣١	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ لما بينهن إن اجتنبت الكبائر	أبو هريرة	٣٥
٣٢	العمد قود	عبدالله بن عباس	١٥٥
٣٣	في هذه الأمة خسف ومسح وقذف، إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر	سهل بن سعد	١٣٣
٣٤	كلّ النَّاسِ يَغْدُو فَبائعٌ نَفْسِهِ فَمُوبِقِها أَوْ مُعْتَقِها	أبو مالك الأشعري	٦٠
٣٥	كلّ أمتي معافي إلا المجاهرين وإنّ من المجاهرة أن يعمل العبد عملاً ثمّ يصبح وقد ستره ربّه فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا... .	أبو هريرة	١١٦
٣٦	كنا إذا حمّر البأس اتقينا برسول الله ﷺ	علي بن أبي طالب	١٠٢

م	الحديث	الراوي	الصفحة
٣٧	لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم	أبوموسى الأشعري	٦١
٣٨	لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان	أبوهريرة	٩٩
٣٩	لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة....	أبوهريرة	١٣٧
٤٠	لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة	ابن مسعود	١٨٩
٤١	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن	أبوهريرة	٩٩، ٩٤
٤٢	لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثاً..... وكان في بني إسرائيل رجل يُقال له جريج، كان يُصلي. جاءته أمه فدعته....	أبوهريرة	٤٣
٤٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	أبوموسى الأشعري	١٧٧
٤٤	ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وأمنه الخوف	سعيد بن المسيب	١٤٣
٤٥	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار	أنس بن مالك	١٧٥
٤٦	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له	أبو بكر الصديق	١٤٥
٤٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء	أبوهريرة	١٩٨
٤٨	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى	النعمان بن بشير	١٧٧
٤٩	من بدل دينه فاقتلوه	عبد الله بن عباس	١٥٥

م	الحديث	الراوي	الصفحة
٥٠	من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه	أبوهريرة	
٥١	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً	أبوهريرة	١١٢
٥٢	من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح	أبوهريرة	١٧٥
٥٣	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	معاذ بن جبل	١٢٥
٥٤	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره...	أبوهريرة	١٦٤
٥٥	من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة	زيد بن ثابت	١٣٤
٥٦	من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه	أبوهريرة	١٨١
٥٧	نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضاً من اللبن فسوّده خطايا بني آدم	عبد الله بن عباس	١٣٧
٥٨	والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها	عائشة	٢٠٣
٥٩	والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم	أبوهريرة	٤٠
٦٠	والعائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه	ابن عباس	٢١٧
٦١	ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله	أبوهريرة	١٠٤
٦٢	ولا أنا إلا أن يتغمديني الله منه برحمة، واعلموا أنّ أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل	عائشة	٤١

الصفحة	الراوي	الحديث	م
٢١٤	أبو ذر الغفاري	يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً	٦٣
١٣٢	عبدالله بن عمر	يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع	٦٤
١٣٦	عبدالله بن عمر	يا معشر المهاجرين خمس خصالٍ أعوذ بالله أن تدركوهنَّ....	٦٥



فهرس الآثار

م	الأثر	الراوي	الصفحة
١	اتقوا الله حقّ تقاته أن يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر	عبد الله بن مسعود	١٠٣
٢	إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا	عبد الله بن مسعود	١٢٠
٣	إنّ للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإنّ للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن، ونقصاناً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق	عبد الله بن عباس	١٢٠
٤	إنّكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشعر كنّا نُعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات	أنس بن مالك	٣٧
٥	إنّما سُمي الهوى لأنّه يهوي بصاحبه	الشعبي	٩٦
٦	إنّهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إنّ ذلّ المعصية لا يُفارق قلوبهم، أباي الله إلا أن يذلّ من عصاه	الحسن البصري	١١٩
٧	التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله وترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله	طلق بن حبيب	١٠٣
٨	كلّ شيءٍ عصى الله به فهو كبيرة	عبد الله بن عباس	٣٨
٩	كلّ ما نهى عنه فهو كبيرة	عبد الله بن عباس	٣٨
١٠	ما أدري أيّ النعمتين عليّ أعظم، أن هداني للإسلام، أم عافاني من هذه الأهواء	مجاهد	٩٦
١١	ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية	علي بن أبي طالب	٦٢

م	الأثر	الراوي	الصفحة
١٢	هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل	علي بن أبي طالب	١٠٣
١٣	هي ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فيما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير	عمر بن عبدالعزيز	١٠٣

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١	إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي	٢٠
٢	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران (أبو إسحاق الاسفراييني)	٣٧
٣	أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الكناني (ابن حجر)	٧٧
٤	أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري (ابن حجر الهيثمي)	٣٧
٥	سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني	٣٨
٦	عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني	٥٧
٧	عبدالله بن أحمد بن عبدالجبار بن الخليل (عبدالجبار الهمداني)	٥٧
٨	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (ابن قتيبة)	٥٦
٩	عبدالمك بن عبدالله بن يوسف الجويني (إمام الحرمين)	٣٧
١٠	عبدالوهاب بن علي بن نصر بن أحمد التغلبي البغدادي	٣٨
١١	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ابن حزم)	٧٧
١٢	عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (الجاحظ)	٥٦
١٣	القاسم بن سلام، أبو عبيد	٥٦
١٤	المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ابن الأثير)	٢٠
١٥	محمد الطاهر بن عاشور (ابن عاشور)	٣٤
١٦	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ابن القيم)	٣٦
١٧	محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي	٧٦
١٨	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (أبو بكر الباقلاني)	٣٧
١٩	محمد بن زياد الكوفي (ابن الأعرابي)	٢٥
٢٠	معمر بن المثنى البصري (أبو عبيدة)	٢٤

فهرس الأشعار

الصفحة	البيات	م
١١٧	فأرشدني إلى ترك المعاصي	١
١١٧	وأخبرني أن العلم نورٌ	٢
١١٧	من يهن يسهل الهوان عليه	٣



فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- (١) الاختيارات العلمية من الاختيارات العلمية الفقهية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، ط. الأولى ١٤١٨ هـ، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (٢) أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين: عبدالله التليدي، ط. الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، دار البشائر الإسلامية، لبنان: بيروت.
- (٣) الإسلام وبناء المجتمع: حسن عبدالغني أبوغدة وآخرون.
- (٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، ط. بدون ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار الفكر، لبنان: بيروت.
- (٥) أضواء على النظام الاجتماعي في الإسلام: د. عبدالرحمن أبو عامر عبدالسلام، ط. بدون ١٤٢٥ هـ، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (٦) أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل: الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ١٩٦٩ م، عالم الكتب، مصر: القاهرة.
- (٧) الأعلام: خير الدين الزركلي.
- (٨) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ت: خالد السبع العلمي، ط. الأولى ٢٠٠٢ م، دار الكتاب العربي.
- (٩) أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ط. الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، راسم للدعاية والإعلان، المملكة العربية السعودية: جدة.
- (١٠) الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع: محمد رفعت احمد زنجير، ط. بدون ١٤٠٩ هـ.

- (١١) تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي فيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق: علي شيري، ط. بدون ت. بدون، دار الفكر.
- (١٢) تاريخ بغداد: أبو بكر البغدادي.
- (١٣) تأملات قرآنية: رشدي إبراهيم الإبراهيم، ط. بدون ت. بدون.
- (١٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان: بيروت.
- (١٥) التدابير الجزرية والوقائية في التشريع الجنائي الإسلامي: مطيع دخيل اللهبي، ط. الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار اللواء، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (١٦) التدين علاج الجريمة: د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الصنيع، ط. الثانية ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد و شركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (١٧) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية:
- (١٨) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة: د. مقداد يالجن، ط ز بدون ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (١٩) التربية الذاتية من الكتاب والسنة: هاشم علي أحمد الأهدل، ط. الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الأهدل، المملكة العربية السعودية: مكة المكرمة.
- (٢٠) تعديل السلوك الإنساني: سعيد حسني العزة وجودت عزت عبدالهادي، ط. الأولى ٢٠٠١م، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن: عمان.
- (٢١) تفسير القرآن العظيم: عماد الدين لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، حواشي وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط. الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.

- (٢٢) تفسير القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: شمس سالم مصطفى البدرى، ط. الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٢٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، ط. الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٢٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.
- (٢٥) جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، تصحيح: علي عاشور، ط. الأولى ت. بدون، دار إحياء التراث العربي، لبنان: بيروت.
- (٢٦) الجامع الصغير: السيوطي.
- (٢٧) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي.
- (٢٨) الجانب العاطفي من الإسلام بحث في الخلق والسلوك والتصوف: محمد الغزالي، ط. بدون ت. بدون، دار الكتب الحديثة، مصر: القاهرة.
- (٢٩) الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية "دراسة مقارنة": المستشار توفيق علي وهبه، ط. الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، شركة مكاتب عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية: جدة.
- (٣٠) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد اللحام، تقديم ومراجعة: بهيج غزاوي، ط. الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، دار إحياء العلوم، لبنان: بيروت.

- (٣١) الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة: أحمد نافع سليمان المورعي، ط. الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية: جدة.
- (٣٢) خصائص القرآن الكريم: د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، ط. الخامسة ١٤١٠ هـ.
- (٣٣) الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة: د. عبدالرحمن بن سليمان الخليلي، ط. بدون ت. بدون.
- (٣٤) الدعوة وصلتها بالحياة: د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط. بدون ت. بدون، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (٣٥) دور المسجد في التربية: عبدالله بن أحمد قادري، ط. بدون ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، دار المجتمع، المملكة العربية السعودية: جدة.
- (٣٦) ديوان الإمام الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، ط. الأولى ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٣٧) ديوان المتنبي، شرح وهوامش: مصطفى سبتي، ط. الأولى ١٤٦٠ هـ - ١٩٨٦ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٣٨) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: ابن القيم الجوزية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط. بدون ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٣٩) رياض الصالحين: النووي.
- (٤٠) زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة.

- (٤١) الزواجر عن اقتراف الكبائر: أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، ضبط وكتابة هوامش: أحمد عبدالشافي، ط. بدون ت. بدون، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٤٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام: حسن أيوب، ط. بدون ت. بدون، دار الندوة الجديدة، لبنان: بيروت.
- (٤٣) السلوك الإنساني: د. إبراهيم الغمري، ط. بدون ١٩٧٩ م، دار الجامعات المصرية، مصر: الإسكندرية.
- (٤٤) سنن ابن ماجه: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، ط. بدون ت. بدون، دار الفكر، لبنان: بيروت.
- (٤٥) سنن أبي داود: أبي داود سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. بدون ت. بدون، دار الفكر.
- (٤٦) سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط. بدون ت. بدون، دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان: بيروت.
- (٤٧) سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يمانى المدني، ط. بدون ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار المعرفة، لبنان: بيروت.
- (٤٨) سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، ط. الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، لبنان: بيروت.
- (٤٩) سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط. الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٥٠) شرح صحيح مسلم: محي الدين يحيى بن شرف النووي، ط. بدون ١٣٩٢ هـ، دار إحياء التراث، لبنان: بيروت.

- (٥١) الشريعة الإسلامية ودورها في مقاومة الانحراف ومنع الجريمة: د. محمد بن أحمد الصالح، ط. بدون ١٤٠٢ هـ، مطابع الفرزدق التجارية، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (٥٢) شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط. الأولى ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٥٣) الصحاح في اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط. الرابعة ١٩٩٠ م، دار العلم للملايين، لبنان: بيروت.
- (٥٤) صحيح ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، ط. بدون ت. بدون.
- (٥٥) صحيح البخاري: أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، ط. بدون ١٤٠١ هـ - ١٩٩١ م، دار الفكر.
- (٥٦) صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الخامسة، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (٥٧) صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثالثة ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي.
- (٥٨) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. بدون ت. بدون، دار إحياء التراث العربي، لبنان: بيروت.
- (٥٩) صحيح وضعيف أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، ط. بدون ت. بدون.
- (٦٠) صحيح وضعيف الجامع: الألباني.
- (٦١) صحيح وضعيف سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، ط. بدون ت. بدون.
- (٦٢) عقيدة أهل السنة والجماعة: محمد بن صالح العثيمين، سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ رقم (٥) ١٤٣٠ هـ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية: القصيم.

- (٦٣) علوم القرآن: د. رشدي عليان وآخرون، ط. بدون ت. بدون.
- (٦٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدرالدين العيني الحنفي.
- (٦٥) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف: يوسف بن عبد الله الحاطي، ط. بدون ت. بدون.
- (٦٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط. بدون ١٩٧٩هـ، دار المعرفة، لبنان: بيروت.
- (٦٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط. بدون ت. بدون، دار الوفاء.
- (٦٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي، ط. بدون ت. بدون، مكتبة الخانجي، مصر: القاهرة.
- (٦٩) في ظلال القرآن: سيد قطب، ط. الثالثة والثلاثون ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الشروق، مصر: القاهرة.
- (٧٠) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط. الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة.
- (٧١) القرآن الكريم رؤية تربوية: د. سعيد اسماعيل علي، ط. الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي، مصر: القاهرة.
- (٧٢) قواعد الدعوة الإسلامية: الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري.
- (٧٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. بدون ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، دار الريان للتراث ودار الحديث، مصر: القاهرة.
- (٧٤) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الإفريقي، تصحيح: أمين عبدالوهاب و محمد الصادق العبيدي، ط. بدون ت. بدون، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، لبنان: بيروت.
- (٧٥) لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني.

- (٧٦) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط. التاسعة عشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، لبنان: بيروت.
- (٧٧) المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم: د. محمد نجيب أحمد أبو عجوة، ط. الأولى ١٩٩٩م، مكتبة مدبولي، مصر: القاهرة.
- (٧٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الطبعة السعودية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- (٧٩) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط. بدون ت. بدون، المكتبة العصرية، لبنان: بيروت.
- (٨٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الأرنؤوط، ط. الرابعة عشر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، لبنان: بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- (٨١) المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط. الثالثة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، لبنان: بيروت.
- (٨٢) المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط. الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت.
- (٨٣) مسند أحمد: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.
- (٨٤) مشكاة المصابيح: التبريزي، تحقيق الألباني.
- (٨٥) مصنف عبدالرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، لبنان: بيروت.
- (٨٦) المطالب العالية:

- (٨٧) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع: حامد بن محمد بن حامد المصلح، ط. الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، مكتبة الضياء، المملكة العربية السعودية: جدة.
- (٨٨) معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج أحاديث: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط. الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار طيبة.
- (٨٩) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: أ. ي. فنسك، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. بدون، نشر بيروت عن طبعة مكتبة بريل بليدن ١٩٦٥ م.
- (٩٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. الأولى ١٩٩٥ م، دار الفكر.
- (٩١) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط. بدون ت. بدون، دار الدعوة.
- (٩٢) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: سميح عاطف الزين، ط. بدون ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الكتاب اللبناني، لبنان: بيروت، دار الكتاب المصري، مصر: القاهرة.
- (٩٣) مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها: عبدالحليم محمد الرمحي.
- (٩٤) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، ط. الرابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار المعرفة، لبنان: بيروت.
- (٩٥) من أساليب التربية في القرآن الكريم: د. عثمان قدرى مكناسي، ط. بدون ت. بدون، دار ابن حزم.
- (٩٦) من هدي سورة الأنفال: محمد أمين المصري، ط. بدون ت. بدون، مكتبة دار الأرقم، الكويت.
- (٩٧) مناهج البحث العلمي: عبدالرحمن بدوي، ط. الثالثة ١٩٧٧ هـ، وكالة المطبوعات، الكويت.

- (٩٨) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق وتعليق وتخرىج آيات وأحاديث: د. بديع السيد اللحام، ط. الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، دار قتيبة.
- (٩٩) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: د. محمد السيد يوسف، ط. الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م، دار السلام، مصر: القاهرة.
- (١٠٠) منهج القرآن الكريم في تربية المجتمع: د. عبدالفتاح عاشور، ط. الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، مكتبة الخانجي، مصر: القاهرة.
- (١٠١) موجز علوم القرآن: د. داود العطار، ط. الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان: بيروت.
- (١٠٢) النبأ العظيم: أ. د. محمد عبدالله دراز، ط. الأولى ت. بدون، مؤسسة الرسالة.
- (١٠٣) نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن الكريم: مصطفى نابلسي، ط. الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، دار الفرقان، الأردن: عمان.
- (١٠٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين آثار المصنفين: اسماعيل باشا البغدادي.
- (١٠٥) وجوب التوبة على الله: د. صالح غانم السدلان، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- (١٠٦) الوحي والقرآن: عبدالحميد إبراهيم سرحان، ط. بدون ت. بدون، دار العلم، المملكة العربية السعودية.
- (١٠٧) وفيات الأعيان: ابن خلكان.

• الدوريات :

- (١٠٨) مجلة المجتمع، رقم العدد (١٣٦٠)، وتاريخ ٢١ / ٧ / ٢٠٠١ م.

• موقع الشبكة العنكبوتية:

(١٠٩) المسلم اليوم (almoslim.net).

(١١٠) ويكيبيديا الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	ملخص إنجليزي
٥	المقدمة
٧	أهمية الموضوع
٧	سبب اختياره
٨	منهجي في البحث
٩	الدراسات السابقة
٩	خطة البحث
١٥	شكر وتقدير
١٨	التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث
٢٠	أولاً: التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح
٢٠	أ - معنى القرآن في اللغة
٢١	ب - معنى القرآن في الاصطلاح
٢١	ثانياً: التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح
٢١	أ - معنى المنهج في اللغة
٢٢	ب - معنى المنهج في الاصطلاح
٢٢	المنهج عند علماء التفسير

الصفحة	الموضوع
٢٣	ثالثاً: التعريف بالتقويم في اللغة والاصطلاح
٢٣	أ - معنى التقويم في اللغة
٢٤	ب - معنى التقويم في الاصطلاح
٢٤	رابعاً: تعريف السلوك في اللغة والاصطلاح
٢٤	أ - معنى السلوك في اللغة
٢٥	ب - معنى السلوك في الاصطلاح
٢٥	خامساً: تعريف العصاة في اللغة والاصطلاح
٢٥	أ - معنى العصاة في اللغة
٢٦	ب - معنى العصاة في الاصطلاح
٢٨	الفصل الأول: المعصية والعصاة في القرآن
٢٩	المبحث الأول: ورود لفظة المعصية في القرآن الكريم
٣٠	المطلب الأول: ورود لفظة المعصية واشتقاقها في القرآن الكريم
٣٣	المطلب الثاني: مرادفات المعصية في القرآن الكريم
٣٤	المطلب الثالث: تقسيم القرآن الكريم المعاصي إلى كبائر وصغائر
٣٩	المطلب الرابع: الحكمة من خلق المعصية وتقديرها بين العباد
٤٤	المبحث الثاني: الأسلوب القرآني في الحديث عن المعصية
٤٥	المطلب الأول: خصائص الأسلوب القرآني
٤٦	أولاً - خطابه العامة والخاصة
٤٧	ثانياً - إقناع العقل وتحريك العاطفة

الصفحة	الموضوع
٤٩	ثالثاً - الجمع بين الإجمال والبيان
٥١	رابعاً - التأثير بلا تأثر
٥٢	خامساً - براعته في تصريف القول على أفانين الكلام
٥٥	سادساً - جودة السبك وإحكام السرد
٥٥	سابعاً - النظم القرآني
٥٧	ثامناً - جمال وقع القرآن
٥٩	المطلب الثاني: مظاهر الأسلوب القرآني في التحذير من المعصية
٥٩	أ - حكاية القرآن الكريم عن أحوال المشركين وما احتجوا به من حجج ورد الله عليهم
٦٠	ب - بيان أن تحصيل الهداية لا يكون مصادفةً ولا عفويًا بل له سنن
٦١	ج - الترهيب من المعصية والعقاب المترتب عليها
٦٢	د - مسلك الترغيب في الإقلاع عن المعصية، وفتح أبواب التوبة واستقامة الحال
٦٤	هـ - تحذير الإنسان من الشيطان وعاقبة إتباعه
٦٦	المبحث الثالث: نماذج من العصاة في القرآن الكريم
٦٧	المطلب الأول - قصة ابني آدم
٦٨	المطلب الثاني - قصة قارون
٧٠	المطلب الثالث - قصة أصحاب السبت
٧١	المطلب الرابع - قصة أصحاب الجنة

الصفحة	الموضوع
٧٣	الفصل الثاني: وسائل تقويم سلوك الإنسان في القرآن الكريم
٧٥	المبحث الأول: مراعاة القرآن للنفس البشرية
٧٦	المطلب الأول: تعريف النفس وخصائصها وطبيعتها
٧٦	المسألة الأولى: تعريف النفس لغة واصطلاحاً
٧٦	أ - النفس لغة
٧٦	ب - النفس اصطلاحاً
٧٧	المسألة الثانية: خصائص النفس الإنسانية
٧٨	أولاً - النسيان
٧٩	ثانياً - الغفلة
٨٠	ثالثاً - الضعف
٨١	رابعاً - البخل
٨٣	خامساً - الشهوة
٨٤	سادساً - الجهل
٨٦	المسألة الثالثة: طبيعة التكوين النفسي للإنسان
٨٦	١- قوة الغضب
٨٧	٢- قوة الشهوة
٨٩	المطلب الثاني: أنواع النفس وأسباب انحرافها ونظرة الإسلام لها
٨٩	المسألة الأولى: أنواع النفس في القرآن الكريم
٨٩	١- النفس المطمئنة

الصفحة	الموضوع
٩٠	٢ - النفس اللوامة
٩١	٣- النفس الأمارة بالسوء
٩٣	المسألة الثانية: أسباب ودوافع فعل المعصية
٩٣	١- انحراف الفطرة
٩٤	٢- ضعف الايمان
٩٥	٣- اتباع هوى النفس
٩٧	٤- اتباع خطوات الشيطان
٩٩	المسألة الثالثة: منهج القرآن الكريم في علاج النفس البشرية عند وقوعها في المعصية
١٠١	المبحث الثاني: غرس الإيمان في نفس المسلم
١٠٢	المطلب الأول: تقوى الله ﷻ
١٠٢	المسألة الأولى: تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح
١٠٤	المسألة الثانية: أثر التقوى في غرس الإيمان في نفس المسلم
١٠٦	المطلب الثاني: محاسبة النفس
١٠٦	المسألة الأولى: تعريف المحاسبة في اللغة والاصطلاح
١٠٧	المسألة الثانية: أثر المحاسبة في غرس الإيمان في نفس المسلم
١٠٩	المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في التحذير من المعاصي
١١٠	المطلب الأول: التحذير من المعصية
١١٤	المطلب الثاني: أضرار المعاصي على الفرد والمجتمع

الصفحة	الموضوع
١١٤	المسألة الأولى: ضرر المعصية على الفرد
١١٤	أولاً - أثر المعصية على القلب
١١٤	أ - إضعافها لتعظيم الله ﷻ ووقاره في قلب الإنسان
١١٥	ب - إذهابها لحياء القلب وغيرته
١١٦	ج - إنكاسها للقلب وإزاعته عن الحقّ فلا تكون له راحة إلاّ بها
١١٧	د - محق بركة العلم وطمس نوره
١١٧	هـ - ضيق الصدر ووحشة القلب
١١٩	و - وهن القلب وظلمته
١٢٠	ز - استصغار المعصية في قلب الإنسان مع مسخه
١٢١	ثانياً - أثر المعصية على بدن العاصي ونفسه وعمله
١٢١	أ - المعصية سببٌ في نجاسة النفس وعلل البدن
١٢٥	ب - خيانة الجوارح للعاصي لله في أخرج وقت يكون بدنه ونفسه محتاجان إليها
١٢٧	المسألة الثانية: ضرر المعصية على المجتمعات الإنسانية
١٢٩	أولاً - أئها سببٌ في إزالة النعم المختلفة وحلّ النقم مكانها بفعل العصاة
١٢٩	أ - نعمة الإيثار
١٣٠	ب - نعمة المال والرزق
١٣١	ج - نعمة الأمن في الأوطان
١٣١	د - نعمة العافية في الأبدان
١٣٢	هـ - حلول الهزائم الحربية

الصفحة	الموضوع
١٣٣	ثانياً- الخسف بالعصاة
١٣٤	ثالثاً- خسارة العصاة في الدنيا وشقائهم في الآخرة
١٣٥	المسألة الثالثة: أثر المعصية على بقية المخلوقات
١٣٦	أ- أثر المعصية على الدواب
١٣٧	ب- أثر المعصية على الأرض
١٣٧	١- اسوداد الحجر الأسود بسبب ذنوب الناس
١٣٧	٢- الزلازل
١٣٨	٣- الريح المدمرة
١٣٨	٤- الغرق
١٣٩	٥- قلب الأرض بقوم لوط
١٣٩	* أضرار المعصية في الآخرة
١٤٠	أ- من القرآن الكريم
١٤٠	ب- من السنة النبوية
١٤١	المبحث الرابع: تكامل المنهج القرآني في هدم المعاصي وبناء سبيل الإصلاح
١٤٢	المطلب الأول: الرجاء وحسن الظن بالله تعالى
١٤٢	المسألة الأولى: الرجاء والخوف
١٤٣	المسألة الثانية: المغفرة والعفو من الله
١٤٥	المسألة الثالثة: المسارعة إلى فعل الخيرات واغتنام الفرص

الصفحة	الموضوع
١٤٧	المطلب الثاني: التوبة تعريفها وشروطها
١٤٧	المسألة الأولى: تعريف التوبة
١٤٧	أ - التوبة لغة
١٤٧	ب - التوبة اصطلاحاً
١٤٨	المسألة الثانية: شروط التوبة
١٤٨	الشرط الأول - الإقلاع عن المعصية
١٤٩	الشرط الثاني - الندم على فعل المعصية
١٤٩	الشرط الثالث - العزم على عدم العودة إلى المعصية
١٤٩	الشرط الرابع - ردّ الحقوق المادية والمعنوية لأصحابها
١٥١	المبحث الخامس: وضع العقوبات والزواج بما يتلاءم مع المعصية وأثرها
١٥٢	المطلب الأول: تشريع العقوبات والزواج في حق العصاة والمجرمين والحكمة منها
١٥٢	المسألة الأولى: تشريع العقوبات في حق العصاة
١٥٣	المسألة الثانية: الحكمة من تشريع العقوبات والزواج
١٥٥	المسألة الثالثة: أثر تطبيق التدابير الجزية والوقائية في المحافظة على الأمن والاستقرار في المجتمع
١٥٨	المطلب الثاني: الجريمة والعقوبة في الإسلام
١٥٨	أولاً - جرائم الحدود
١٥٨	ثانياً - جرائم القصاص
١٥٨	ثالثاً - جرائم التعزير

الصفحة	الموضوع
١٦٠	الفصل الثالث: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك العصاة في العصر الحاضر
١٦٢	المبحث الأول: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك الفرد
١٦٣	المطلب الأول: التهذيب بالطاعة
١٦٣	المسألة الأولى: أثر أركان الإيمان على الفرد
١٦٣	أولاً - الإيمان بالله
١٦٤	ثانياً - الإيمان بالملائكة
١٦٦	ثالثاً - الإيمان بالكتب
١٦٨	رابعاً - الإيمان بالرسول
١٦٩	خامساً - الإيمان باليوم الآخر
١٧١	سادساً - الإيمان بالقضاء والقدر
١٧٣	المسألة الثانية: أثر أركان الإسلام على الفرد
١٧٤	الركن الأول - الشهادتان
١٧٥	الركن الثاني - الصلاة
١٧٧	الركن الثالث - الزكاة
١٧٩	الركن الرابع - الصوم
١٨١	الركن الخامس - الحج
١٨٤	المطلب الثاني: البعد عن المعصية
١٨٤	المسألة الأولى: التحذير من المعصية وبيان مضارها
١٩٢	المسألة الثانية: فتح باب التوبة وتجديد العهد

الصفحة	الموضوع
١٩٥	المبحث الثاني: أثر المنهج القرآني في تقويم سلوك المجتمع
١٩٦	المطلب الأول: تحقق الأمن في المجتمع
١٩٦	أولاً- تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب أفراد المجتمع
١٩٧	ثانياً- بناء الأسرة المسلمة
١٩٨	ثالثاً- تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه
٢٠٢	رابعاً- إقامة الحدود الشرعية
٢٠٤	المطلب الثاني: انحلال الأمن في المجتمع عند تطبيق القوانين الوضعية
٢٠٤	المسألة الأولى: أسباب انحلال الأمن في المجتمعات الغربية
٢٠٦	المسألة الثانية: واقع الانحلال الأمني في المجتمعات الغربية
٢١٠	الفصل الرابع: الدروس المستفادة للدعاة في العصر الحاضر من منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة
٢١٢	المبحث الأول: ما يستفيده الداعية في المنهج
٢١٣	المطلب الأول: المنهج العاطفي
٢١٣	تعريف المنهج العاطفي
٢١٣	من مظاهر المنهج العاطفي في القرآن الكريم
٢١٦	المطلب الثاني: المنهج العقلي
٢١٦	تعريف المنهج العقلي
٢١٦	من مظاهر المنهج العقلي في القرآن الكريم
٢١٩	المطلب الثالث: المنهج الحسي

الصفحة	الموضوع
٢١٩	تعريف المنهج الحسي
٢١٩	من مظاهر المنهج الحسي في القرآن الكريم
٢٢٢	المبحث الثاني: ما يستفيدة الداعية في الأسلوب
٢٢٣	المطلب الأول: أسلوب الحكمة
٢٢٣	تعريف أسلوب الحكمة
٢٢٣	أهمية الحكمة وفضلها
٢٢٤	من مظاهر الحكمة في القرآن الكريم
٢٣٢	المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة
٢٣٢	تعريف أسلوب الموعظة الحسنة
٢٣٢	أهمية الموعظة الحسنة وفضلها
٢٣٣	من مظاهر الموعظة الحسنة في القرآن الكريم
٢٣٧	المطلب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن
٢٣٧	تعريف أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن
٢٣٧	أهمية المجادلة بالتي هي أحسن وفضله
٢٣٧	من مظاهر المجادلة بالتي هي أحسن في القرآن الكريم
٢٤٤	الخاتمة
٢٤٥	أولاً: النتائج
٢٤٦	ثانياً: التوصيات

الصفحة	الموضوع
٢٤٧	الفهارس
٢٤٩	فهرس الآيات القرآنية
٢٦٣	فهرس الأحاديث النبوية
٢٦٩	فهرس الآثار
٢٧١	فهرس الأعلام
٢٧٢	فهرس الأشعار
٢٧٣	فهرس المصادر والمراجع
٢٨٤	فهرس الموضوعات

